

الباب السادس

التعامل مع غير المسلمين ، في جوانب

الأداب والأخلاق

وفيه ستة عشر فصلاً :

الفصل الأول: السلام على غير المسلمين.

الفصل الثاني: زيارة المريض غير المسلم ، وتعزيته في ميته.

الفصل الثالث : حفظ المعروف لمن استحقه من غير المسلمين.

الفصل الرابع : قبول الحق ممن جاء به من غير المسلمين .

الفصل الخامس: إنصاف غير المسلمين.

الفصل السادس : الإحسان إلى الأقارب غير المسلمين .

الفصل السابع: صلة الأقارب غير المسلمين.

الفصل الثامن : تسميت غير المسلم إذا عطس .

الفصل التاسع : حكم قبول هدايا غير المسلمين .

الفصل العاشر : حكم الإهداء إلى غير المسلمين .

الفصل الحادي عشر : الدعاء لغير المسلمين .

الفصل الثاني عشر : الدعاء على غير المسلمين .

الفصل الثالث عشر : العفو عن غير المسلمين .

الفصل الرابع عشر : تكتية غير المسلم .

الفصل الخامس عشر : حكم مخالطة المسلم غير المسلم .

الفصل السادس عشر : حكم إجابة دعوة غير المسلم.

الفصل الأول : السلام على غير المسلمين .

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : بدء غير المسلمين بالسلام .

المبحث الثاني : رد السلام على غير المسلمين .

المبحث الثالث : صيغة ردّ السلام على غير المسلمين .

المبحث الرابع : السلام على قوم أخلاط مسلمين وكفار .

المبحث الخامس : السلام على غير المسلمين في المكاتبات .

المبحث السادس : حكم مصافحة غير المسلمين.

المبحث الأول

بدء غير المسلمين بالسلام

اختلف أهل العلم في حكم ابتداء غير المسلمين بالسلام على قولين :

القول الأول : المنع من ابتداء الكفار بالسلام، وبهذا قال جمهور أهل العلم^(١)

وقد استدلووا من السنة بما يلي:

الدليل الأول : حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ " ^(٢) .

الدليل الثاني : حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : " إِنْ كُنْتُمْ لَا تَقُولُونَ لِلْيَهُودِ غَدًا ، فَلَا تَبْدَءُوهُمْ بِالسَّلَامِ ، فَإِنْ سَلَّمُوا عَلَيْكُمْ فَقُولُوا : وَعَلَيْكُمْ " ^(٣) .

(١) ينظر: شرح معاني الآثار (٣٤٢/٤)، المنتقى شرح الموطأ (٢٨١/٧)، المجموع (٤٦٩/٤)، روضة الطالبين (٢٣٠/١٠)، شرح صحيح مسلم (١٤٥/١٤)، أسنى المطالب (١٨٤/٤)، تحفة السلام في الإسلام أحكام وآداب، للدكتور عبد الله محمد الطريقي، ص (٥٣٢) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، ح (٢١٦٧) ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم ، والترمذي في جامعه ، كتاب السير ، باب ما جاء في التسليم على أهل الكتاب ح (١٦٠٢) ، وقال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح، ومعنى هذا الحديث لا تبدءوا اليهود والنصارى قال بعض أهل العلم إنما معنى الكراهية لأنه يكون تعظيماً لهم وإنما أمر المسلمون بتذليلهم وكذلك إذا لقي أحدهم في الطريق فلا يترك الطريق عليه لأن فيه تعظيماً لهم " .

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢٠٣/٩)، من طريق سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر ... ، قال الألباني في إرواء الغليل (١١٢/٥) : " أخرجه البيهقي بإسناد صحيح على شرط الشيخين".

الدليل الثالث : حديث أبي عبد الرحمن الجهمي قال : قال رسول الله ﷺ : " إِنِّي رَاكِبٌ غَدًا إِلَى الْيَهُودِ، فَلَا تَبْدَعُوهُمْ بِالسَّلَامِ، فَإِذَا سَلَّمُوا عَلَيْكُمْ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ " (١) .

الدليل الرابع : حديث أبي بصرة رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّا غَادُونَ إِلَى يَهُودَ، فَلَا تَبْدَعُوهُمْ بِالسَّلَامِ فَإِذَا سَلَّمُوا عَلَيْكُمْ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ " (٢) .

وجه الدلالة: أن هذه الأحاديث جاءت صريحة في النهي عن أن ابتداء الكفار بالسلام (٣) .

القول الثاني : جواز السلام على الكفار ابتداءً ، وإلى هذا ذهب جمعٌ من أهل العلم، منهم ابن عباس، وأبو أمامة، رضي الله عنهم، وهو وجهٌ ضعيفٌ شاذٌ في مذهب الشافعية، قال النووي - رحمه الله - : " لا يجوز السلام على الكفار، هذا هو المذهب الصحيح، وبه قطع الجمهور، وحكى الماوردي في الحاوي فيه وجهين، أحدهما : هذا، والثاني : يجوز ابتداءهم بالسلام، لكن يقول : السلام عليك، ولا يقول : عليكم، وهذا شاذ ضعيف " (٤) .

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب ، باب : رد السلام على أهل الذمة، (١٢١٩/٢) ح (٣٦٩٩)، من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن أبي عبد الرحمن الجهمي ، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٠٩/٤) : " ليس لأبي عبد الرحمن عند ابن ماجه سوى هذا الحديث ، وليس له رواية في شيء من الخمسة ، وإسناد حديثه من هذا الوجه ضعيف ؛ لتدليس ابن إسحاق " ، وهذا الإسناد أخطأ فيه ابن إسحاق ، فرواه عنه جماعة من أصحابه هكذا ، وخالفهم آخرون عنه ، فجعلوه من حديث أبي بصرة - كما سيأتي - قال الحافظ في الفتح (٤٤/١١) : " وهو المحفوظ " .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٩٨/٦) ، والطبراني في المعجم الكبير (٣١١/٢) ، ح (٢١٦٤-٢١٦٢) والبخاري في الأدب المفرد ص (٣٦٦) ح (١١٠٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤١/٨) : " رواه أحمد، والطبراني في الكبير، وزاد: فلما جئناهم سلموا علينا، فقلنا : وعليكم، وأحد إسنادي أحمد والطبراني رجاله رجال الصحيح " ، وقد اختلف في هذا الحديث هل هو عن أبي بصرة أو أبي عبد الرحمن الجهمي ، كما سبق في الحديث السابق ، وقال الحافظ في الفتح (٤٤/١١) : " هما حديث واحد - يعني حديث أبي بصرة وحديث أبي عبد الرحمن الجهمي - اختلف فيه على يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير ، فقال عبد الحميد بن جعفر : عن أبي بصرة ، أخرجه النسائي والطحاوي ، وقال ابن إسحاق : عن أبي عبد الرحمن ، أخرجه أحمد وابن ماجه والطحاوي أيضا ، وقد قال بعض أصحاب ابن إسحاق عنه مثل ما قال عبد الحميد أخرجه الطحاوي ، والمحفوظ قول الجماعة " .

(٣) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٤٥/١٤)، تحية السلام في الإسلام أحكام وآداب، ص (٥٤١) .

(٤) المجموع (٤٦٩/٤) .

واستدل من قال بجواز ابتداء غير المسلمين بالسلام بما يلي:

الدليل الأول : العمومات، كعموم قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(١) ، وأحاديث الأمر بإفشاء السلام، ونحو ذلك^(٢) .

ويجاب عنه: أن هذه العمومات مخصوصة بأدلة القول الأول^(٣) .

الدليل الثاني : ما ذكره الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال لأبيه: ﴿قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي﴾^(٤) .

وجه الدلالة : أن إبراهيم عليه السلام بدأ أباه بالسلام وهو كافر، وقد أقره الله تعالى على ذلك، ولو كان محرماً لأنكر عليه صنيعه .

وأجيب عنه: بأن السلام في الآية الكريمة بمعنى: المسالمة، التي هي المتاركة، وليس بمعنى التحية، التي هي الدعاء بالسلامة والأمن، الذي هو المراد من الحديث .

قال الجصاص - رحمه الله - : " ومن الناس من يظن أن هذا يجوز على جواز ابتداء الكافر بالسلام، وليس كذلك؛ لما وصفنا من أن السلام ينصرف على معنيين : أحدهما : المسالمة، التي هي المتاركة، والثاني : التحية، التي هي دعاء بالسلامة والأمن، نحو تسليم المسلمين بعضهم على بعض "^(٥) .

الدليل الثالث : أن النبي ﷺ مرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبْدَ الْأَوْتَانِ وَالْيَهُودِ فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَلَمَّا غَشِيَتْ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ خَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ ثُمَّ قَالَ: لَا تُعْبِرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ وَقَفَ فَتَنَزَّلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ... الحديث^(٦) .

(١) سورة البقرة الآية: ٨٣ .

(٢) ينظر: سبل السلام (٤٩٩/٢) .

(٣) المصدر السابق ، وينظر: شرح معاني الآثار (٢٤٢/٤ - ٢٤٣) .

(٤) سورة مريم الآية: ٤٧ .

(٥) أحكام القرآن (٥١٠/٣) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب : ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ح

(٤٥٦٦) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين ح

(١٧٩٨) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه .

وأجاب عن هذا الاستدلال الطحاوي - رحمه الله - بقوله : " فقد يجوز أن يكون النبي ﷺ أراد بسلامه من كان فيهم من المسلمين، ولم يرد اليهود، ولا النصارى، ولا عبدة الأوثان، حتى لا تتضاد هذه الآثار، وهذا الذي وصفنا جائز، فقد يجوز أن يسلم رجل على جماعة وهو يريد بعضهم، وقد يحتمل أن يكون النبي ﷺ سلم عليهم أجمعين؛ لأن ذلك كان في وقت قد أمر فيه أن لا يجادلهم إلاّ بالتي هي أحسن، فكان السلام من ذلك ثم أمر بقتالهم ومناذتهم، فنسخ ذلك ما كان تقدم من سلامه عليهم" (١) .

والراجع : هو القول الأول، القاضي بمنع بدء الكفار بالسلام، وذلك لقوة أدلته، وصراحتها في النهي عن السلام عليهم ابتداءً .

لكن أصحاب القول الأول - القائلين بالمنع - اختلفوا هل المنع على سبيل الكراهة أم على سبيل التحريم ؟ على قولين أيضا :

القول الأول : تحريم بدء الكفار بالسلام ، وبه قال الحنفية (٢) ، والمالكية (٣) ، والصحيح عند الشافعية (٤) ، وهو مذهب الحنابلة (٥) .

واستدل القائلون بالتحريم : بالأدلة التي سبق ذكرها في القول الأول، حيث حملوها على التحريم، لورود النهي فيها عن ابتداء الكفار بالسلام، دون أي صارفٍ للنهي عن التحريم إلى غيره .

(١) شرح معاني الآثار (٢٤٢/٤ - ٢٤٣) .

(٢) قال الطحاوي في شرح معاني الآثار (٣٤٢/٤) : " ففي هذا الآثار النهي عن ابتداء اليهود والنصارى بالسلام من قول رسول الله ﷺ " وقال أيضاً : إنّ ما كان من تسليم النبي ﷺ عليهم كان في الوقت الذي أمره الله بالعفو عنهم والصفح، وترك مجادلهم إلاّ بالتي هي أحسن، ثم نسخ الله ذلك، وأمره بقتالهم ، فنسخ - مع ذلك - السلام عليهم، وثبت قوله : " لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام ... " إلى أن قال : فبهذا نأخذ وهو قول أبي حنيفة ، وأبي يوسف ، ومحمد ، رحمهم الله تعالى " .

(٣) قال في المنتقى شرح الموطأ (٢٨١/٧) : " مسألة : ويمنع الكافر ابتداء السلام ، على ما قاله القاضي أبو محمد ... وقال سحنون : يمنع من مجالسة أهل الأهواء ، والسلام تأدياً لهم " .

(٤) قال في المجموع (٤٦٩/٤) : " لا يجوز السلام على الكفار، هذا هو المذهب الصحيح، وبه قطع الجمهور " وقال في مغني المحتاج (٢١٥/٤) : " ويحرم أن يبدأ به الشخص ذمياً للنهي عنه، فإن بان من سلم عليه ذمياً فليقل له - ندباً - : استرجعت سلامي، كما في الروضة، أو ردّ عليّ سلامي، كما في الأذكار، تحقيراً له " .

(٥) ينظر: الإنصاف (٢٣٣/٤) ، غاية المنتهى (٥٠٣/١) ، مطالب أولي النهى (٦٠٨/١) .

القول الثاني : كراهة بدء الكفار بالسلام ، قال بهذا القول بعض الحنفية^(١) وبعض أصحاب الشافعي^(٢) ، وعللوا لذلك بأن السلام من تحية أهل الجنة، فكره أن يبدأ به الكافر؛ إذ ليس من أهلها، ولا يكره الرد على وجه المكافأة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۚ ﴾^(٣) " (٤) .

والذي يظهر أن أصحاب هذا القول حملوا النهي على الكراهة استدلالاً بسلام النبي ﷺ على بعض الكفار ، كما في قصة عبد الله بن أبي بن سلول، بالإضافة إلى بعض العمومات التي سبق بيانها في أدلة القائلين بالجواز، وقد تبين الجواب على الاستدلال بتلك الأدلة فيما مضى ، وعلى هذا فلا حجة لهم فيما ذهبوا إليه .

والذي يظهر رجحانه : هو القول بالتحريم؛ لقوة أدلته، وضعف أدلة المخالف، والله تعالى أعلم .



(١) ينظر: بدائع الصنائع (١٢٨/٥) .

(٢) نقله الشوكاني - رحمه الله - في نيل الأوطار (٧٧/٨) قائلاً " وقال بعض أصحاب الشافعي : يكره ابتداءهم بالسلام ولا يحرم، وهو مصير إلى معنى النهي المجازي بلا قرينة صارفة إليه، وحكى القاضي عياض عن جماعة : أنه يجوز ابتداءهم به ؛ للضرورة والحاجة، وهو قول علقمة، والنخعي، وروي عن الأوزاعي أنه قال : إن سلّمت فقد سلّم الصالحون، وإن تركت فقد ترك الصالحون" .

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٦ .

(٤) ينظر: أحكام القرآن للحصاص (٦٣٩/٣) .

المبحث الثاني

رد السلام على غير المسلمين

اتفق أهل العلم على مشروعية الرد على من سلم علينا من غير المسلمين^(١) ، ولكنهم اختلفوا في حكم الردّ عليهم، هل هو على سبيل الوجوب، أو على سبيل الجواز؟، وفي هذه المسألة خلاف على قولين :

القول الأول : وجوب رد السلام على غير المسلمين الكفار ، وإليه ذهب ابن عباس، والشعبي، وقتادة^(٢) ، وهو قول عند المالكية^(٣) ، ومذهب الشافعية^(٤) والحنابلة^(٥) .

وقد استدلووا لذلك بما يلي:

الدليل الأول : قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَحَيَّوْا بِحَسَنِ مِّنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝٨٦﴾^(٦) .

(١) قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٤٤/١٤): " اتفق العلماء على الرد على أهل الكتاب إذا سلموا " ، وقال في سبل السلام (٤٩٩/٢): " اتفق العلماء على أنه يرد على أهل الكتاب، ولكنه يقتصر على قوله (وعليكم) وهو هكذا بالواو عند مسلم في روايات " .

وينظر: روضة الطالبين (٢٣٠/١٠)، أسنى المطالب (١٨٥/٤)، مغني المحتاج (٢١٤ / ٤)، المقنع (٥٢٨/١)، الإنصاف (٢٣٤/٤)، غاية المنتهى (٥٠٣/١) .

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٣٠٤/٥) .

(٣) ينظر: حاشية الدسوقي (١٤٧/٢) .

(٤) ينظر: روضة الطالبين (٢٣٠/١٠)، أسنى المطالب (١٨٥/٤)، شرح صحيح مسلم (١٤٥/١٤) .

(٥) ينظر: الإنصاف (٢٣٤/٤)، غاية المنتهى (٥٠٣/١)، وقال في المبدع (٤١٨/٣ - ٤١٩) : " وإن سلم أحدهم قيل له: وعليكم ، لما روى أنس مرفوعا "إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم" متفق عليه. ولأحمد بغير واو ، وهو مخير بين إثباتها وحذفها ، واختلف الأصحاب في الأولى، وعند الشيخ تقي الدين: ترد تحيته وأنه يجوز أهلا وسهلا " .

(٦) سورة النساء، الآية : ٨٦ .

وجه الاستدلال من الآية : أن فيها الأمر برد التحية، والأصل في الأمر أن يكون للوجوب ولم تفرق الآية بين المسلمين وغير المسلمين في وجوب الرد، فتحمل الآية على عمومها، وتشمل جميع من سلم علينا ^(١)

الدليل الثاني : حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ " ^(٢) .

الدليل الثالث : حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : " إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ الْيَهُودُ فَإِنَّمَا يَقُولُ أَحَدُهُمْ: السَّامُ عَلَيْكَ فَقُلْ: وَعَلَيْكَ " ^(٣) .

الدليل الرابع : حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : دخل على رسول الله ﷺ رهط من اليهود ، فقالوا : السَّامُ عَلَيْكُمْ، فرد: " وعليكم " فقالت عائشة - رضي الله عنها - : " وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ " ، قال عائشة: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ: " فَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ " ^(٤) .

وجه الدلالة من هذه الأحاديث: ورود الأمر فيها بردّ السلام على من سلم علينا من أهل الكتاب، والأصل في الأمر الوجوب، إلّا لصارفٍ عن الوجوب إلى غيره، ولا صارفٍ للأمر في هذه الأدلة عن الوجوب، فيكون ردّ السلام على من سلم علينا من غير المسلمين واجباً، والله تعالى أعلم ^(٥) .

(١) ينظر: تحية السلام في الإسلام ص (٥٥٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب كيف يرد على أهل الكتاب ح (٦٢٥٨) ، ومسلم

في صحيحه ، كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يردّ عليهم ح (٢١٦٣)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاستئذان ، باب كيف يرد على أهل الكتاب ح (٦٢٥٧) ، ومسلم

في صحيحه، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يردّ عليهم، ح (٢١٦٤) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب، باب: الرفق في الأمر كله ح (٦٠٢٤) ، ومسلم في

صحيحه، كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ح (٢١٦٥) .

(٥) ينظر: تفسير القرطبي (٣٠٤/٥) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : " فالذي تقتضيه الأدلة الشرعية، وقواعد الشريعة: أن يقال له : وعليك السلام، فإنّ هذا من باب العدل، والله يأمر بالعدل والإحسان، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَحَيَّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ (٨٦) ﴿٣﴾ فندب إلى الفضل، وأوجب العدل، ولا ينافي هذا شيئاً من أحاديث الباب بوجه ما، فإنه إنما أمر بالاعتصار على قول الرادّ " وعليكم " بناء على السبب المذكور الذي كانوا يعتمدونه في تحيتهم (٤) " (٥) .



(١) ينظر: فتح الباري (٤٢/١١) .

(٢) قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٠٤/٥) : " واختلف في رد السلام على أهل الذمة، هل هو واجب كالردّ على المسلمين ؟، وإليه ذهب ابن عباس، والشعبي، وقتادة، تمسكا بعموم الآية، وبالأمر بالردّ عليهم في صحيح السنة، وذهب مالك - فيما روى عنه أشهب، وابن وهب - إلى أن ذلك ليس بواجب، فإن رددت فقل : عليك، واختار ابن طاوس : أن يقول في الرد عليهم : علاك السلام، أي ارتفع عنك، واختار بعض علمائنا : السّلام، بكسر السين، يعني به الحجارة، وقول مالك وغيره في ذلك كافٍ شافٍ، كما جاء في الحديث " .

(٣) سورة النساء، الآية : ٨٦ .

(٤) يعنى : قولهم الذي كانوا يقولونه للنبي ﷺ " السام عليكم " .

(٥) أحكام أهل الذمة (١٩٩/١) .

المبحث الثالث

صيغة رد السلام على غير المسلمين

إذا تبين رجحان القول بوجوب رد السلام على الكفار إذا بدءوا السلام علينا، فما هي صيغة الرد عليهم ؟ ، اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين :

القول الأول : أن المشروع في الرد عليهم قول : " وعليكم " بإثبات الواو ، وهذا قول الجمهور ^(١) .

واستدلوا على ذلك بحديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : سَلَّمَ نَاسٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ فَقَالَ: " وَعَلَيْكُمْ " فَقَالَتْ عَائِشَةُ وَغَضِبَتْ: أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ ، قَالَ: " بَلَى قَدْ سَمِعْتُ فَرَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّا نُجَابُ عَلَيْهِمْ وَلَا يُجَابُونَ عَلَيْنَا " ^(٢) ، وبمثلها جاء حديث أنس وعائشة - رضي الله عنهما - ^(٣) .

وجه الدلالة : أن هذه الأحاديث جاءت بإثبات الواو وبدونها، وبصيغة المفرد والجمع، وهذا الاختلاف هو من باب اختلاف التنوع، فكل ما صح فيه الحديث فإنه يصح العمل به، وإنما يبقى الاختلاف في الأولى منها .

والاختلاف في صفة الرد ينحصر في إثبات الواو وحذفها، فمن العلماء من رجح حذف الواو، وأكد هذا بأن إثبات الواو يقتضي التشريك بين الراد والمردود عليه فيما قاله المسلم، ولكن هذا لم يسلم له .

قال الخطابي - رحمه الله - : " يرويه عامة المحدثين " وعليكم " بالواو " ^(٤) .

القول الثاني : أن المشروع في الرد عليهم قول : " عليكم " بحذف الواو ، وبهذا قال سفيان بن عيينة، وكان يرويه " عليكم " بحذف الواو، وصوبه الخطابي ^(٥) .

(١) ينظر: المبدع (٤١٨/٣ - ٤١٩)، منار السبيل (٢٨٤/١) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ح (٢١٦٦) .

(٣) سبقا في المبحث السابق .

(٤) معالم السنن (١٥٤/٤) .

(٥) ينظر: معالم السنن للخطابي (١٥٤/٤) .

واستدلّ من ذهب إلى هذا بأنه إذا حذف الواو صار قولهم الذي قالوه بعينه مردوداً عليهم، وبإدخال الواو يقع الاشتراك معهم، والدخول فيما قالوه؛ لأن الواو حرف للعطف والجمع بين الشيئين بواسطة هذا الحرف يقتضي الاشتراك في الحكم، والسام فسروه بالموت^(١)

قال القرطبي - رحمه الله - : " جاء إثبات الواو وإسقاطها ، وفي صحيح مسلم " عليك " بغير واو، وهي الرواية الواضحة المعنى، أما مع إثبات الواو ففيها إشكال؛ لأن الواو العاطفة تقتضي التشريك، فيلزم منه أن يدخل معهم فيما دعوا به علينا من الموت"^(٢) .

وهكذا فقد أورد الخطابي والقرطبي هذا الإشكال بسبب إثبات الواو، وقد صوب الخطابي حذف الواو، خشية ورود هذا الإشكال، وقد أُجيب عليه بجوابين:

الجواب الأول: أن إثبات الواو قد صحت به الأحاديث ، قال النووي - رحمه الله - : " وقد جاءت الأحاديث التي ذكرها مسلم : " عليكم " ، " وعليكم " بإثبات الواو وحذفها ، وأكثر الروايات بإثباتها ، وعلى هذا في معناه وجهان : أحدهما أنه على ظاهره ، فقالوا : عليكم الموت ، فقال : وعليكم أيضاً أي نحن وأنتم فيه سواء ، وكلنا نموت ، والثاني أن الواو هنا للاستئناف لا للعطف والتشريك ، وتقديره : وعليكم ما تستحقونه من الدم ، وأما حذف الواو فتقديره: بل عليكم السام " ^(٣) .

الجواب الثاني : ما فصله ابن القيم - رحمه الله - بقوله : " قول الخطابي : " يرويه عامة المحدثين بالواو، وابن عيينة يرويه بحذفها، وهو الصواب " قيل : قد ضبط الواو عبد الله بن عمر، ضبطها عنه عبد الله بن دينار، وضبطها عنه مالك، قال أبو داود - رحمه الله - في سننه ^(٤) : كذلك رواه مالك عن عبد الله بن دينار، ورواه الثوري أيضاً عن عبد الله بن دينار فقال : " وعليكم " وهذا الحديث قد أخرجه البخاري في صحيحه كما

(١) ينظر: تحية السلام في الإسلام ص (٥٦٣) .

(٢) تفسير القرطبي (٣٠٣/٥) .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤٤/٤) .

(٤) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب : في السلام على أهل الذمة (٧٧٤/٢) ح (٥٢٠٦) .

تقدم، وحديث سفيان الثوري رواه البخاري ومسلم، وهو بالواو عندهما، وأما قول الخطابي : " وابن عيينة رواه بحذفها " فقد اختلف على ابن عيينة أيضاً ، وجواب آخر، ولعله أحسن من الجواب الأول، وهو أنه ليس في دخول الواو تقرير لمضمون تحيتهم، بل فيه ردها، وتقريرها لهم، أي : ونحن أيضاً ندعوا لكم بما دعوتكم به علينا، فإن دعاءهم قد حصل ووقع منهم، فإذا رد عليهم الجيب بقوله : " وعليكم " كان في ذكر الواو سرُّ لطيف، وهو أن هذا الذي طلبتموه لنا، ودعوتكم به هو بعينه مردود عليكم، لا تحية لكم غيره " (١) .

ويؤيد هذا الأخير الذي ذكره ابن القيم : ما جاء في رواية جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - المتقدمة عند مسلم " وَإِنَّا نَجَابُ عَلَيْهِمْ وَلَا يُجَابُونَ عَلَيْنَا " (٢) . وأكثر الأحاديث بإثبات الواو، وهو الذي عليه أكثر العلماء، وهو الأرجح دليلاً . قال النووي - رحمه الله - : " الصواب أن إثبات الواو وحذفها جائزان، كما صحت به الروايات، وأن الواو أجود كما هو في أكثر الروايات " (٣) . وقال ابن القيم - رحمه الله - : " وعلى هذا فالصواب إثبات الواو، وبه جاءت أكثر الروايات، وذكرها الثقات الأثبات " (٤) .

وقال الحافظ - رحمه الله - في الفتح : " بل الرواية بإثبات الواو ثابتة ، وهي تُرْجَح التفسير بالموت ، وهو أولى من تغليب الثقة " (٥) .

وهذا الذي تقدم هو في حال ما إذا ثبت لنا أن أهل الكتاب قالوا : السام عليكم، أو شككنا في ذلك، ولكن لو تحقق السامع أن الذمي قال : " سلام عليكم " فهل يقول : وعليك السلام، أو يقتصر على قوله : " وعليك " لا شك أن الاختصار عليها مخالف

(١) ينظر: أحكام أهل الذمة (١٩٨/١)، بدائع الفوائد (١٥٢/٢)، تهذيب سنن أبي داود (٧٧-٧٥/٨)

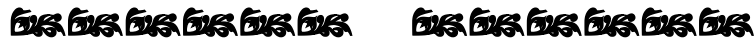
(٢) أخرجه مسلم، وتقدم قريباً .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤٥/١٤) .

(٤) أحكام أهل الذمة (١٩٩/١) .

(٥) فتح الباري (٤٦/١١) .

وقد ذكر الحافظ في الفتح^(٣) عن ابن دقيق العيد أنه حكى عن ابن رشد تفصيلاً يجمع الروایتين، - إثبات الواو وحذفها -، فقال : من تحقق منه أنه قال : السام، أو السلام بكسر السين، فليرد عليه بحذف الواو، ومن لم يتحقق منه فليرد بإثبات الواو . وهذا تفصيلٌ^٤ وجيه، والله أعلم .



(٣) فتح الباري (١١/٤٦) .

المبحث الرابع

السلام على قوم أخلاط مسلمين وكفار

اتفق العلماء على أنه إذا مرَّ المسلم بمجلسٍ وفيه مسلمون وكفار فإنه يسلم عليهم، وينوي بسلامه المسلمين دون الكفار، صرَّح بذلك الحنفية^(١) والمالكية^(٢)، والشافعية^(٣)، والحنابلة^(٤)، قال النووي - رحمه الله - : " وهو مجمع عليه " ^(٥)، وقال : " ولو مر على جماعة فيهم مسلمون ، أو مسلم وكفار ، فالسنة أن يسلم ويقصد المسلمين ، أو المسلم " ^(٦) .

وقال أبو بكر بن العربي - رحمه الله - : " فإن كان مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشرّكين سلم عليهم، كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ فعله، ولكن ينوي بسلامه المسلمين " ^(٧) .

وقال صاحب الإقناع: " ولا تجوز بداءتهم بالسلام، فإن كان معهم مسلم نواه بالسلام " ^(٨) .

وقد استدلوا على ذلك بحديث أسامة بن زيد رضي الله عنه ، وفيه أنه رضي الله عنه مرَّ بمجلسٍ فيه أخلاطٌ من المسلمين والمُشرّكين عبدة الأوثان واليهود فيهم عبدُ الله بن أبيّ وفي المجلس عبدُ الله بن رَواحة فلما غشيت المجلس عَجاجة الدابة حمّر عبدُ الله بن أبيّ أنفه برِذائه ثم قال: لا تُعَبِّروا علينا، فسَلَّم عليهم النبيُّ ﷺ ثم وَقَفَ فنَزَلَ فدَعَاهُمْ إلى الله وقرأ عليهم القرآن ... الحديث ^(٩) .

(١) ينظر: البحر الرائق (٢٠٧/٨)، الفتاوى الهندية (٣٢٥/٥) .

(٢) ينظر: عارضة الأحوذى (١٧٣/١٠) .

(٣) ينظر: روضة الطالبين (٢٣١/١٠)، نهاية المحتاج (٩٤/٨)، فتح الباري (٤١/١١) .

(٤) ينظر: غاية المنتهى (٥٠٣/١)، كشف القناع (١٣٠/٣)، مطالب أولي النهى (٦٠٨/٢) .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥٨/١٢)، (١٤٥/١٤) .

(٦) روضة الطالبين (٢٣١/١٠)، وينظر: نهاية المحتاج (٤٩/٨) .

(٧) عارضة الأحوذى (١٧٣/١٠) .

(٨) الإقناع (٤٨/٢) .

(٩) سبقت تخريجه ص (٣٥٠) .




المبحث الخامس

السلام على غير المسلمين في المكاتبات

إذا أراد المسلم أن يكتب كتاباً إلى غير المسلم فهل له أن يسلم عليه ؟
جـ — له ذلك وهو مقتضى دلالة السنة النبوية، ولكنه يقول: " السلام على من اتبع الهدى " صرح بذلك فقهاء الحنفية ^(١) ، والشافعية ^(٢) ، والحنابلة ^(٣) .
وجاء في زوائد الروضة : " ولو كتب كتاباً إلى مشرك، وكتب فيه سلاماً، فالسنة أن يكتب كما كتب رسول الله ﷺ إلى هرقل " سلام على من اتبع الهدى " ^(٤) .
وجاء في أسنى المطالب : " وإن كتب إلى كافر كتاباً، وأراد أن يكتب فيه سلاماً، قال : أي كتب - ندباً - ما كتبه النبي ﷺ إلى هرقل " سلام على من اتبع الهدى " ^(٥) .
والدليل على ذلك : حديث عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في نفر من قريش - وكانوا تجاراً بالشام - فأتوه فذكر الحديث قال: ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأ فإذا فيه: " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ السَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ " ^(٦) .

قال ابن بطلال - رحمه الله - : " فيه جواز كتابة : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى أهل الكتاب، وتقديم اسم الكاتب على المكتوب إليه، وفيه حجة لمن أجاز مكاتبة أهل الكتاب بالسلام عند الحاجة " ^(٧) .

(١) الدر المختار (٢٦٤/٥) .

(٢) ينظر: روضة الطالبين (٢٣١/١٠)، أسنى المطالب (١٨٥/٤)، نهاية المحتاج (٤٩ /٨) .

(٣) ينظر: المقنع (٤٩/٢)، كشف القناع (١٣٠/٣)، مطالب أولي النهى (٦٠٩/٢) .

(٤) روضة الطالبين (٢٣١/١٠) .

(٥) أسنى المطالب (١٨٥/٤) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية

وغیرها، ح (٦٢٦١)، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل ح (

٣٣٢٢) .

(٧) شرح صحيح البخاري لابن بطلال (٤١/٩) .

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : " في جواز السلام على الإطلاق نظر، والذي يدلّ عليه الحديث: السلام المقيد، مثل ما في الخبر : " السلام على من اتبع الهدى " أو السلام على من تمسك بالحق، أو نحو ذلك " ^(١) .

أما ما أخرجه ابن أبي شيبه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : أنه كتب إلى رجلٍ من أهل الكتاب : السلام عليك ^(٢) ، فمخالف لما ثبت في الصحيحين من الكتابة إليهم بالسلام على من اتبع الهدى ، وما ثبت في الصحيحين أولى بالعمل ؛ لصحة أحاديثهما وتلقيهما بالقبول .



(١) فتح الباري (٤٧/١١) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (٤٣٩/٨)، ح (٥٧٩٩) ، من طريق وكيع عن سفيان عن عمار الدهني عن رجل عن كريب عن ابن عباس أنه كتب إلى رجل من أهل الكتاب : " السلام عليك " . وهو ضعيف لجهالة راويه عن كريب، ومخالفته للأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما كحديث ابن عباس - رضي الله عنهما - السابق في مكاتبة النبي ﷺ له رقل .

المبحث السادس حكم مصافحة غير المسلمين

ورد في مصافحة غير المسلمين بعض الأحاديث الدالة على النهي عن ذلك، منها :
الحديث الأول : حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تصافحوا اليهود والنصارى " ^(١) .

الحديث الثاني : حديث جابر رضي الله عنه قال : نهي رسول الله ﷺ أن يصافح المشركون أو يكنوا ، أو يرحب بهم ^(٢) .

الحديث الثالث : حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : " من صافح يهودياً أو نصرانياً فليتوضأ وليغسل يده " ^(٣) .

وقد صرح فقهاء المالكية بأنه لا يجوز مصافحة غير المسلم، جاء في الفواكه الدواني : " وإنما تحسن المصافحة بين رجلين .. لا بين مسلم وكافر. " ^(٤) ، وجاء في كفاية الطالب : " ولا يصافح الرجل المرأة ، ولا المسلم الكافر، ولا المبتدع " ^(٥) .

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ، كما في مجمع الزوائد (٤٥/٨) ، وليس موجوداً في المطبوع من الأوسط ، قال الهيثمي (٤٥/٨) : " فيه سفيان بن وكيع ، وهو ضعيف " .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٣٦/٩) ، من طريق إسحاق عن بقية بن الوليد عن محمد القشيري عن أبي الزبير عن جابر ، وهو ضعيف ؛ لعل ثلاث :

الأولى : أنه من رواية أبي الزبير ، وهو مدلس ولم يصرح بالسماع هنا .

الثانية : تفرد بقية بن الوليد ، فإنه عند أهل الحديث غير محتمل ، قال أبو نعيم في الحلية (٢٣٦/٩) : " غريب من حديث أبي الزبير ، تفرد به بقية عن القشيري " .

الثالثة : محمد بن رافع القشيري لم يدرك أبا الزبير ، حيث توفي القشيري سنة (٢٤٥هـ) بينما وفاة أبي الزبير كانت سنة (١٢٦هـ) ، ينظر: تهذيب الكمال (١٩٥/٢٥ ، ٢٦ / ٤٠٢) .

(٣) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٧٨/٢) ، من طريق إبراهيم بن هانئ عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ، وهو ضعيف ؛ لجهالة إبراهيم بن هانئ . قال ابن الجوزي : " إبراهيم بن هانئ ، شيخ مجهول ، يحدث عن ابن جريج الأباطيل " .

(٤) الفواكه الدواني (٤٢٤/٢) .

(٥) كفاية الطالب (٤٣٧/٢) .

وصرح فقهاء الحنفية ^(١) ، والحنابلة ^(٢) ، بكراهة مصافحة الذمي .
 وجاء في الإنصاف : " كره الإمام أحمد مصافحتهم " ^(٣) ، أي : أهل الذمة .
 وجاء في غاية المنتهى : " وتكره مصافحته " ^(٤) ، أي : الكافر .
 وعللوا لذلك بأن في المصافحة نوعاً من التقدير والاحترام ، وغير المسلم لا يستحق ذلك ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ ^(٥) وقد استثنى بعضهم ما إذا كان الجار ذمياً وكان ذلك بعد غيبة ، وكان هذا الجار يتأذى بترك المصافحة ، جاء في حاشية ابن عابدين عن القنية : " لا بأس بمصافحة المسلم جاره النصراني إذا رجع بعد الغيبة ، ويتأذى بترك المصافحة " ^(٦) ، وقوله ﷺ : " مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرَقَا " ^(٧) ، يدل بمفهومه أن المصافحة تكون بين المسلمين ، لا بين مسلم وكافر ^(٨) .
 وقد تقدم حكم ابتداء غير المسلمين بالسلام ، وأنه ممنوع شرعاً ، كما يدل عليه الدليل ، وليست المصافحة بأقل شأنًا من السلام ، ولكن لو كان ابتداء المصافحة من غير المسلم ، فهل للمسلم إجابته ومصافحته ؟
 القياس يقتضي جواز ذلك بناءً على جواز رد السلام إذا سلموا علينا ، خاصة إذا ترتب على ذلك مصلحة أو دفع مفسدة ، لأن النصوص الواردة في باب السلام تنص على النهي عن ابتدائهم بذلك ، أما إذا كان ذلك ابتداءً منهم فأمر الرد عليهم أيسر ، - وقد تقدم الكلام في التفريق بين ابتدائهم بالسلام وبين رده عليهم - .

(١) ينظر: حاشية ابن عابدين (٢٧٥/٣ ، ٢٦٤/٥) .

(٢) ينظر: الإنصاف (٢٣٤/٤) ، غاية المنتهى (٥٠٣/١) ، الآداب الشرعية (٤١٦/١ ، ٢٧٢/٢) .

(٣) الإنصاف (٢٣٤/٤) .

(٤) غاية المنتهى (٥٠٣/١) .

(٥) سورة النساء الآية : ١٤١ .

(٦) حاشية ابن عابدين (٢٦٤/٥) .

(٧) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في المصافحة ح (٥٢١٢) ، والترمذي في جامعه ، كتاب الاستئذان والآداب ح (٢٧٢٧) ، ابن ماجه في سننه ، كتاب الأدب ، باب المصافحة ح (٣٧٠٣) ، من طريق الأجلح عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب ، قال الترمذي : " هذا حديث حسن غريب من حديث أبي إسحاق عن البراء " .

(٨) ينظر : تحية السلام في السلام (٨٣٦/٢) .

الفصل الثاني : زيارة المريض غير المسلم، وتعزيتة في ميته

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : حكم زيارة المريض غير المسلم .

المبحث الثاني : حكم تعزية غير المسلم فيما أصابه .

المبحث الأول

حكم زيارة المريض غير المسلم

اختلف أهل العلم في حكم زيارة المريض من غير المسلمين على ثلاثة أقوال^(١) :
القول الأول: جواز زيارة الكفار جميعهم، أهل الذمة وغيرهم، وبهذا قال جمهور الحنفية^(٢) ، وأكثر الشافعية^(٣) ، ورواية في مذهب الحنابلة^(٤) .

الأدلة :

استدل أصحاب هذا القول بدليلين :

الدليل الأول: ما روى أنس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان إذا عاد رجلاً على غير الإسلام لم يجلس عنده ، وقال : " كيف أنت يا يهودي ؟ كيف أنت يا نصراني ؟ " بدينه الذي هو عليه^(٥) .

الدليل الثاني: حديث أنس رضي الله عنه قال : كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرَضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: " أَسْلِمَ " فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطْعَمَ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ " ^(٦) .

(١) هي ثلاث روايات في مذهب الإمام أحمد - رحمه الله - الأولى : المنع، قال جعفر بن محمد : سئل أبو عبد الله عن الرجل يعود شريكاً له يهودياً أو نصرانياً، قال : لا ولا كرامة، قال : ووجهه قوله عليه الصلاة والسلام : " لا تبدؤوهم بالسلام " الثانية : الأذن، قال الأثرم : وسمعت أبا عبد الله يسأل عن الرجل له قرابة نصراني يعود، قال : نعم، قيل له : نصراني، قال : أرجو ألا تضيق العيادة، الثالثة : التفصيل في هذه المسألة : إن أمكنه أن يدعوه إلى الإسلام، ويرجو ذلك منه عادة ، وإلا فلا . ينظر الإنصاف للمرداوي (٤٦٣/٢)، كشف القناع (٧٨/ ٢) .

(٢) حاشية ابن عابدين (٣٨٨/٦) .

(٣) ينظر: المجموع (١٠٤ / ٥)، حاشية البجيرمي (٢٩١/٤) .

(٤) ينظر: المغني (٢١٢/٢)، طبقات الحنابلة (٥٤/١) .

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب ٦ / (٥٤٧ :) ح (٩٢٤٠)، من طريق بشر بن موسى عن محمد بن سعيد الأنصاري ، عن يونس بن بكير ، حدثني سعيد بن ميسرة القيسي ، سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: ...

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلي عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام ح (١٣٥٦) .

قال الطحطاوي في حاشيته على مراقي الفلاح^(١) : " قوله : فأتاه النبي ﷺ يعودُه أخذ منه جواز عيادة أهل الذمة، لاسيما إذا كان يرجو إسلامه " ويمكن مناقشة هذا الاستدلال : بأن النبي ﷺ كان طامعاً في إسلامهما، لا أن زيارة الكافر جائزة بكل حال .

القول الثاني : تحريم زيارة الكافر مطلقاً ، وبهذا قال جماعة من الحنفية والشافعية^(٢) والحنابلة^(٣) .

وعللوا لذلك بأن زيارة المسلم للكافر فيها تعظيم وإكرام له، وتعظيم الكافر محرم، قياساً على تحريم الابتداء بالسلام عليه .

ويمكن مناقشة ذلك: بأن زيارته لا تستلزم التعظيم، بل هي من باب تقريبه للإسلام، وترغيبه في الدخول فيه كما فعل النبي ﷺ في زيارته للغلام اليهودي، ولذا يمكن أن نقول بمشروعية هذه الزيارة إذا ترتب عليها مصلحة، وبعدم مشروعيتها إذا ترتب عليها ضرر ، أو تيقنا عدم قبوله الدخول في الإسلام إذا عرض عليه، أو رغب فيه، وأما تحريم زيارته بكل حال فلا يستقيم مع هدي الشريعة، كما سيأتي تفصيله .

القول الثالث: التفصيل: فإن أمكنه أن يدعو إلى الإسلام ويرجو ذلك منه فله أن يعود، وإن لم يمكنه دعوته، أو لم يرجو منه قبول الإسلام فلا يعود ، وبهذا قال بعض الشافعية^(٤) ، وبعض الحنابلة^(٥) .

قال ابن بطال - رحمه الله - : " يعاد المشرك ليدعى إلى الإسلام إذا رجا إجابته إليه، ألا ترى أن اليهودي أسلم حين عرض عليه النبي ﷺ الإسلام، وكذلك عرض الإسلام على عمه أبي طالب، فلم يقض الله له به، فأما إذا لم يطمع بإسلام الكافر ولا

(١) مراقي الفلاح (٣٦٧/١) .

(٢) ينظر: المجموع (١٠٤ / ٥)، فتح الباري (١٢٥ / ١٠)، نيل الأوطار (٢٢٨ / ٨) .

(٣) قال صاحب كشف القناع (٧٨ / ٢) : " وتحرم عيادة الذمي كبدايته بالسلام ؛ لما فيه من تعظيمه " وينظر المغني (٢١٢ / ٢) .

(٤) ينظر: فتح الباري (١٢٥ / ١٠) ، عون المعبود (٢٤٩ / ٨) .

(٥) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٤٠ / ٢٤) ، الموسوعة الفقهية (٧٨ / ٣١) ، وإرشاد أولي الألباب إلى ما صَحَّ من معاملة أهل الكتاب، ص (١١٥) .

رجيت إنابته فلا تنبغي عيادته." ^(١) ، وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : " والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف المقاصد ، فقد يقع بعيادته مصلحة أخرى " ^(٢) .

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية : " هل يجوز للمسلم إذا مرض النصراني أن يعودوه ؟ قال : عيادته لا بأس بها ؛ فإنه قد يكون في ذلك مصلحة لتأليفه على الإسلام " ^(٣) .
ولهم على ذلك عدداً من الأدلة :

الدليل الأول : ما ثبت في صحيح البخاري، من حديث أنس رضي الله عنه قال : كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرَضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: " أَسْلِمَ " فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطْعَ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ " ^(٤) .

الدليل الثاني : ما ثبت عن المسيب بن حزن رضي الله عنه أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: أَيُّ عَمِّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ " ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﻋَظِيمًا : ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ ^{(٥)(٦)} .

وجه الدلالة : أنه ثبت - من خلال هاتين القصتين - جواز زيارة المشرك، إذا كان يرجى من زيارته دخوله في الإسلام، وعدم جواز ذلك إذا لا يرجى دخوله في الإسلام؛

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٨٠ / ٩) .

(٢) فتح الباري (١٠ / ١٢٥) .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٤ / ٢٦٥) .

(٤) سبق تخريجه ص (٣٦٧) .

(٥) سورة التوبة، الآية: ١١٣ .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : تفسير القرآن : باب قوله تعالى : ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ... ﴾ ح (٤٣٩٨) ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ، باب صحة إسلام من

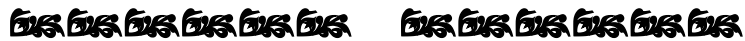
حضره الموت ح (٢٤) .

لأنه لم ينقل عن النبي ﷺ أنه زار أحداً من المشركين ولا غيرهم من الكفار إلا بهذا القصد، وإذا كان كذلك فليقيد الجواز فيما ورد، والله تعالى أعلم .

الدليل الثالث : أن النبي ﷺ كان يسلم على الكفار، ومن ذلك أنه أتى مجلساً فيه عبد الله بن أبي بن سلول، وبعض المسلمين، فسلم عليهم، كما في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه (١) .

ويمكن أن يناقش : بأن هذه الزيارة لم تكن خاصةً بعبد الله بن سلول؛ لأنه كان معه بعض المسلمين، كعبد الله بن رواحة وغيره .

والذي يظهر رجحانه : هو القول الثالث، القاضي بجواز زيارة الكافر إذا كان يطمع الزائر المسلم في إسلامه، وعدم الجواز في حق من لم يُرجَ إسلامه، أو كان يُعرف عنه كراهة الإسلام وأهله؛ لقوة أدلة هذا القول، ولأن هذا القول يجمع بين أدلة الأقوال الثلاثة، والله تعالى أعلم .



(١) سبق تخريجه ص (٣٥٠)

المبحث الثاني

حكم تعزية غير المسلم فيما أصابه

اختلف أهل العلم في حكم تعزية الكفار على أقوال تقدم ذكرها في حكم زيارة مرضاهم، والأدلة هنا هي الأدلة ذاتها التي سبق ذكرها لكل من الأقوال الثلاثة المشار إليها^(١)، وبناء على ذلك : فما سبق ترجيحه في المبحث المشار إليه هناك هو الراجح هنا، بمعنى : أن من كان يرجى إسلامه من الكفار عزيناه، وإن لم يُرجَ منه ذلك فلا نعزيه ؛ لأن المقصود بالتعزية تسلية أهل المصيبة، وقضاء حقوقهم، والتقرب إليهم، فهي حق للمسلم، أما غير المسلم فينظر في حاله، فإذا كان ممن يُرجى فيهم قبول الإسلام فيعزى، ويكون ذلك توطئة أو تمهيداً لدعوته إلى اعتناق الإسلام، وإلا فلا يعزى.

أما صيغة تعزية الكافر فذكر ابن عابدين^(٢) - رحمه الله - : أنه يعزيه ويقول: أخلف الله عليك خيراً منه وأصلحك ، وكأن معناه: أصلحك الله بالإسلام يعني رزقك الإسلام وورزقك ولدا مسلماً .

وقال حرب : " قلت لإسحاق : فكيف يعزى المشرك ؟ قال : يقول : أكثر الله مالك وولدك " ^(٣) .

وقال الحسن - رحمه الله - : " إذا عزيت الذمي فقل لا يصيبك إلا خير " ^(٤) .

(١) قال ابن قدامة في المغني (٢١٢/٢) : " وتوقف أحمد - رحمه الله - عن تعزية أهل الذمة، وهي تخرج على عيادتهم " وفيها روايتان : أحدهما : لا نعودهم، فكذلك لا نعزيهم؛ لقول النبي ﷺ : " لا تبدؤهم بالسلام " وهذا معناه، الثانية : نعودهم؛ لأن النبي ﷺ : " أتى غلاماً من اليهود - وكان مريضاً - يعوده، فقعده عند رأسه، فقال له : " أسلم " فنظر إلى أبيه - وهو عند رأسه - فقال له : أطع أبا القاسم، فأسلم، فقام النبي ﷺ وهو يقول : " الحمد لله الذي أنقذه بي من النار " فعلى هذا نعزيهم فنقول في تعزيتهم . أخلف الله عليك ولا نقص عدوك ويقصد زيادة عددهم لتكاثر جزيتهم " ومثله تماماً في الكافي (٢٧٣/١)، الفروع (٢٢٩/٢)، وينظر: حاشية ابن عابدين (٣٨٨/٦)، مغني المحتاج (٤٣/٢)، حاشية البجيرمي (٣٠٨/٢) .

(٢) في حاشيته (٣٨٨/٦) .

(٣) أحكام أهل الذمة (٢٠٥ / ١) .

(٤) المصدر السابق .

وذكر الأثرم عن إبراهيم قال : " إذا أردت أن تعزي رجلاً من أهل الكتاب فقل:
أكثر الله مالك وولدك، وأطال حياتك أو عمرك " ^(١) .
وقال عباس بن محمد الدوري : سألت أحمد بن حنبل قلت له : اليهودي والنصراني
يعزيني أي شيء أرد عليه ؟ فأطرق ساعة ثم قال : " ما أحفظ فيه شيئاً " ^(٢) .
وقال الفضل بن زيادة : سألت أبا عبد الله كيف يعزي النصراني ؟ قال : " لا
أدري "، ولم يعزه ^(٣) .



(١) أحكام أهل الذمة (٢٠٥/١) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

الفصل الثالث

حفظ المعروف والفضل لمستحقه من غير المسلمين

من أحمل وأسمى الآداب والأخلاق التي جاءت بها السنة النبوية : حفظ الفضل، والاعتراف بالجميل لصاحبه، فلقد أكد النبي الكريم ﷺ على ذلك بقوله، وبينه بفعله؛ لأنها صفة كريمة عظيمة، تنبئ عن طيب معدن صاحبها، وكرم نفسه، وصفاء طبعه، وخير أصله .

ومن يُسدِّ معروفًا إليك، فكُنْ له شكورًا يكن معروفُهُ غير ضائع
ولا تبخلنْ بالشكر والقرض فاجزه تكن خير مصنوع إليه وصانع^(١)

وقد كان نبينا ﷺ خير مصنوع إليه المعروف، وخير صانع، وقد صنع إليه معروفًا المطعم بن عدي، حيث أدخله في جواره بمكة، وذلك حينما بعث رسول الله ﷺ^(٢) عبدالله بن أريقط إلى الأخنس بن شريق، فطلب منه أن يجيره بمكة، فقال : إن حليف قريش لا يجير على صميمها ، ثم بعثه إلى سهيل بن عمرو؛ ليجيره فقال : إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب بن لؤي، فبعثه إلى المطعم بن عدي ليجيره، فقال : نعم، قل له فليأت ، فذهب إليه رسول الله ﷺ فبات عنده تلك الليلة، فلمَّا أصبح خرج معه هو وبنوه ستة أو سبعة، متقلدي السيوف جميعاً، فدخلوا المسجد، وقال لرسول الله ﷺ : طف ، واحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف، فأقبل أبو سفيان إلى مطعم فقال : أبحير أم تابع ؟ قال : لا بل مجير . قال : إذا لا تخفر^(٣) فجلس معه حتى قضى رسول الله ﷺ طوافه، فلمَّا انصرف انصرفوا معه، وذهب أبو سفيان إلى مجلسه، قال : فمكث أياماً، ثم أُذن له في الهجرة، فلمَّا هاجر ﷺ إلى المدينة، توفي المطعم بن عدي بعده بيسير، فقال حسان بن ثابت : والله لأرثينه، فقال فيما قال :

(١) للمتصر بن بلال كما في روضة العقلاء لابن حبان ص (٢٦٤)

(٢) ينظر: تاريخ الطبري (٣٤٧/٢)، سيرة ابن هشام (٣٨١ / ١)، البداية والنهاية (٣٤٣/٣ - ٣٤٤)

(٣) لا تخفر : لا ينقض عهدك ، ينظر: اللسان ، خفر ، (٢٥٣/٤)

فلو كان مجد يخلد اليوم واحداً من الناس نجى مجده اليوم مطعماً
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا عبادك ما لى محل وأحرماً
فلو سئلت عنه معداً بأسرها وقحطان أو باقي بقيّة جرهما
لقالوا هو الموفي بخفرة جاره وذمّته يوماً إذا ما تدمّما
وما تطلع الشمس المنيرة فوقهم على مثله فيهم أعزّ وأكرماً
أيّاً إذا يابى وألين شيمة وأنوم عن جارٍ إذا الليل أظلماً^(١)

قال ابن كثير - رحمه الله - : ^(٢) " ولهذا قال النبي ﷺ يوم أسارى بدر: " لو كان المطعم بن عدي حياً ثم سألتني في هؤلاء لو هبّتهم له " ^(٣) .
يريد بذلك : أن النبي ﷺ خصه دون غيره بقبول الشفاعة في إطلاق سراح أسرى بدر، وأنه لو كان حياً وطلب ذلك منه، لتركهم له، وفاءً له، وحفظاً لمعرفه السابق، حينما طلب النبي ﷺ منه أن يدخل بجواره في مكة، بعدما آذاه قومه وطرده، فقبل ذلك المطعم، ووفى للنبي ﷺ وجند بنيهِ للدفاع عنه، وعنف قريشاً على ما تقوم به من أذى النبي ﷺ وقال لهم : " إِنَّكُمْ قَدْ فَعَلْتُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، مَا فَعَلْتُمْ، فَكُونُوا أَكْفَ النَّاسِ عَنْهُ " ^(٤) ومن هذا الموقف النبوي نعلم أن من الخلال الكريمة، والأخلاق الحميدة، التي رغب فيها دين الإسلام، وأكدت عليها السنة النبوية، الوفاء لأصحاب الفضل، وعدم نسيان معروفهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ ^(٥) ، وقد قال النبي ﷺ " مَنْ لَا يَشْكُرْ

(١) ديوان حسان ص (٢٤٣ ، ٢٤٤) .

(٢) البداية والنهاية (٣ / ٣٤٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فرض الخمس باب ما من النبي ﷺ على الأسارى من غير أن يخمس ح (٣١٣٩) من حديث جبير بن مطعم .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢ / ١٢٢) ح (١٥٣١) ، من طريق يعقوب بن محمد الزهري ، عن عبد العزيز بن عمران ، عن محمد بن صالح التمار، عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه .

وفي هذا الإسناد: يعقوب بن محمد الزهري ، قال في الجمع (٦ / ٦٥) : " فيه يعقوب بن محمد الزهري ، وهو ضعيف مدلس وقد وثق . " قال الحافظ في التقریب ص (٦٠٨) : " صدوق كثير الوهم والرواية عن الضعفاء "

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧ .

النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ " ^(١) ، وقال أيضاً : " مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الشَّاءِ " ^(٢) ، وقال : " وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ ، حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَيْتُمُوهُ " ^(٣) .

وحفظ الفضل والمعروف لصاحبه، كما هو مشروع إذا كان المتفضل مسلماً، فهو أيضاً مشروع إذا لم يكن مسلماً، لحفظ النبي ﷺ الجميل لمطعم بن عدي - كما سبق-، ولأنها خُلة خلقية، تُملئها الفطر السليمة، وتأبى نكرانها الشيم النبيلة.



(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف ، ح (٤٨١١) والترمذي في جامعه ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ح (١٩٥٤) ، وأحمد ح (٧٥٠٤) ، والبخاري في الأدب المفرد ح (٢١٨) وابن حبان كما في الإحسان ح (٣٤٠٧) ، من حديث أبي هريرة ؓ ، قال الترمذي: " حديث حسن صحيح " .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في المتشبع بما لم يعط ح (٢٠٣٥) ، والنسائي في اليوم والليلة ح (١٨٠) ، وابن حبان كما في الإحسان ح (٣٤١٣) من حديث أسامة بن زيد ؓ قال: قال رسول الله ﷺ

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الزكاة ، باب عطية من سأل بالله ، ح (١٦٧٢) ، وأحمد في مسنده ، ح (٥١١٠) ، وابن حبان كما في الإحسان ح (٣٤٠٨) من طريق الأعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

الفصل الرابع

قبول الحق ممن جاء به من غير المسلمين

دين الإسلام هو دين العدل، الذي جاء بالحق، وأمر به قولاً وعملاً واعتقاداً، وهو الذي أسس في ذويه وأتباعه تُشدان الحق، والسعي في طلبه أنى كان وممن كان، لا فرق بين أحدٍ وأحد فيه، فالعلم به والوصول إليه هو الرائد الذي يجب أن يكون عليه كل مسلم دان بهذا الدين الحق ، وقد حفلت سنة النبي الكريم ﷺ بالعديد من المواقف المشرفة، التي تأسس لمنهج إسلامي عادل، يُعظم الحق ، ويرفعه ويجله ، لا لصدوره من ذات معينة ، بل لأنه الحق الذي ينبغي أن يكون المبتغى لكل حي عاقل ، وقد كان النبي ﷺ نموذجاً رفيعاً في التجرد لقبول الحق ، حتى لو جاء من أعدائه ، بل قد قبل ﷺ الحق من ألد أعدائه وهو الشيطان ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : وَكَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمْضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ قَالَ: فَخَلَيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ ؟ " قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَأ حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: " أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ " ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ ؟ " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَأ حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ ، قَالَ: " أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ . " فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، أَنْتَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا ، قُلْتُ: مَا هُوَ ؟ قَالَ: إِذَا أُوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ ؟ " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ

يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ: " مَا هِيَ ؟ " قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ^(١)، وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ وَكَأَنَّا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ، وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ " قَالَ: لَا قَالَ: " ذَاكَ شَيْطَانٌ " ^(٢) .

وجاءت القصة عن ابن أبي بن كعب أن أباه ﷺ أخبره أنه كَانَ لَهُ جُرْنٌ مِنْ تَمْرٍ ^(٣)، فَكَانَ يَنْقُصُ ، فَحَرَسَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَإِذَا هُوَ بِدَابَّةٍ شَبِهَ الْغُلَامِ الْمُحْتَلِمِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَردَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ، فَقَالَ : مَا أَنْتَ ، حَنِيٌّ أَمْ إِنْسِيٌّ ؟ ، قَالَ : لَا بَلْ حَنِيٌّ ، قَالَ : فَنَاولْنِي يَدَكَ ، فَناولَهُ يَدَهُ ، فَإِذَا يَدُهُ يَدُ كَلْبٍ ، وَشَعْرُهُ شَعْرُ كَلْبٍ ، قَالَ : هَكَذَا خَلَقَ الْجِنَّ ، قَالَ : قَدْ عَلِمْتَ الْجِنُّ أَنَّ مَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَشَدُّ مِنِّي ، قَالَ : فَمَا جَاءَ بِكَ ؟ قَالَ : بَلَعْنَا أَنَّكَ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ ، فَجِئْنَا نُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ ، قَالَ : فَمَا يُنْجِينَا مِنْكُمْ ؟ قَالَ : هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ مِنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُصْبِحَ ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُمْسِيَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : " صَدَقَ الْخَبِيثُ " ^(٤) .

(١) سورة البقرة الآية: ٢٥٥ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً (البخاري مع الفتح ٤/ ٤٨٧) ، عن عثمان بن الهيثم عن عوف عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ﷺ ، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة موصولاً (٣٥٠/٩)، ح (١٠٧٢٩)، عن إبراهيم بن يعقوب عن عثمان بن الهيثم به ، قال ابن حجر في الفتح (٤/ ٤٨٨) : " وقد وصله النسائي والإسماعيلي وأبو نعيم من طرق إلى عثمان المذكور ، وذكرته في تعليق التعليق من طريق عبد العزيز بن منيب ، وعبد العزيز بن سلام ، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، وهلال بن بشر الصوان ، ومحمد بن غالب ... ، وأقرهم لأن يكون البخاري أخذه عنه إن كان سمعه من ابن الهيثم ، هلال بن بشر فإنه من شيوخه ، أخرج عنه في جزء القراءة خلف الإمام " ، وينظر: تعليق التعليق (٢٩٥/٣) .

(٣) هو موضع تجفيف التمر ، ينظر : النهاية لابن الأثير (٧٣٨/١) .

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان ح (٧٨٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (١٠٨/٧)، والبخاري في تاريخه (٢٨/١)، والبغوي في شرح السنة ح (١١٩٧)، والنسائي في عمل اليوم والليلة ح (٩٦٠)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٢٦٥/٢)، كلهم من طريق الأوزاعي ، قال : حدثنا يحيى ابن أبي كثير عن ابن أبي بن كعب عن أبيه أبي ، وأخرجه البخاري في تاريخه (٢٧/١)، والطبراني في الكبير (٢٠١/١) ح (٥١)، من طريق إبان بن يزيد عن يحيى ابن أبي كثير عن الحضرمي بن لاحق عن محمد بن أبي بن كعب

والشاهد من الحديثين : تصديق النبي ﷺ للشيطان، وقبوله الحق الذي أوصى به، قال ابن حجر - رحمه الله - : " في حديث أبي هريرة من الفوائد : أن الشيطان قد يعلم ما ينتفع به المؤمن ، وأن الحكمة قد يتلقاها الفاجر فلا ينتفع بها وتؤخذ عنه فينتفع بها" ^(١).

ومن الأدلة أيضاً على قبول الحق ممن جاء به من غير المسلمين: ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿مَافَكَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (٢).

والشاهد منه أن النبي ﷺ قبل الحق من الخبر اليهودي وصدق ما قال .
قال ابن بطال - رحمه الله - : " فضحك النبي ﷺ تصديقاً له ، وتعجباً من كونه يستعظم ذلك في قدرة الله تعالى ، وأن ذلك ليس في جنب ما يقدر عليه بعظيم ، ولذلك قرأ قوله تعالى : ﴿ مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ " (٣) .



عن أبيه ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٧/١٠ - ١١٨) : " رجاله ثقات " ، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٥٦٢/١) ، من طريق أبي داود الطيالسي عن حرب بن شداد عن يحيى بن أبي كثير ، عن الحضرمي بن لاحق ، عن محمد بن عمرو بن أبي بن كعب عن جده أبي بن كعب ، وصححه .

(١) فتح الباري (٤/٤٨٩) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب قوله : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ... ﴾ ح (٤٨١١) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب صفة القيامة والجنة ، والنار ، ح (٢٧٨٦) ، والآية بسورة الزمر آية : ٦٧ .

(٣) شرح ابن بطلال لصحيح البخاري (١٠ / ٤٤١)، وينظر: فتح الباري لابن حجر (١٣ / ٣٩٨ - ٣٩٩).

الفصل الخامس

إنصاف غير المسلمين

كان هدي النبي ﷺ أكمل الهدي في التعامل مع غير المسلمين ، وخاصة من كان منهم بين ظهري المسلمين ، فهذا هو ﷺ يقول : " مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بَغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (١) .
ويقول ﷺ : " مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا " (٢) .

كما حَرَصَ الخلفاء الراشدون والصحابة من بعده على ذلك ، فهذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي بأهل الذمة في مرض موته ويقول : " أَوْصِيي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَأَوْصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَلَا يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ " (٣) .

وعن المُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ أنه قال عِنْدَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ عَمْرٍو : أَبْصِرْ مَا تَقُولُ قَالَ : أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ إِنْ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا : إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ ،

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الخراج ، باب في تعشير أهل الذمة ، (١٨٧ / ٢) ح (٣٠٥٢) ، والبيهقي في سننه (٢٠٥ / ٩) ، من طريق ابن وهب قال : حدثني أبو صخر المدني أن صفوان بن سليم أخبره عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ ، وهذا الحديث قد اختلف فيه ، فقال السخاوي في المقاصد الحسنة ص (٣٩٢) ، ح (١٠٤٤) : " سنده لا بأس به ، ولا يضره جهالة من لم يسم من أبناء الصحابة ، فإنهم عدد ينحبر بجهالتهم ، ولذا سكت عنه أبو داود " ، ونقل ابن كثير في كتابه علوم الحديث ص (١٦١) ، عن الإمام أحمد - رحمه الله - أنه قال : " أربعة أحاديث تدور بين الناس في الأسواق لا أصل لها ... وذكر منها : " من آذى ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة " ، لكن قال العراقي في فتح المغيث (٣٦ / ٣) : " لا يصح هذا الكلام عن أحمد ، فإنه أخرج حديثاً منها في المسند " ، وقال أحمد شاکر في الباعث الحثيث ص (١٦١) : " هو بهذا اللفظ لا أصل له ، لكن ورد معناه بأسانيد كثيرة لا بأس بها " ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥٩٠ / ٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجزية ، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم ح (٣١٦٦) ، والنسائي في سننه (٢٥ / ٨) ، وابن ماجه ح (٣٦٨٦) من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان ح (٣٧٠٠) .

وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمَسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ وَخَامِسَةً حَسَنَةً جَمِيلَةً، وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ ^(١) .

فانظر إلى إنصاف عمرو وذكره ما يعلمه من الخصال الحسنة للروم ، مع أننا لا نشك في براءته ﷺ منهم .

ومن شواهد إنصاف الصحابة رضي الله عنهم غير المسلمين ما جاء عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حينما بعثه رسول الله ﷺ خيبر ليخْرِصَ لهم الثَّمار ، فأرادوا أن يَرشُوهُ ، فقال عبد الله : " يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ أَنْتُمْ أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ، قَتَلْتُمْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ وَعَجَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ، وَلَيْسَ يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ، قَدْ خَرَصْتُ عِشْرِينَ أَلْفَ وَسْقٍ مِنْ تَمَرٍ فَإِنْ شِئْتُمْ فَلَكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلِي فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ^(٢) .

قال ابن عبد البر - رحمه الله - معلقاً على الحديث : " وفيه أن المؤمن وإن أبغض في الله لا يحمله بغضه على ظلم من أبغضه " ^(٣) .

لقد امتثل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه للمنهج الرباني الذي يكفل العدل بين الناس ، والذي يعطي كل ذي حق حقه من المسلمين وغير المسلمين ، ففي هذا الحق يتساوى عند الله المؤمنون وغير المؤمنين . قال تعالى : ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١٣٥ ﴾ ^(٤) وقد أقر اليهود صنيع عبد الله بن رواحة لعلمهم أن العدل مما أمر الله ﷻ به الناس جميعاً ؛ لأنه واجب لكل أحد على كل أحد في جميع

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس ح (٢٨٩٨)

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٦٧/٣)، ح (١٤٩٥٣)، من طريق محمد بن سابق عن إبراهيم بن طهمان عن

أبي الزبير عن جابر بن عبد الله ، وأخرجه أبو داود في سننه ، كتاب البيوع ، باب في المساقاة ح (٤٣١٠) ،

وابن ماجه في سننه ، كتاب الزكاة ، باب خرص النخل والعنب ح (١٨١٠) من حديث عبد الله بن عباس

، وفيه : " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ اشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَهُ الْأَرْضُ وَكُلُّ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ - يَعْنِي الذَّهَبَ

وَالْفِضَّةَ - وَقَالَ لَهُ أَهْلُ خَيْبَرَ: نَحْنُ أَعْلَمُ بِالْأَرْضِ فَأَعْطَيْنَاهَا عَلَى أَنْ نَعْمَلَهَا وَيَكُونَ لَنَا نِصْفُ الثَّمَرَةِ، وَلَكُمْ

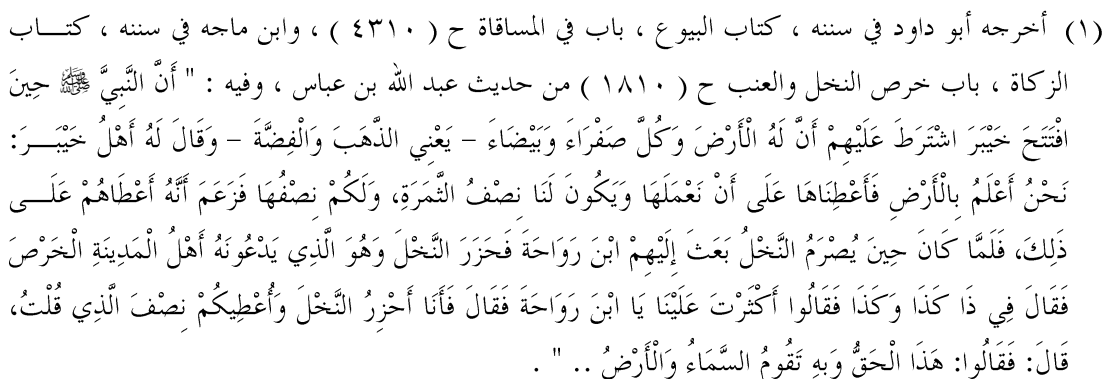
نِصْفُهَا فَرَعِمَ أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ حِينَ يُصْرَمُ النَّخْلُ بَعَثَ إِلَيْهِمْ ابْنَ رَوَاحَةَ فَحَزَرَ النَّخْلَ وَهُوَ

الَّذِي يَدْعُونَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الْخُرْصَ فَقَالَ فِي ذَا كَذَا وَكَذَا فَقَالُوا أَكْثَرْتَ عَلَيْنَا يَا ابْنَ رَوَاحَةَ فَقَالَ فَأَنَا أَحْزِرُ

النَّخْلَ وَأَعْطَيْتُكُمْ نِصْفَ الَّذِي قُلْتُ، قَالَ: فَقَالُوا: هَذَا الْحَقُّ وَبِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ .. " .

(٣) التمهيد (١٤٠/٩) .

(٤) سورة النساء الآية : ١٣٥ .



381

الفصل السادس

الإحسان إلى الأقارب غير المسلمين

الإسلام كله برٌّ وخيرٌ وإحسان، حتى على المعرضين عن عبادة الله تعالى، الخارجين على دينه، ومن دلائل خيرية هذا الدين على غير أهله أنه شرع الإحسان إلى القريب ولو كان كافراً .

ومن الأدلة الدالة على ذلك ما يلي :

أولاً: عموم الأدلة الدالة على وجوب الإحسان إلى القريب من أب، أو أخ، أو غيرهما من الأقارب، كأمثال قوله تعالى: ﴿ وَفَضَىٰ رَيْكَ ۖ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَنًا إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٣٣﴾^(١) أي : إن بلغت حال الكبر - وهو حال التكليف - وقد بقي معك أبواك أو أحدهما فلا تقل لهما أفٌّ ، وذكر ليث عن مجاهد قال : " لا تقل لهما أفٌّ إذا بلغا من الكبر ما كانا يليان منك في الصغر فلا تقل لهما أف " ^(٢) .

قال أبو بكر الجصاص - رحمه الله - : " اللَّفْظُ مُحْتَمِلٌ لِلْمَعْنَيْنِ فَهُوَ عَلَيْهِمَا ، وَلَا مُحَالَةٌ أَنْ يُلَوِّغَ الْوَلَدُ شَرْطَ فِي الْأَمْرِ ؛ إِذْ لَا يَصِحُّ تَكْلِيفُ غَيْرِ الْبَالِغِ ، فَإِذَا بَلَغَ حَالُ التَّكْلِيفِ وَقَدْ بَلَغَاهُمَا حَالُ الْكِبَرِ وَالضَّعْفِ أَوْ لَمْ يَبْلُغَا فَعَلَيْهِ الْإِحْسَانُ إِلَيْهِمَا وَهُوَ مَزْجُورٌ أَنْ يَقُولَ لَهُمَا أَفٌّ ، وَهِيَ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى الضَّجَرِ وَالتَّيْرَمِ " ^(٣) .

وهذه الآية وما شابهها من النصوص التي أمرت بالإحسان إلى الأبوين والأقارب تدلّ بعمومها على مشروعية الإحسان إلى القريب، الأولى فالأولى.

وقال تعالى ﴿ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ ۝٤٤﴾^(٤) ، قال ابن حزم - رحمه الله - : " وقد أثبت الله عِجْلَ فِي النُّفُوسِ كُلِّهَا اخْتِلَافَ وَجْهِهِ الْإِحْسَانُ إِلَى مَنْ ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، وَجَاءَتْ النُّصُوصُ بَيَانُ ذَلِكَ ، فَالْإِحْسَانُ إِلَى الْأَبَوَيْنِ : الصَّبْرُ لِفَتَائِهِمَا ، وَتَوْقِيرُهُمَا ،

(١) سورة الإسراء، الآية : ٢٣ .

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٨ / ٥٧) .

(٣) أحكام القرآن (٣ / ٢٩١) .

(٤) سورة النساء، الآية : ٣٦ .

وتعظيمهما، وطاعتهما، ما لم يأمر بمعصية، قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِضْلُهُ فِي عَمَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الْمَصِيرِ ۝١٤ ﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴿١﴾ ، فهما وإن أمرا بالشرك فواجب - مع ذلك - أن يصحبا بالمعروف، وهذا يقتضي كل ما قلنا، والإحسان إلى ذي القربى: أن يدفع عنهم الأذى، وأن يكرمهم، ويحوطهم، ويقوم في أمورهم، وأن لا يسلمهم إلى ضرر " (٢) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ (٣) وفي الحديث : " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ رَحِمٍ " (٤) ، و " الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ : مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ " (٥) .

وإذا تأملت قوله تعالى : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝٣٦ ﴾ (٦) المسماة بآية الحقوق، وجدت أن كل من ذكر في هذه الآية فحقه واجب، وإن كان كافراً، يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ... ﴾ اليهودي والنصراني، ورأس الإحسان في هذه الآية الكريمة هو الإنفاق على القريب الكافر، عند ضرورته وحاجته " (٧) .

وقال تعالى : ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨ ﴾ (٨) .

فأباح الله تعالى برهم وإن كانوا مشركين، إذا لم يكونوا أهل حرب .

(١) سورة لقمان الآيتين : ١٤ - ١٥ .

(٢) المحلى (٢٧٧ / ٩) .

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب إثم القاطع ح (٥٩٨٤) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب صلة الرحم وتحريم قطعها ، ح (٢٥٥٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله ح (٥٩٨٩) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم، وتحريم قطيعتها ح (٢٥٥٥) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٦) سورة النساء ، الآية : ٣٦ .

(٧) تفسير القرآن العظيم (٤٩٤ / ١) .

(٨) سورة الممتحنة، الآية : ٨ .

وليس من الإحسان، ولا من المعروف أن يترك المسلم أباه وأمه في غاية الضرورة والفاقة، وهو في غاية الغنى، وقد ذم الله - تبارك وتعالى - قاطعي الرحم، وعظم قطيعتها، وأوجب حقها، وإن كانت كافرة، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ (١) (٢).

ثانياً: ما جاء في الصحيحين، أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: " قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: أَفَأَصِلُ أُمِّي ؟ قَالَ: " نَعَمْ صِلِي أُمَّكَ " (٣) .

وجه الدلالة: أنه ﷺ لم يأمر بصلتها - وهي مشركة كافرة - إلا لأجل الرحم، فأما الصدقة الواجبة إليها فمحل خلاف سبق بحثه .

وقال الخطابي - رحمه الله - - معلقاً على حديث أسماء - : " فيه أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه، كما توصل المسلمة، ويستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر، والأم الكافرة، وإن كان الولد مسلماً " (٤) .

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : " صلة الرحم واجبة، وإن كانت كافرة فله دينه، وللواصل دينه، وقياس النفقة على الميراث قياس فاسد، فإن الميراث مبناه على النصرة والموالاتة، بخلاف النفقة، فإنها صلة ومواساة من حقوق القرابة، وقد جعل الله للقرابة حقاً، وإن كانت كافرة " (٥) .

ثالثاً: حديث أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ " مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ " (٦) .

(١) سورة النساء، الآية: ١ .

(٢) ينظر: أحكام أهل الذمة (٢/٤١٨) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهدية للمشركين ح (٢٦٢٠)،

(، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوجة ح (١٠٠٣) .

(٤) معالم السنن (٢/٧٦)، وينظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٧/٨٩) .

(٥) فتح الباري (٥/٢٧٧) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقيله، ومعانقته، ح (٥٩٩٧)، ومسلم في

في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان، والعيال، ح (٢٣١٨) من حديث أبي هريرة ؓ قال: قَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا فَقَالَ الْأَقْرَعُ إِنَّ لِي عَشْرَةَ

قال ابن بطلال - رحمه الله - : " فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل المؤمن والكافر والبهائم المملوك منها وغير المملوك ، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب " (١) .

رابعاً: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ " (٢) .

قال ابن حجر - رحمه الله - : " واستدل به على جواز صدقة التطوع للمشركون، وينبغي أن يكون محله ما إذا لم يوجد هناك مسلم، فالمسلم أحق، وكذا إذا دار الأمر بين البهيمة والآدمي المحترم، واستويا في الحاجة، فالآدمي أحق " (٣) .

وإذا جازت صدقة التطوع على المشرك عموماً فالقريب المشرك من باب أولى، وكل ذلك من الإحسان والرحمة التي جاء بهما الإسلام، والله أعلم .



مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبِلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: " مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ " ، وأخرجه البخاري ح (٦٠١٣) ، ومسلم ح (٢٣١٩) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه .

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطلال (٢١٩/٩) ، وينظر: فتح الباري (٤٥٥/١٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء ، ح (٢٣٦٣) ، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة، ح (٢٢٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ : بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ التُّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ .

(٣) فتح الباري (٥٢/٥) .

الفصل السابع

صلة الأقارب غير المسلمين

تدل جميع الأدلة المتقدمة في الفصل السادس على وجوب صلة القريب الكافر؛ لأن الصلة نوعٌ من الإحسان، وداخلهٌ ضمنه، وقد ورد النص على الصلة في بعض هذه الأدلة ، كحديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَصِلُهَا ؟ ، قَالَ : " نَعَمْ " قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا : ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ^(١) " (٢) ، قد بوب عليه البخاري : " باب صلة الوالد المشرك " (٣) .

قال القسطلاني : " قال أكثر أهل التأويل : هي محكمة واحتجوا بحديث أسماء " (٤) بل إن رواية أبي داود الطيالسي جاءت صريحة في أن قصة أسماء هذه كانت سبباً في نزول الآية الكريمة، قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه : إن أبا بكر طلق امرأته قتيلة في الجاهلية - وهي أم أسماء بنت أبي بكر - فقدمت عليهم في المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش ، فأهدت إلى أسماء بنت أبي بكر قرطاً وأشياء ، فكرهت أن تقبل منها ، حتى أتت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ^(٥) .

وعن مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ : حَلَفْتُ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ قَالَتْ : زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ

(١) سورة الممتحنة، الآية : ٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب صلة الوالد المشرك ح (٥٩٧٩) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج ح (١٦٧٠) .

(٣) البخاري مع الفتح (٤١٣/١٠) .

(٤) إرشاد الساري، شرح صحيح البخاري (١٤/١٣) .

(٥) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ح (١٧٤٤) ، وأحمد في مسنده ح (١٦١٥٦) ، وأبو يعلى كما في المطالب العالية ح (٤١٥١) ، والحاكم في مستدركه (٤٨٥/٢) ، من طريق عبد الله بن المبارك عن مصعب ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير عن عامر ابن عبد الله بن الزبير عن أبيه .. وإسناده ضعيف ؛ لأنه من رواية مصعب بن ثابت ، وهو لين الحديث . ينظر: التقريب ص (٥٣٣) .



، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم استعمال الذهب والفضة ، ح (٢٠٦٨) .

الفصل الثامن

تسميت غير المسلم إذا عطس

جاء في السنة بيان كيفية تسميت العاطس غير المسلم ، وذلك فيما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كَانَ الْيَهُودُ يَتَعَاطِسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: " يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ " ^(١)

قال ابن دقيق العيد: " إذا نظرنا إلى قول من قال من أهل اللغة : إنَّ التسميت الدعاء بالخير، دخل الكفار في عموم الأمر بالتسميت، وإذا نظرنا إلى من خصَّ التسميت بالرحمة لم يدخلوا، قال: ولعلَّ من خصَّ التسميت بالدعاء بالرحمة بناه على الغالب؛ لأنه تقييد لوضع اللفظ في اللغة " ^(٢) .

وهذا البحث منشأه من حيث اللغة، وأما من حيث الشرع فقد دل حديث أبي موسى رضي الله عنه على أنهم يدخلون في مطلق الأمر بالتسميت، لكن لهم تسميت خاص، وهو الدعاء لهم بالهداية، وإصلاح البال ^(٣) .

وقال الصنعاني - رحمه الله - : " في هذا الحديث دليل على أنه يقال لهم ذلك، ولكن إذا حمدوا " ^(٤)

وقال صاحب عون المعبود : " ولا يقول لهم: يرحمكم الله؛ لأنَّ الرحمة مختصة بالمؤمنين " ^(٥)

ومن خلال ما سبق يتضح لنا : أنَّ المسلم يشمت الكافر تسميتاً خاصاً، دون الدعاء له بالرحمة، ويكون ذلك إذا حمد الله ﷻ فقط ، وصيغتها " يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ " .

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب كيف يشمت الذمي (٣١٠/٤)، ح (٥٠٣٨)، والترمذي في جامعه ، كتاب الأدب ، باب ما جاء كيف تسميت العاطس، (٧٦/٥) ح (٢٧٣٩)، من طريق سفيان عن حكيم بن ديلم عن أبي بردة عن أبيه ، قال الترمذي: " حديث حسن صحيح . " ، وحكيم بن ديلم صدوق ، كما قاله ابن حجر في التقریب ، ص (١٧٦) .

(٢) ينظر: فتح الباري (٦١٩/١٠) .

(٣) ينظر: فتح الباري (٦١٩/١٠) .

(٤) سبل السلام (١٥١/٤) .

(٥) عون المعبود (٣٥٧/١٣) .

، والدليل على ذلك حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه الذي نحن بصدده، وإن كان الكافر مرحوماً الرحمة العامة، التي هي لجميع الخلق، كما دلَّ على ذلك قوله ﷺ : " مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ " ^(١) .

وأما المسلمون فهم مرحومون، الرحمة العامة والخاصة .



(١) سبق تخريجه ص (٣٨٤) .

الفصل التاسع

حكم قبول هدايا غير المسلمين

لم يكن النبي ﷺ يقبل هدايا المشركين المحاربين، بخلاف أهل الكتاب وغيرهم، ففي قبول هداياهم والإهداء إليهم تفصيل:

أ- هدية المشرك المحارب :

ثبت في السنة أن النبي ﷺ لم يقبل هدية مشرك محارب، وبذلك تواترت الأحاديث، ومن ذلك ما يلي :

الدليل الأول: حديث عِيَّاضُ بْنُ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ قَالَ: أَهْدَيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَاقَةً فَقَالَ: " أَسْلَمْتَ ؟ " فَقُلْتُ: لَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " إِنِّي نُهِيتُ عَنْ زَبْدِ الْمُشْرِكِينَ " ^(١) . قال الخطابي - رحمه الله - : " وإنما رد هديته لمعنيين : أحدهما: ليغيظه برد هديته، فيمتنع من ذلك، فيحمله على الإسلام ، والآخر : أن للهدية موضعاً من القلب، ولا يجوز عليه أن يميل بقلبه إلى مشرك، فردّ الهدية ، قطعاً لهذا الميل، وليس ذلك مناقضاً لقبوله ﷺ هدية النجاشي، فإنه ليس بمشرك، وإنما كان كتابياً " ^(٢) .

ويرى ابن حزم - رحمه الله - : أن هذا الحديث منسوخ بحديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال : " غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تَبُوكَ ، وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَغْلَةً بَيْضَاءَ وَكَسَاهُ بُرْدًا ... " ^(٣) ، لأنه كان في تبوك، وكان إسلام عياض قبل تبوك ^(٤) مع أن ملك (أيلة)

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب في الإمام يقبل هدايا المشركين ، ح (٣٠٥٧) ، والترمذي في جامعه ، كتاب السير ، باب في كراهية هدايا المشركين ح (١٥٧٧) ، والبخاري في مسنده ح (٣٤٩٤) ، والطبراني في الكبير (٣٦٤ / ١٧) ح (٩٩٩) ، والبيهقي في السنن (٢١٦ / ٩) ، من طريق عمران القطان عن قتادة عن يزيد بن عبد الله بن الشخير عن عياض بن حمار ، قال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح " .

(٢) معالم السنن (٤١ / ٣) ، وينظر: نيل الأوطار (١٠٧ / ٦) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب خرص الثمر ح (٣١٦١) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي ﷺ ح (١٣٩٢) .

(٤) ينظر: المحلى لابن حزم (١٤٥ / ١٠) ، فتح الباري (٢٣٠ / ٥) .

لم يكن محارباً، حيث لم يلحق النبي ﷺ حرباً في تبوك، وما أخذه النبي ﷺ منه يعتبر فيئاً لا هدية.

الدليل الثاني : ما جاء عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ورجال من أهل العلم، أن عامر بن مالك - ملاعب الأسنة - قدم على رسول الله ﷺ وهو مشرك، فأهدى إلى النبي ﷺ فقال : " إني لا أقبل هدية مشرك " ^(١) ، وكان النبي ﷺ قد عرض عليه الإسلام فأبى .

الدليل الثالث : ما جاء عن ابن بريدة أن عامر بن الطفيل أهدى إلى النبي ﷺ فرساً، فكتب إليه : إنه قد ظهر بي مثل الدبيلة ^(٢) فابعث إلي بدواء من عندك ، قال : فرد رسول الله ﷺ الفرس، من أجل أنه لم يكن مسلماً، وأهدى إليه عكة من عسل، وقال : " تداوى به من هذا الذي بك " ^(٣) .

الدليل الرابع : حديث عراك بن مالك أن حكيم بن حزام ﷺ قال: كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ أَحَبَّ رَجُلٍ فِي النَّاسِ إِلَيَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا تَنَبَّأَ وَخَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ، شَهِدَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ الْمَوْسِمَ وَهُوَ كَافِرٌ فَوَجَدَ حُلَّةً لِدَيِّ يَزَنُ تَبَاعُ فَاشْتَرَاهَا بِخَمْسِينَ دِينَارًا لِيُهْدِيَهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدِمَ بِهَا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ، فَأَرَادَهُ عَلَى قَبْضِهَا هَدِيَّةً، فَأَبَى وَقَالَ : " إِنَّا لَا نَقْبَلُ شَيْئًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَخَذْنَاهَا بِالْثَمَنِ " ^(٤) .

ب - أدلة معارضة لما سبق والجواب عليها :

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣٨٢/٥)، وأبو عبيد في الأموال ، ص (٣٢٧) ح (٦٣١)، من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ورجال من أهل العلم أن عامر بن مالك ... ، قال ابن حجر في الفتح (٢٣٠/٥) : " رجاله ثقات ، إلا أنه مرسل ، وقد وصله بعضهم عن الزهري ولا يصح " .
(٢) الدبيلة : تصغير دبلة، وهي خراج ودمل كبير، يكون في الجوف، يقتل صاحبه . كما في لسان العرب (٢٨١/١)، القاموس المحيط (٢٦٧/١) .

(٣) أخرجه أبو عبيد في كتاب الأموال، ص (٣٢٨)، عن الهيثم بن جميل قال : حدثني عقبة بن عبد الله الأصم قال : حدثنا ابن بريدة قال أهل العلم بالمغازي : إن عامر هو البراء، عامر بن مالك، وإن عامر بن الطفيل لم يزل على عداوته لرسول الله ﷺ حتى مات، قال المحقق : وهذا هو الصحيح .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ح (١٥٣٢٣)، والحاكم في مستدركه (٣٨٤/٣ - ٣٨٥)، والطبراني في الكبير (٢٢٦/٣) ، ح (٣١٢٥)، من طريق الليث بن سعد قال : حدثني عبيد الله بن المغيرة عن عراك بن مالك عن حكيم ابن حزام ، وإسناده صحيح ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥١/٤) : " إسناده جيد ورجاله ثقات "

جاءت أحاديث عديدة تعارض ما سبق ، فمن ذلك:

أولاً : أثر عكرمة أن رسول الله ﷺ أهدى إلى أبي سفيان تمر عجوة، وهو بمكة مع عمرو بن أمية، وكتب إليه أن يهديه أدمًا، فأهداها إليه أبو سفيان. ^(١)

قال أبو عبيد - رحمه الله - : " وإنما وجه هذا عندنا، أن الهدية التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين أهل مكة قبل فتحها، في فترة الهدنة، فأما مع المحاربة فلا " ^(٢) .

ثانياً : ما يروى أن رسول الله ﷺ كتب إلى المقوقس مع حاطب بن أبي بلتعة، " أكرم حاطبًا، وأحسن إليه " ، وكتب معه إلى رسول الله ﷺ : إني قد علمت أن نبياً قد بقي، وإني كنت أظن أنه يخرج من الشام، وأهدى إليه مارية التي ولدت له إبراهيم، وبغلة، وأشياء سوى ذلك، فقبلها رسول الله ﷺ ^(٣) .

قال أبو عبيد - رحمه الله - : " فنرى ذلك - أي قبول هدية المقوقس - أنه كان قد أقرّ بنبوته، ولم يظهر التكذيب للنبي ﷺ ولم يؤيسه من الإسلام، فلهذا نرى النبي ﷺ قبل هديته " ^(٤) .

ثالثاً : قبوله ﷺ الهدية من النجاشي، لكنّ النجاشي كان قد أسلم، وأهدى إلى النبي ﷺ خفين أسودين، فلبسهما ثم توضأ فيهما ^(٥) .

(١) أخرجه القاسم بن سلام في الأموال (٣٢٨/١)، وابن سعد كما في الجزء المتمم للطبقات (٧/١) من طريق جرير بن حازم عن يعلى بن حكيم عن عكرمة أن رسول الله ﷺ أهدى إلى أبي سفيان تمر عجوة وذكره ابن حجر في الإصابة (٤١٣/٣)، وعزاه لابن سعد ، وصحح إسناده .

(٢) الأموال لأبي عبيد (٣٢٨ /١) .

(٣) ذكره أبو عبيد في الأموال ص (٢٧٢) من غير إسناده ، حيث قال: " يُروى أن رسول الله ﷺ ... " ، وأخرج البيهقي في الدلائل (٣٩٦/٤) من طريق أحمد بن عبد الجبار قال : حدثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثنا الزهري ، عن عبد الرحمن بن عبد القاري ، أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، فمضى بكتاب رسول الله ﷺ إلى المقوقس فقبل الكتاب ، وأكرم حاطبًا ، وأحسن نزله ، وسرجه إلى النبي ﷺ ، وأهدى له مع حاطب كسوة ، وبغلة بسرجه ، وخادمتين "

(٤) الأموال لأبي عبيد ص (٣٢٩) ، قال محقق كتاب الأموال، الشيخ خليل هراس : " لا يعتبر هذا إقراراً بالنبوة، ولا دخولاً في الإسلام، كما لا يعتبر رفضاً وإباءً " .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة ، باب المسح على الخفين ، ح (١٥٥) والترمذي في جامعه ، كتاب الأدب، باب ما جاء في الخف الأسود ح (٢٨٢٠)، وابن ماجه في سننه ، باب ما جاء في المسح على الخفين ، ح (٥٤٩) ، وأحمد في مسنده ح (٢٢٩٨١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٧٧/١)، من طريق

رابعاً : حديث علي بن أبي طالب عليه السلام أَنَّ أَكْبَدَرَ دُومَةٍ أَهْدَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ثَوْبَ حَرِيرٍ فَأَعْطَاهُ عَلِيًّا فَقَالَ: شَقَّقْهُ خُمُرًا بَيْنَ الْفَوَاطِمِ ^(١).

خامساً: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ: أَلَا نَقْتُلُهَا ؟ قَالَ: لَا فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ ^(٢) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ^(٣).

الجمع بين أحاديث المنع والجواز :

قال الحافظ - رحمه الله - : " فجمع بينهما الطبري بأن الامتناع عن قبول الهدية فيما أهدي للنبي ﷺ خاصة، والقبول فيما أهدي للمسلمين ، وفيه نظر؛ لأن من جملة أدلة الجواز ما وقعت الهدية فيه خاصة ، وجمع غيره : بأن الامتناع من قبول الهدية في حق من يريد بهديته التودد والموالة ، والقبول في حق من يرجى بذلك تأنيسه، وتأليفه على الإسلام، وهذا أقوى من الأول ، وقيل : يحمل القبول على من كان من أهل الكتاب، والرد على من كان من أهل الأوثان ، وقيل : يمتنع ذلك لغيره من الأمراء، وأن ذلك من خصائصه، ومنهم : من ادعى نسخ المنع بأحاديث القبول للهدية من بعض

وكيع بن الجراح ، قال : حدثنا دهم بن صالح عن شيخ لهم يقال له : حجير بن عبد الله الكندي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن النجاشي أهدي ... ، وإسناده ضعيف ؛ لأنه من رواية دهم بن صالح ، وهو ضعيف ، عن شيخه حجير بن عبد الله الكندي ، وهو مجهول ، ويشهد للحديث ما أخرجه البيهقي في سننه (٢٨٣/١) ، من طريق أبي إسحاق الشيباني عن الشعبي عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ توضأ ومسح على خفيه ، قال : فقال رجل عند المغيرة بن شعبة يا مغيرة ، ومن أين كان للنبي ﷺ خفان ؟ قال : فقال المغيرة : أهداهما إليه النجاشي ، قال البيهقي : " وهذا شاهد لحديث دهم بن صالح " ، وإسناده رجال البيهقي ثقات .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الهبة ، باب هدية ما يكره لبسه ، ح (٢٦١٤) ، مسلم في صحيحه ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء ، وخاتم الذهب على الرجال ح (٢٠٧١) .

(٢) اللهوات : بفتح اللام ، جمع لهاة، وهي سقف الفم ، أو اللحم المشرفة على الحنك ، وقيل: هي أقصى الحلق، وقيل ما يبدو من الفم عند التبس . ينظر: اللسان (٦٥٢/١) ، فتح الباري (٢٣١/٥) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الهبة وفضلها، باب قبول الهدية من المشركين ح (٢٦١٧) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب السلام، باب السم، ح (٤٠٦٠) .

المشركين ، ومنهم : من عكس ، وهذه الأجوبة الثلاثة - الأخيرة - ضعيفة، فالنسخ لا يثبت بالاحتمال، ولا التخصيص " (١) .

الترجيح :

لعل أقرب الأقوال أن يحمل قبول الهدية من أهل الكتاب، والمشركون المسلمين، وعدم قبولها من الوثنيين، والمحاريين ، أو أنه قبل الهدية ممن يرجو تأليفه على الإسلام والله أعلم. ولا يعكر على هذا ما ذكره ابن قدامة - رحمه الله - في المغني من جواز قبول هدية الكفار من أهل الحرب؛ لأن النبي ﷺ قبل هدية المقوقس صاحب مصر (٢) . والجواب أن المقوقس كان كتابياً غير محارب .

ولا يعكر عليه أيضاً ما عنون له البخاري بقوله : " باب قبول الهدية من المشركين " وأورد تحته حديثاً، جاء فيه : جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌ طَوِيلٌ بَعْنَمٍ يَسُوقُهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَبِيعُ أَمْ عَطِيَّةٌ أَوْ قَالَ أَمْ هِبَةٌ ؟ قَالَ: لَا بَلْ يَبِيعُ فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةٌ فَصُنِعَتْ ... " (٣) قال ابن حجر - رحمه الله - : " في الحديث قبول هدية المشرك؛ لأن الرسول سألته : هل يبيع أم يهدي ؟ " (٤) .

والجواب : أن الذي حدث : هو مجرد سؤال من النبي ﷺ للرجل هل يبيع أم يهدي؟، ولم نعلم ما هي النتيجة، فلو أن الرجل أجاب بأنها هدية، فهل كان الرسول ﷺ سيقبلها؟

والواقع أنه ﷺ لم يأخذ من الرجل هدية، وإنما اشترى منه شاة بالثمن، فليس في الحديث دليل على قبول الهدية منه ، وعلى هذا فليس فيه حجة لقبول هدية الوثنيين، ولا

(١) فتح الباري (٢٣١/٥)، وينظر: نيل الأوطار (١٠٨/٦) .

(٢) المغني (٤٩٥/٨) .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين ، ح (٢٦١٨) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الأشربة ، باب إكرام الضيف ، ح (٢٠٥٦) من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر ؓ .

(٤) فتح الباري (٢٣٢/٥ - ٢٣٣) .

يعكر عليه أيضاً : ما جاء عن علي عليه السلام قال : " أَهْدَى كِسْرَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبِلَ مِنْهُ، وَأَهْدَى لَهُ قَيْصَرٌ فَقَبِلَ مِنْهُ، وَأَهْدَتْ لَهُ الْمُلُوكُ فَقَبِلَ مِنْهُمْ " (١) .

والجواب : أنَّ في سند الحديث ثوير بن أبي فاختة، وهو ضعيف (٢) ، فلا ينهض للاحتجاج به، وهناك غير هذا مما يقاس على ما ذكر، ولا يتسع له المقام .
وبهذا يتبين لنا أن النبي ﷺ لم يقبل الهدية من محارب، ولا من وثني، وهو ما قاله أبو عبيد، وأفاده الشوكاني (٣) .



(١) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب السير ، باب ما جاء في قبول هدايا المشركين ح (١٥٧٦) ، وأحمد في مسنده ح (٧٤٧) ، والبزار في مسنده ح (٧٧٨) ، من طريق إسرائيل عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه عن علي عليه السلام ، وإسناده ضعيف ؛ لضعف ثوير بن أبي فاختة ، قال الترمذي عقبه ح (١٥٧٦) : " حديث حسن غريب " .

(٢) ينظر ترجمته في: الجرح والتعديل (٤٧٢/٢) ، تهذيب الكمال (٤٢٩/٤) ، تهذيب التهذيب (٣٢/٢) ، التقريب ص (١٣٥) .

(٣) ينظر: الأموال (١ / ٣٣٠) ، نيل الأوطار (١٠٥ / ٦) .

الفصل العاشر

الإهداء إلى غير المسلمين

اتفق أهل العلم على تحريم إهداء الكفار في مناسباتهم الدينية؛ لأن الإهداء إليهم في تلك المناسبات تعظيم لعيدهم، وعون لهم على كفرهم، ولا ينبغي إعانتهم، ولا مشاركتهم في ذلك، وبهذا يعلم أنه لا يجوز تهنئتهم، ولا الإهداء إليهم، في أعيادهم الدينية؛ لأن في ذلك إقراراً وتعظيماً واعترافاً ومعاونة لهم على الكفر^(١).

أمّا في غير المناسبات الدينية فإنه يجوز الإهداء إليهم، وصلتهم، وبرهم، ومما يدل على جواز الإهداء إليهم ما يلي :

الدليل الأول : قوله تعالى ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُوا كُفْرَهُمْ فِي الْإِيمَانِ وَلَمْ يَخْرُجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢).

حيث أباح الله برهم وإن كانوا مشركين، إذا لم يكونوا أهل حرب لنا، وإن لم يكونوا أقارب، فالقريب أولى بالبر والإحسان^(٣).

الدليل الثاني : حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أَجِيبُوا الدَّاعِيَ، وَلَا تَرُدُّوا الْهَدِيَّةَ ... " ^(٤).

الدليل الثالث : قصة أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - مع أمها، قالت : " قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي ؟ قَالَ: " نَعَمْ صِلِي أُمَّكَ " ^(٥).

(١) وبهذا قال مالك، وأصحاب الشافعي، ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٥٥٢/٢)، أحكام أهل الذمة (٢٥٣/١).

(٢) سورة الممتحنة، الآية : ٨ .

(٣) ينظر: أحكام القرآن للحصاص (١٧٩/٢)، أحكام القرآن لابن العربي (١٨٥/٣)، تفسير ابن كثير (٨٩/٨)، المغني لابن قدامة (١٢١/٦).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ح (٣٨٣٨)، والبخاري في الأدب المفرد ح (١٥٧)، والبزار في مسنده ح (١٢٤٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٤٨/٤)، والطبراني في الكبير (١٩٧/١٠) ح (١٠٤٤٤)، من طريق إسرائيل بن يونس عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وإسناد الحديث جيد .

(٥) سبق تخريجه ص (٣٨٤) .

ووجه الدلالة من هذين الحديثين : كوجه الدلالة من الآية الكريمة، قال الشوكاني رحمه الله - : " فيه دليل على جواز الهدية للقريب الكافر، والآية المذكورة ^(١) تدل على جواز الهدية للكافر مطلقاً، من القريب وغيره، ولا منافاة بين ذلك، وبين قوله تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ^(٢) ، فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل، والآية المذكورة خاصة بمن لم يقاتل، وأيضاً البر والصلة والإحسان، لا تستلزم التحاب والتواد المنهي عنه " ^(٣) .

وقال ابن حجر - رحمه الله - : " استدللَّ به على جواز الهدية للمشركين " ^(٤) .
وقد بوب عليه الإمام البخاري - رحمه الله - : " باب الهدية للمشركين " ^(٥) ، وذكر حديث أسماء - رضي الله عنها - هذا، وحديث عمر رضي الله عنه : أنه أرسل بحلة سيرة إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم ^(٦) .



(١) مراده بالآية المذكورة : آية الممتحنة، رقم : ٨ ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ

وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ .

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢ .

(٣) نيل الأوطار (١٠٦/٦) .

(٤) فتح الباري (٤١٣/١٠) .

(٥) البخاري مع الفتح (٢٣٣/٥) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة، باب : الهدية للمشركين، ح (٢٦١٩) ، ومسلم في صحيحه ،

كتاب اللباس والزينة ، باب : تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال ح (٣٨٥١) .

الفصل الحادي عشر : الدعاء لغير المسلمين

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : حكم الدعاء لغير المسلمين بالهداية .

المبحث الثاني : حكم الدعاء لغير المسلمين بالمغفرة .

المبحث الأول

حكم الدعاء لغير المسلمين بالهداية

دلت السنة على جواز الدعاء لغير المسلمين بالهداية؛ لأنَّ سبب عداوتهم مع المسلمين كونهم على غير هدى، ومما يدلُّ على جواز الدعاء لهم بالهداية: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا فَقِيلَ: هَلَكْتُ دَوْسٌ، قَالَ: "اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأَتِ بِهِمْ" ^(١).

ووجه الدلالة من هذا الحديث: إشفاق النبي ﷺ على قبيلة دوس، مع أنهم في بادئ الأمر عصوا، حتى ظنَّ الناس أنَّ النبي ﷺ سيدعو عليهم فيهلكوا، ولهذا الناس: "هَلَكْتُ دَوْسٌ"، لكن النبي الكريم ﷺ وهو الرحيم الشفيق بالناس، محبُّ الخير والهداية لهم، لم يسلك هذا السبيل الذي ظنه الناس، كما هو موقف بعض الداعين من مدعويهم إذا خالفوا ولم يستجيبوا، وهنا نلاحظ أنَّ دوساً مع عدم الاستجابة لدعوة النبي ﷺ أصرت على الإباء والرفض، لكن قلب النبي ﷺ كان أوسع من إصرارهم، وأكبر احتمالاً لرفضهم، فلم يُوعِزْه هذا إلى الدعاء عليهم؛ لأنَّ من أكبر صفاته ﷺ الحلم والصفح عن جهل الجاهلين، فلم يدفع موقفهم بالأسوأ، إنما قابله بالأحسن، وقد قال ﷺ: "لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَنًا" ^(٢)، بل لقد لقي ﷺ من قومه أشدَّ الأذى، فما زاده ذلك إلا صبراً وحلماً، وأملاً أن يُخرج الله منهم من يعبد به شيئاً، ففي حديث عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت للنبي ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ؟ قَالَ: "لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِهِ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمَتْنِي،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: قصة دوس والطفيل بن عمرو ح (٤٣٩٢)، ومسلم في

صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة ح (٢٥٢٤)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ح (٢٥٩٧)

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ، فَناداني فقال: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَناداني مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَحْشَبِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا^(١).

فلم يستعجل النبي ﷺ عقوبتهم، ولم يدعو عليهم مع أنه مجاب الدعوة، بل كان يرجو من ربه أن يخرج من بينهم من يعبد، وقد حقق الله تعالى له ما رجاه، فأخرج من قومه فئاماً يعبدون الله، ويدعون لدينه، وينتصرون لنبيه، وهذا ما تحقق له أيضاً في دوس، فقد استجاب الله دعوته، وهدى دوساً، وجاء بهم راغبين، قال ابن حجر - رحمه الله - : " وقع مصداق ذلك، فذكر ابن الكلبي أن حبيب بن عمرو بن حثمة الدوسي، كان حاكماً على دوس، وكذا كان أبوه من قبله، وعمر ثلاثمائة سنة^(٢)، وكان حبيب يقول : إني لأعلم أن للخلق خالقاً، لكني لا أدري من هو، فلما سمع النبي ﷺ خرج إليه، ومعه خمسة وسبعون رجلاً من قومه ، فأسلم وأسلموا " ^(٣) .

كما تحقق له أيضاً مثل هذا، حينما دعا لأم أبي هريرة رضي الله عنها مع أنها كانت تقع في النبي ﷺ وتسمع أبا هريرة فيه ما يكره ، وقد قال ﷺ : " كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ، وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعْتَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعْتَنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ " ، فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصَرْتُ إِلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ فَسَمِعْتُ أُمِّي خَشَفَ قَدَمَيَّ فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ قَالَ: فَاعْتَسَلْتُ وَلَبِسْتُ دِرْعَهَا، وَعَجَلْتُ عَنْ حِمَارِهَا، فَفَتَحْتُ الْبَابَ ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ح (٣٢٣١) ، ومسلم في صحيحه،

كتاب الهجرة والمغازي، باب ما لقي النبي ﷺ يوم العقبة، ح (١٧٩٥) .

(٢) لم أجد لهذا التحديد سنداً يعتمد عليه .

(٣) الفتوح (٧ / ٧٠٥)، وينظر: الآداب الشرعية (٩٤ / ١) .

وَرَسُولُهُ قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاتَّبَعْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ، قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ، وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ اذْعُ اللَّهُ أَنْ يُحِبَّنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحِبَّهُمْ إِلَيْنَا قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ " فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي ^(١).

وقد يُعترض على جواز الدعاء لغير المسلمين بما جاء مخالفاً لذلك في بعض نصوص السنة ، من ذلك:

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو فِي الْقُنُوتِ: " اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بَنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ عِيَّاشَ بْنَ أَبِي رِيْعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضَعْفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفُ " ^(٢).

٢- حديث علي رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، شَعَلُونَا عَنْ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى ، حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ . " ^(٣)

٣- حديث عبد الله بن أبي أوفى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: " اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ " ^(٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي هريرة رضي الله عنه ح (٢٤٩١) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد ، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ح (٢٩٣٢) ، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة ، وغيرهما ح (٦٧٥)، وقوله: كسني يوسف: أي اجعلها سنين شداد، ذوات قحطٍ وغلاء.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير ، باب الدعاء على المشركين والزلزلة ح (٢٩٣١)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب التغليظ في توفيت صلاة العصر ح (٦٢٧) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير ، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ح (٢٩٣٣) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو ح (١٧٤٢) .

وقد أجاب الحافظ ابن حجر - رحمه الله - على مثل هذا الاعتراض ، وكشف وأزال هذا الالتباس فقال : " وكان ﷺ تارة يدعو عليهم ، وتارة يدعو لهم ، فالحالة الأولى : حيث تشتد شوكتهم ويكثر أذاهم ، والحالة الثانية : حيث تؤمن غائلتهم ، ويرجى تألفهم ، كما في قصة دوس " (١) .

وقال الحافظ في موضع آخر : " وحكى ابن بطلال : أن الدعاء للمشركين ناسخ للدعاء على المشركين ، ودليله قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ (٢) ، قال : والأكثر على أن لا نسخ ، وأن الدعاء على المشركين جائز ، وإنما النهي عن ذلك في حق من يرجى تألفهم ودخولهم في الإسلام ، ويحتمل في التوفيق بينهما أن الجواز حيث يكون في الدعاء ما يقتضي زجرهم عن تماديهم على الكفر والمنع ، حيث يقع الدعاء عليهم بالهلاك على كفرهم ، والتقييد بالهداية يرشد إلى أن المراد بالمغفرة في قوله في الحديث الآخر : " اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون " : العفو عما جنوه عليه في نفسه لا محو ذنوبهم كلها ؛ لأن ذنب الكفر لا يمحي ، أو المراد بقوله : " اغفر لهم " : اهدمهم إلى الإسلام الذي تصح معه المغفرة ، أو المعنى : اغفر لهم إن أسلموا " (٣) .



(١) فتح الباري (١٢٦/٦) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨ .

(٣) فتح الباري (١٩٩/١١) ، وينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطلال (١٢٧/١٠) .

المبحث الثاني

حكم الدعاء لغير المسلمين بالمغفرة

منع الله تعالى رسوله والمؤمنين من طلب المغفرة للمشركين؛ لأنه قد قدر ألا تكون، وأخبر عن ذلك، وسؤال الله ما قدر أنه لا يفعله ممنوع ^(١) .

ويدل على المنع ما يلي :

الدليل الأول : حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: " استأذنت ربي في أن أستغفر لها، فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت " ^(٢) .

وجاء في رواية أنه وقف عند قبرها حتى سخنت عليه الشمس، رجاء أن يؤذن له، فيستغفر لها، حتى نزلت: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ ^(٣) ^(٤) .

الدليل الثاني : حديث علي رضي الله عنه قال : سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت له: أتستغفر لأبويك وهما مشركان ؟ ، فقال: أوكيس استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك ؟ ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فنزلت: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ ﴾ ^(٥) .

(١) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢ / ٥٩٢ - ٥٩٣)، فتح الباري لابن حجر (١١ / ١٩٩) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه، ح (٩٧٦) .

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٣ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤ / ٥١١)، من طريق أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية قال: لما قدم رسول الله ﷺ مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس، رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها، حتى نزلت : ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ ﴾ . وهو ضعيف لأنه من رواية عطية العوفي ، قال الإمام أحمد : " ضعيف الحديث " وقال ابن حبان : " لا يحل الاحتجاج به ولا كتابة حديثه إلا على جهة التعجب " . ينظر: المحروحين ص (١٧٦)، تهذيب الكمال (٢٠ / ١٤٥) .

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب تفسير القرآن ، باب: ومن سورة التوبة (٥ / ٢٨١) ح (٣١٠١) ، والنسائي (٤ / ٢٠٣٦)، وأحمد (١ / ٧٧١) . من طريق أبي إسحاق عن أبي الخليل عن علي رضي الله عنه قال: ... قال

الدليل الثالث : أثر قتادة أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ قالوا له : يا رسول الله إن من آبائنا من كان يحسن الجوار، ويصل الأرحام، أفلا نستغفر لهم، فأنزل الله: ﴿ مَا كَانُ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (١) .

فإن قيل : إن النبي ﷺ قال حين كسروا ربايعيته، وشجوا وجهه : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " (٢) ، فسأل المغفرة لهم ؟ أجيب عن ذلك من خمسة أوجه :

الوجه الأول : يحتمل أن يكون ذلك قبل النهي، وجاء النهي بعده .

الوجه الثاني : أن ذلك كان سؤالاً في إسقاط حقه عندهم، لا لسؤال إسقاط حقوق الله تعالى، وللمرء أن يسقط حقه عند المسلم والكافر .

الوجه الثالث : يحتمل أنه يطلب المغفرة لهم؛ لأنهم أحياء، يُرجى إيمانهم، ويمكن تألفهم بالقول الجميل، وترغيبهم في الدين بالعفو عنهم، فأما من مات فقد انقطع منه الرجاء .

الوجه الرابع : يحتمل أنه يطلب لهم المغفرة في الدنيا، برفع العقوبة عنهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانُ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣) .

الوجه الخامس : أن ذلك القول من النبي ﷺ إنما كان على سبيل الحكاية عمن تقدمه من الأنبياء، والدليل عليه ما جاء في طرف الحديث: كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ضَرْبُهُ قَوْمُهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي

الترمذي: حديث حسن، وحسنه الألباني، وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند : إسناده حسن ورجاله ثقات ، رجال الشيخين غير أبي الخليل .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥١٣/١٤)، من طريق بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: "ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين"، الآية، ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا نبي الله، إن من آبائنا من كان يحسن الجوار، ويصل الأرحام، ويفك العاني، ويوفي بالذمم، أفلا نستغفر لهم؟ قال: فقال النبي ﷺ: بلى! والله لأستغفرن لأبي، كما استغفر إبراهيم لأبيه ! قال: فأنزل الله: "ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين" حتى بلغ: "الجحيم"، وهو ضعيف لأن قتادة أرسله .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ح (٣٤٧٧) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة أحد ، ح (١٧٩٢) من حديث عبد الله بن مسعود ؓ .

(٣) سورة الأنفال، الآية : ٣٣ .



Σ.Ο

الفصل الثاني عشر الدعاء على غير المسلمين

يجوز الدعاء على الكفار بالهزيمة، والأمراض، والأسقام، وغير ذلك، إذا دعت الحاجة إلى ذلك، ووُجد سببه .

قال ابن العربي - رحمه الله - : " لما قال لنوح عليه السلام: ﴿ وَأَوْحِ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ ﴾ ^(١) حين استنفد ما في أصلاب الرجال، وما في أرحام النساء من المؤمنين، دعا عليهم نوح بقوله: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ ^(٢) فأجاب الله دعوته، وأغرق أمته، وهذا كقول النبي ﷺ " اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ " ^(٣) ... ودعا النبي ﷺ على من تحزب على المؤمنين، وألب عليهم، وكان هذا أصلاً في الدعاء على الكفار في الجملة " ^(٤) .

وقال الزرقاني - رحمه الله - : " فيه جواز الدعاء على الكفار بالأمراض، والهلاك، وللمسلمين بالصحة، وإظهار دينهم على سائر الأديان " ^(٥) .

وقال الآمدي - معلقاً على حديث "شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر مألأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً" - : " في الحديث دليل على جواز الدعاء على الكفار بمثل هذا " ^(٦) .

(١) سورة هود، الآية : ٣٦ .

(٢) سورة نوح، الآية : ٢٦ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ح (٢٩٣٣)

، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو ح (١٧٤٢)

(٤) أحكام القرآن (٣١٢/٤)، ثم قال بعد ذلك : " فأما كافرٌ معين لم تعلم خاتمته فلا يدعى عليه؛ لأن مآله عندنا مجهول، وربما كان عند الله معلوم الخاتمة للسعادة، وإنما خصَّ النبي الدعاء على عتبة، وشيبة، وأصحابه؛ لعلمه بمآلهم، وما كشف له من الغطاء عن حالهم، والله أعلم " .

(٥) شرح الزرقاني (٢٨٧/٤) .

(٦) إحكام الأحكام (١٤٣/١) .

وقد عقد الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه باباً قال فيه : " الدعاء على المشركين بالهزيمة، والزلزلة " (١) .

والأدلة على جواز الدعاء على الكفار كثيرة، أهمها ما يلي :

الدليل الأول : حديث علي رضي الله عنه قال: لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ : " مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ " (٢) .

الدليل الثاني : حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يدعو في القنوت: " اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ عِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَيْعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ " (٣) .

الدليل الثالث: حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: " دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب على المشركين، فقال: " اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلِّزْلُهُمْ " (٤) .

الدليل الرابع : حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُ لَهُ جُلُوسٌ إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فَلَانٍ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ ؟ ، فَأْتَبَعَتْ أَشَقَى الْقَوْمِ فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغْنِي شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى

(١) البخاري مع الفتح (١٠٦/٦) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير، باب : الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، ح (٢٧١٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، باب : الدليل لمن قال : الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، ح (٩٩٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد ، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ح (٢٩٣٢) ، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة ، وغيرهما ح (٦٧٥)، وقوله: كسني يوسف: أي اجعلها سنين شداد، ذوات قحطٍ وغلاء.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير ، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ح (٢٩٣٣) ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو ح (٢٩٣٣)

جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ ثُمَّ سَمَى اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرَعَى فِي الْقَلْبِ قَلْبِ بَدْرٍ ^(١).

وجه الدلالة من هذه الأحاديث أن النبي ﷺ دعا على الكفار بالهلاك، إلا أن بعض أهل العلم يرى أن هذا كان من النبي ﷺ في أول الأمر، قبل نزول آية آل عمران: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ^(٢)، قال ابن بطال - رحمه الله -: "والأكثر على أن لا نسخ، وأن الدعاء على المشركين جائز، وإنما النهي عن ذلك في حق من يرجى تألفهم ودخولهم في الإسلام، ويحتمل - في التوفيق بينهما - أن الجواز حيث يكون في الدعاء ما يقتضي زجرهم عن تماديهم على الكفر، والمنع حيث يقع الدعاء عليهم بالهلاك على كفرهم" ^(٣) وقال الحافظ ابن حجر: "إنه ﷺ كان تارة يدعو عليهم، وتارة يدعو لهم، فالحالة الأولى: حيث تشتد شوكتهم، ويكثر أذاهم، والحالة الثانية: حيث تؤمن غائلتهم، ويرجى تألفهم، كما في قصة دوس" ^(٤).

والذي يبدو لي - والله تعالى أعلم - من خلال النظر في سيرة وهدي النبي ﷺ في هذا الباب، ومن خلال التأمل في الأحاديث الواردة في الدعاء للكفار أو عليهم: أن النبي ﷺ كان يغلب جانب الإشفاق على الكفار؛ طمعاً في إسلامهم، ولم يكن يستعجل الدعاء عليهم، بل كان يدعو لهم، وأن هذا هو هديه الغالب، وكان يصبر على إعراضهم وصدودهم وأذاهم، كما في حديث عائشة في قصته معهم يوم العقبة، وقوله

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة، والزلزلة، ح (٢٩٣٤)

، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين ح (١٧٩٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠ / ١٢٧)، وينظر: فتح الباري (١١ / ١٩٩).

(٤) فتح الباري (٦ / ١٢٦).

ﷺ ملك الجبال : " بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا . " (١) ، ولم يكن ﷺ يلجأ إلى الدعاء على الكفار إلا في أحوال ثلاث :

الحالة الأولى : في حال الحرب، حين يلتحم الصفان، كما في حديث علي ﷺ قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَلَأَ اللَّهُ بَيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، شَعَلُونَا عَنْ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى ، حَتَّى غَابَتْ الشَّمْسُ " (٢) ، وحديث عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال : دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب على المشركين فقال : " اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ " (٣) .

وربما قنت عليهم إذا آذوا أحداً من المسلمين، كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال : كان النبي ﷺ يدعو في القنوت : " اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ عِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ " (٤) .

الحالة الثانية : حين يكون أذاهم في الدين، كما في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُ لَهُ جُلُوسٌ إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ، فَانْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَأَنَا أَنْظُرُ، لَا أُغْنِي شَيْئًا ، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ ، وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ، لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: " اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ " ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ قَالَ: وَكَأَنُّوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّى: " اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمِّيَةَ بِنِ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ح (٣٢٣١) ، ومسلم في صحيحه،

كتاب الهجرة والمغازي، باب ما لقي النبي ﷺ يوم العقبة، ح (١٧٩٥)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير ، باب الدعاء على المشركين والزلزلة ح (٢٩٣١)،

ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب التغليظ في تفويت صلاة العصر ح (٦٢٧)

(٣) سبق تخريجه ص (٤٠١) .

(٤) سبق تخريجه ص (٤٠١) .

الحالة الثالثة : الدعاء عليهم من باب المقابلة بالمثل، كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : دخل على رسول الله ﷺ رهط من اليهود ، فقالوا : السَّامُ عَلَيْكُمْ فرد: " وعليكم " فقالت عائشة - رضي الله عنها - : " وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ " فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ " ، قال عائشة: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ فَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ ^(٢)، هذا ما ظهر لي في التوفيق بين أحاديث الباب - بعد تأمل - والله تعالى أعلم .



(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب، باب: الرفق في الأمر كله ح (٦٠٢٤) ، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام ، باب : النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ح (٢١٦٥) .

الفصل الثالث عشر حكم العفو عن غير المسلمين

مدخل :

من أوضح دلائل العظمة وبراهين السمو التي امتاز بها نبي الإسلام ﷺ خلق العفو الذي ملك به عقول البشر، وأسر به نفوس أتباعه وأعدائه، ولا غرو، فهذه صفة الأكابر والعظماء، الذين أرادهم الله هداة للبشرية، واختارهم أسوة للخليفة، ولقد وصف بهذا الخلق في التوراة قبل القرآن .

فَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ : لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ، قُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ أَجَلُ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ ، لَيْسَ بَفِظٍ وَلَا غَلِيظٍ ، وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ ^(١) وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَعْفِرُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ ، بَأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمَيَّا ، وَأَذَانًا صُمًّا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا ^(٢) ^(٣) .

وقد كان العفو والصفح جبلة النبي ﷺ مع كل من آذاه من الكفار وأهل الكتاب، كما قال ذلك عنه حبه أسامة بن زيد رضي الله عنه حيث قال : وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب، كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى، قال الله تعالى : ﴿ تَتَّبَلُّوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَسَّمَعْنَا مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴾ ^(٤) وقال سبحانه ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ

(١) سخاب : بالسین ، وصخاب ، بالصاد ، وهو رفع الصوت بالخصام ينظر: تاج العروس (٥٧٤/١) .

(٢) غلف : كل شيء في غلاف ، سيف أغلف ، وقوس غلفاء ، ورجل أغلف : إذا لم يكن محتوناً . ينظر: لسان العرب (٢٧١/٩) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع ، باب كراهية السخب في السوق ح (٢١٢٥) .

(٤) سورة آل عمران، الآية : ١٨٦ .

أَلِكْتَبْ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ^(١) ، وكان رسول الله ﷺ يتأول العفو عنهم كما أمره الله به ^(٢) .

ومن الأدلة على عظم عفو النبي ﷺ وحلمه وصفحه ما يلي :

الدليل الأول : حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العِضاه فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت سمررة وعلق بها سيفه، ونمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعوننا، وإذا عنده أعرابي فقال: إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يدي صلتنا فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله ثلاثاً ولم يعاقبه وجلس ^(٣) ، وهذا الخلق الكريم لا يقدر عليه إلا أولو العزم من الرسل، أهل الكرم، والصدق، والإيمان، الذين أدبهم الله فأحسن تأديبهم، وجبلهم على الأخلاق الفاضلة، التي يعجز عنها من حاول تكلفها .

وهكذا كانت سجيته ﷺ مع كل أحد، ولم يكن ينتقم لنفسه قط، قالت عائشة - رضي الله عنها - : " وما نيل منه ﷺ شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله فينتقم لله ﷻ " ^(٤) .

الدليل الثاني : ، ما كان منه يوم فتح مكة، حينما عفى عن قريش التي آذته وأصحابه، بل عذبوا بعض أصحابه، وطردهم، واضطروهم إلى أن يتغربوا ويهاجروا إلى أرض البعداء، بل في نهاية الأمر طردوا النبي ﷺ من أرض مكة، أحب البقاع إليه، ومع كل هذا الأذى الذي طال النبي ﷺ وصحبه سنين عدادا عفى عنهم عفواً عاماً، مع غلبته

(١) سورة البقرة، الآية : ١٠٩ .

(٢) أخرجه البخاري ، في صحيحه، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله تعالى: ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب ﴾ ح (٤٥٦٦) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي ﷺ إلى الله وصره على أذى المنافقين ح (١٧٩٨) في حديث طويل .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة ح (٢٩١٠) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب صلاة الخوف ح (٨٤٣) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ح (٣٥٦٠) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب مبادئه ﷺ للآثام واختياره من المباح ح (٢٣٢٨) .

وقوة جيشه، وقدرته على إباحة حضرائهم، وإبادتهم عن بكرة أبيهم، وقد جاءهم هذا العفو الكريم من النبي الكريم ﷺ بعدما اجتمعوا قرب الكعبة، ينتظرون حكمه يصدر فيهم، لكنه - بأبي هو وأمي - لم يسلك سبيل البشر في مثل هذا الموقف، التي يُعَمِّي الإنسان فيها نشوة النصر، وتطغى فيه النفس بلذة الغلبة، وطرب التعالي، بل عفى وصفح عنهم، وقال قولته الخالدة التي كتبت بمداد الذهب، على مر التاريخ عبر العصور والدهور التي عجزت الخليفة من أولاهم لأحراها أن تحتفظ بموقف كهذا الموقف العظيم الجليل الذي يجسد العظمة في ثياب التواضع ويختط حروف العز بمداد العفو، وينقش في ذاكرة التاريخ أن لا يُلقى هذا إلا نبي مؤيد من ربه، تحوطه رعاية الله وحفظه، قال ﷺ: " ما تظنون أي فاعل بكم؟" قالوا : خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال : " اذهبوا فأنتم الطلقاء " (١) .

وهكذا كانت سيرته ونهجه ﷺ مع خصومه وأعدائه، عملاً بقول ربه له: ﴿ قَاصِّصَ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ، ولم يكن ﷺ يتخلى عن هذا النهج، ولا يرغب عن العفو والصفح، ويأخذ بالمقاضاة والعقوبة إلا حينما يمعن الخصم في العداء، ويتجاوز في التعدي والأذى، ويؤذي الله ورسوله والمؤمنين، ففي هذه الحال يقتضي العدل إيقاف هذا التعدي والظلم؛ ولهذا لم يكن ﷺ يعفو في مثل هذه الحال عن هؤلاء؛ لأن من شأن العفو هنا الإخلال بمسيرة الدعوة إلى الإسلام، وهذا مالا يمكن أن يرضاه النبي ﷺ المبعوث لنشر هذا الدين والدعوة إليه في سائر أقطار الأرض، ويؤيد ما ذكرت عدة مواقف، أخذ النبي ﷺ فيها بالمقاضاة والمجازاة وعدم العفو، ومن هذه المواقف ما يلي:

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٣٣٧/٢)، من طريق ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن عمر بن موسى بن الجويه عن قتادة السدوسي مرسل أن رسول الله ﷺ قام قائماً حين وقف على باب الكعبة ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ... والحديث ضعفه الألباني في فقه السيرة ص (٣٨٢) ، لكنه مشهور في كتب السير .

(٢) سورة الزخرف، الآية : ٨٩ .

الموقف الأول : قتل كعب بن الأشرف .

فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : " مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؟ فَقَامَ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّ أَنْ أُقْتَلَ ؟ قَالَ : " نَعَمْ " ، قَالَ : فَأَذِنَ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا ، قَالَ : " قُلْ " ، فَأَتَاهُ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً ، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَانَا ، وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ قَالَ : وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمْلُتُهُ قَالَ : إِنَّا قَدْ أَتَبَعْنَاهُ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدْعُهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسُقَا أَوْ وَسَقَيْنَ ، فَقَالَ : نَعَمْ ارْهُونِي قَالُوا : أَيِّ شَيْءٍ تُرِيدُ ؟ قَالَ : ارْهُونِي نِسَاءَكُمْ قَالُوا : كَيْفَ نَرْهُنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ ؟ قَالَ : فَارْهُونِي أَبْنَاءَكُمْ قَالُوا : كَيْفَ نَرْهُنُكَ أَبْنَاءَنَا فَيَسْبُ أَحَدُهُمْ ، فَيُقَالُ رُهْنٌ بَوْسُقٍ أَوْ وَسَقَيْنَ هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا ، وَلَكِنَّا نَرْهُنُكَ اللَّامَةَ - يَعْنِي السَّلَاحَ - فَوَاعِدُهُ أَنْ يَأْتِيَهُ ، فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرِّضَاعَةِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ فَزَلَّ إِلَيْهِمْ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ ؟ فَقَالَ إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بَلِيلٍ لَأَجَابَ قَالَ : وَيُدْخِلُ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ ، فَقَالَ إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعْرِهِ فَأَشْمُهُ فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمَكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ ، فَزَلَّ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ الطَّيِّبِ فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا أَيُّ أَطْيَبَ ، قَالَ عَمْرُو فَقَالَ : أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشْمَ رَأْسَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ فَشَمَّهُ ، ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ ثُمَّ قَالَ أَتَأْذَنُ لِي قَالَ : نَعَمْ فَلَمَّا اسْتَمَكَنَ مِنْهُ قَالَ : دُونَكُمْ فَاقْتُلُوهُ ثُمَّ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ ^(١) .

ولم يعمد النبي ﷺ إلى هذا الأسلوب وقتل كعب بهذه الصورة إلا لأنه تمادى في الظلم والأذى ، ولم يتمكن من قتله إلا بهذه الصورة ، يبين ذلك حديث كعب بن مالك رضي الله عنه أن كعب بن الأشرف كان يهجو النبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي ﷺ حين قدم المدينة وأهلها أخلاط ^(٢) منهم المسلمون والمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ وَالْيَهُودَ ، وَكَانُوا يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ بِالصَّبْرِ وَالْعَفْوِ فَفِيهِمْ

(١) أخرجه البخاري ، في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب قتل كعب بن الأشرف ح (٤٠٣٧) ، ومسلم في

صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب قتل كعب بن الأشرف ، طاغوت اليهود ، ح (٣٣٥٩) .

(٢) أخلاط : أي مختلطون من أقوام شتى متفرقين .

أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾^(١) الْآيَةَ فَلَمَّا أَبَى كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ أَنْ يَنْزِعَ عَنْ أَذَى النَّبِيِّ ﷺ^(٢) أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ أَنْ يَبْعَثَ رَهْطًا يَقْتُلُونَهُ فَبَعَثَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ - وَذَكَرَ قِصَّةَ قَتْلِهِ - فَلَمَّا قَتَلُوهُ فَزَعَتْ الْيَهُودُ وَالْمُشْرِكُونَ فَعَدَوْا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: طُرِقَ صَاحِبُنَا فَقَتِلَ فَذَكَرَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ الَّذِي كَانَ يَقُولُ وَدَعَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُ كِتَابًا يَنْتَهُونَ إِلَى مَا فِيهِ فَكَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً صَحِيفَةً^(٣) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : " اجتمع لابن الأشرف ذنوب منها : أنه رثى قتلى قريش، وحضهم على محاربة النبي ﷺ وواطأهم على ذلك، وأعانهم على محاربتهم، بإخباره أن دينهم خير من دينه، وهجا النبي ﷺ والمسلمين ، قلنا الجواب من وجوه : أحدها : أن كعبا كان له عهد من النبي ﷺ جعله ناقضاً للعهد بهجائه وأذاه بلسانه ، والثاني : أنا قد قدمنا في حديث جابر : أن أول ما نقض به العهد قصيدته التي أنشأها يهجو بها رسول الله ﷺ وأن رسول الله ﷺ لما هجاه بهذه القصيدة ندب إلى قتله ، الثالث : أن النبي ﷺ قال لليهود لما جاءوا إليه في شأن قتله : " إنه نال منا الأذى، وهجانا بالشعر، ولم يفعل هذا أحد منكم إلا كان للسيف "^(٤) ، وهذا نص في أن من فعل هذا فقد استحق السيف، الرابع : أن النبي ﷺ لم يندب إلى قتله لكونه ذهب إلى مكة وفعل ما فعل هناك، وإنما ندب إلى قتله لما قدم وهجاه، كما جاء ذلك مفسراً في حديث جابر المتقدم في قوله : " ثم قدم المدينة معلناً بعداوة النبي ﷺ " ، ثم

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٨٦ .

(٢) وقد آذى النبي ﷺ في دعوته ودينه، وليس في شخصه؛ لأنه لم يكن ينتقم لنفسه ﷺ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفداء ، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة ح

(٣٠٠٠) من طريق محمد بن يحيى بن فارس أن الحكم بن نافع حدثهم قال أخبرنا شعيب عن الزهري عن

عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه . وهو صحيح الإسناد .

(٤) ذكره الواقدي في مغازيه بغير إسناد ص (١٩٢) .

بين أن أول ما قطع به العهد تلك الآيات التي قالها بعد الرجوع، وأن النبي ﷺ حينئذ ندب إلى قتله "(١) .

(١) أحكام أهل الذمة (٣ / ١٤٣١)، وأضاف قائلاً: " وكذلك في حديث موسى بن عقبة: " من لنا من ابن الأشرف، فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا؟ " ويؤيد ذلك شيطان: أحدهما: أن سفيان بن عيينة روى عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، قال: جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة، فقالوا: أنتم أهل الكتاب، وأهل العلم، فأخبرونا عنا وعن محمد، فقالوا: ما أنتم وما محمد؟ فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكوماء ونسقي الماء على اللبن، ونفك العناء ونسقي الحجيح، ومحمد صنوبر قطع أرحامنا، واتبعه سراق الحجيح: بنو غفار، فنحن خير أم هو؟ فقالوا: بل أنتم خير وأهدى سبيلاً، فأنزل الله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ .

وكذلك قال قتال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب، رجلين من اليهود، من بني النضير، أتيا قريشاً في الموسم . فقال لهما المشركون: نحن أهدى أم محمد وأصحابه، وهما يعلمان أنهما كاذبان، إنما حملها على ذلك حسد محمد وأصحابه . فأنزل الله فيهم ﴿ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ فلما رجعا إلى قومهما قال لهما قومهما: إن محمداً يزعم أنه قد نزل فيكم كذا وكذا، قالوا صدق والله، ما حملنا على ذلك إلا حسده وبغضه .

هذان مرسلان من وجهين مختلفين: فيهما أن كلا الرجلين ذهب إلى مكة، وقال ما قال، ثم إنهما قدما فندب النبي ﷺ إلى قتل ابن الأشرف، وأمسك عن ابن أخطب، حتى نقض بنو النضير العهد، فأجلاهم النبي ﷺ فلحق بخير، ثم جمع عليه الأحزاب، فلما انهزموا دخل مع بني قريظة حصنهم حتى قتله الله معهم . فعلم أن الأمر الذي أتياه بمكة لم يكن هو الموجب للندب إلى قتل ابن الأشرف، وإنما هو ما اختص به ابن الأشرف من الهجاء ونحوه، وإن كان ما فعله بمكة مقوياً لذلك، ولكن مجرد الأذى لله ورسوله يوجب الندب إلى قتله، كما نص عليه النبي ﷺ بقوله: " فإنه قد آذى الله ورسوله " وكما بينه جابر في حديثه .

وأيضاً فإن ابن أبي أويس قال: حدثني إبراهيم بن جعفر الحارثي، عن أبيه جابر " لما قال كان من أمر النبي ﷺ وبني قريظة كذا " فيه - قال شيخنا: أحسبه " وبني قينقاع " - وكان اعتزل ابن الأشرف ولحق بمكة، وكان فيها: وقال: " لا أعين عليه ولا أقاتله " فقليل له بمكة: ديننا خير أم دين محمد وأصحابه؟ قال: دينكم خير، وأقدم من دين محمد، ودين محمد حديث، فهذا دليل لي على أنه لم يظهر محاربتة . أيضاً: أن جميع ما أتاه ابن الأشرف إنما هو الأذى باللسان، فإن رثاءه لقتلى المشركين، وتحضيضه على قتال النبي ﷺ وسبه وطعنه في دين الإسلام، وتفضيله دين الكفار عليه، كله قول باللسان، ولم يعمل عملاً فيه محاربة " ثم أشار بعد ذلك، إلى أن كعب بن الأشرف تكرر منه سب النبي ﷺ وأذاه، وأن الشيء إذا كثر واستمر صار له حال أخرى ليست له إذا انفرد، ثم قال " ولا ريب أن من أكثر من سب النبي ﷺ أو نظم القصائد في سبه، فإن جرمه أعظم من جرم من سبه بالكلمة الواحدة المنشورة، بحيث أن تكون إقامة الحد عليه أو كذا، والانتصار منه لرسول الله ﷺ أوجب، ولو كان المقل أهلاً أن يعفى عنه لم يكن هذا أهلاً لذلك " .

الموقف الثاني : قتل ابن أبي حقيق : فعن البراء رضي الله عنه قال : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيَّ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ، وَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرَحِهِمْ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ: اجْلِسُوا مَكَائَكُمْ فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ، وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبُؤَابِ لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ، فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنَ الْبَابِ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ، كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً، وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ فَهَتَفَ بِهِ الْبُؤَابُ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ الْبَابَ، فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ، أُغْلِقَ الْبَابَ ثُمَّ عَلَّقَ الْأَغَالِيقَ عَلَى وَتَدٍ قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى الْأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا فَفَتَحْتُ الْبَابَ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسَمِّرُ عِنْدَهُ وَكَانَ فِي عِلَالِيٍّ لَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أُغْلِقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، قُلْتُ: إِنَّ الْقَوْمَ نَذَرُوا بِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسَطَ عِيَالِهِ، لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنَ الْبَيْتِ فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ قَالَ: مَنْ هَذَا ؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرَبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، وَأَنَا دَهْشُ فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا وَصَاحَ، فَخَرَجْتُ مِنَ الْبَيْتِ فَأَمْكْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ ؟ فَقَالَ: لِأَمِّكَ الْوَيْلُ إِنَّ رَجُلًا فِي الْبَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلَ السَّيْفِ، قَالَ: فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثَخَنْتُهُ وَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ طَبَّةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ بَابًا بِأَبَا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي وَأَنَا أَرَى أَنِّي قَدْ انْتَهَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ، فَاثْكَرْتُ سَاقِي، فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى الْبَابِ فَقُلْتُ: لَا أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ أَقْتُلْتُهُ، فَلَمَّا صَاحَ الدَّيْكَ، قَامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ فَقَالَ: أُنْعَى أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الْحِجَازِ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَقُلْتُ: النَّجَاءَ فَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا رَافِعٍ فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ: ابْسُطْ رِجْلَكَ ، فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ ^(١) .

الموقف الثالث : نزول النبي ﷺ على حكم سعد بن معاذ في بني قريظة: كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السَّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، فَاتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْعُبَارِ فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ

(١) أخرجه البخاري ، في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي حقيق ح (٤٠٣٩) .

الفصل الرابع عشر تكنية غير المسلم

مما استقر في مكارم الأخلاق ، وعُلم من شيم النفوس الزاكية ، تكنية الغير عند الحديث معه أو ندائه ، فهل يدخل في ذلك غير المسلم ، ويندب إلى تكنيته كالمسلم أم هو خاص بالمسلم ؟

عقد البخاري - رحمه الله - في صحيحه باباً قال فيه : " باب كنية المشرك " ^(١) ثم ذكر بعض الأحاديث الدالة على جواز تكنية غير المسلم ، ومنها :

حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه ، السابق في باب العفو عن غير المسلمين متى يشرع ومتى لا يشرع ؟ وقد جاء فيه: أن رسول الله ﷺ قال: " أَيُّ سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ - يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ - ؟ قَالَ: كَذَا وَكَذَا " ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: أَيُّ رَسُولَ اللَّهِ بِأُبَيٍّ أَنْتَ اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ . ^(٢) .

قال ابن بطال - رحمه الله - في تعليقه على هذا الحديث : " فيه جواز تكنية المشركين على وجه التأليف ؛ إما رجاء إسلامهم ، أو لتحصيل منفعة منهم " ^(٣) . وقال القاضي عياض - في قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ^(٤) - : " وقد استدل بهذه السورة على جواز تكنية الكافر ، وقد اختلف العلماء في ذلك ، واختلفت الرواية عن مالك في جواز تكنية الكافر بالجواز والكراهة ، وقال بعضهم : إنما يجوز من ذلك ما كان على جهة التأليف ، وإلا فلا ، إذ في التكنية تعظيم وتكبير ، وأما تكنية الله تعالى لأبي لهب فليست من هذا ، ولا حجة فيه إذا كان اسمه عبد العزى ، وهذه تسمية باطلة ، فلهذا كنى عنه " ^(٥) .

(١) البخاري مع الفتح (١٠ / ٥٩٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب، باب كنية المشرك ، ح (٦٢٠٧) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي ﷺ إلى الله وصره على أذى المنافقين ح (١٧٩٨) في حديث طويل

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩ / ٣٥٥) ، وينظر: فتح الباري (١٠ / ٦٠٨) .

(٤) سورة المسد الآية: ٤

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١ / ٥٩٤ - ٥٩٥) ، وينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٣ / ٨٣) .

وقد قيل أكثر من احتمال في تكنية أبي لهب منها :

١- اجتناب نسبته إلى عبودية الصنم ، حيث كان اسمه عبد العزى .

٢- أنه كان مشتهراً بها .

٣- أنها لقب وليست كنية ، إنما كنيته: أبو عتبة .

٤- أنها ليست للإكرام بل للإهانة ^(١) .

ومن أجمع ما قيل في كنية أبي لهب ما ذكره الحافظ ابن حجر - رحمه الله - قال: " أن النكتة في ذكره بكنيته أنه لما علم الله تعالى أن مآله إلى النار ذات اللهب ، ووافقت كنيته حاله حسن أن يُذكر بها " ^(٢) .

وأجاز الإمام النووي - رحمه الله - تكنية الكافر والمبتدع والفاسق إذا كان لا يُعرف إلا بها ، أو خيف من ذكره فتنة ^(٣) .

وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال : " هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ " ^(٤) ، ونظائر هذا كثير . وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : " وعلى عموم ما تقدم من التأليف أو من خشية الفتنة يجوز ذلك بلا تقييد " ^(٥) .

وإذا نظرنا إلى حال بعض المسلمين اليوم وجدناهم يكونون غير المسلمين تعظيماً وتبجيلاً ، وهذا ممنوع شرعاً ، ففي سنن أبي داود من حديث بريدة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ وَجْهَ اللَّهِ " ^(٦) .

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠ / ٢١٦)

(٢) فتح الباري (١٠ / ٦٠٩)

(٣) الأذكار ص (٢٦٢)

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الخراج والإمارة والفیء ، باب نبش القبور العادية يكون فيها المال ح (٣٠٨٨) من طريق محمد بن إسحاق يحدث عن إسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير قال سمعت عبد الله بن عمرو . قال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع ح (٦٠٨٢) : " ضعيف " .

(٥) فتح الباري (١٠ / ٦٠٩) .

(٦) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب لا يقول المملوك ري وربتي ، ح (٤٩٧٧) ، وأحمد (٥ / ٢٤٦ ، ٢٤٧) ، من طريق معاذ بن هشام عن أبيه عن أبي قتادة عن عبد الله بن بريده عن أبيه .

الفصل الخامس عشر

حكم مخالطة المسلم لغير المسلم

الإنسان مدني بطبعه، كما يقوله علماء الاجتماع وغيرهم؛ لأنَّ الله فطره على ذلك ، ولهذا حرص الإسلام على أن يجعل من المسلم مصباحاً يُستضاء به، وقدوة يُقتدي به، وأن يكون داعياً إلى الله على بصيرة، وعلى هذا فالأصل مشروعية مخالطة المسلم لغير المسلمين، إذا كان المقصود دعوتهم إلى دين الإسلام، ولم يكن عليه ضرر في دينه، أو أخلاقه ، ويدل على ذلك ما يلي :

الدليل الأول : قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٠٨) .^(١)

وفي هذه الآية دليل على أن كل متبع لرسول الله ﷺ حق عليه أن يقتدي به في الدعاء إلى الله، والإيمان به وتوحيده، والعمل بما شرع .^(٢)

وإذا كان ذلك مطلوباً في الجملة ، فلا بد أن يحصل من جرائه الاختلاط والاجتماع بغير المسلمين؛ لأنه وسيلة إلى دعوتهم، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ودين الإسلام يفضل الاختلاط على الاعتزال، ولا يرى الاعتزال إلا في حالات نادرة، مثل وجود الفتن ونحوها .

الدليل الثاني : قوله ﷺ : " الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ مُخَالِطًا النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ " .^(٣)

وقد دل هذا الحديث على مشروعية مخالطة المسلم لغير المسلمين ، مع الصبر على الأذى في دعوتهم، وكان هدي رسول الله ﷺ مخالطة الناس؛ لدعوتهم وإبلاغهم ما

(١) سورة يوسف، الآية : ١٠٨ .

(٢) ينظر: فتح القدير (٥٩/٣) .

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب القيامة ، ح (٢٤٣١) من طريق ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان الأعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: ... قال الترمذي: " قال ابن أبي عدي كان شعبة يرى أنه ابن عمر " ، وأخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن ، ح (٤٠٣٢) ، وأحمد في مسنده (٤٣/٢ ، ٣٦٥/٥) من طريق الأعمش عن يحيى بن وثاب عن ابن عمر عن النبي ﷺ ...

يتنزل عليه من الوحي، ولينتفع الناس به، سواء قبل الهجرة أم بعدها، مع المسلمين أو غيرهم، وهذا أمر واضح في سيرته، بل المخالطة والمجالسة تجوزان لغير ذلك، كالتعامل في البيع والشراء ونحوهما، وفي المصالح المشتركة، التي تدعو إليها الحاجة، كالتلقات لبحث العلاقات المشتركة، واستقبال الزعماء والسفراء، ومن لهم أمان إلى غير ذلك ^(١) .

قال البخاري في صحيحه : " باب مشاركة الذمي والمشركين في المزارعة " ^(٢) ، ثم ساق بسنده إلى عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرَ الْيَهُودِ أَنْ يَعْمَلُوهَا وَيَزْرَعُوهَا وَلَهُمْ شَطْرُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا ^(٣) .

ومن نافلة القول : أن يقال هنا إن المشاركة تلك تستدعي اختلاطاً ولقاء بين المسلمين واليهود .

جاء في المغني ^(٤) في كتاب الشركة : " قال أحمد : يشارك - يعني المسلم - اليهودي والنصراني، ولكن لا يخلو اليهودي والنصراني بالمال دونه، ويكون هو الذي يليه؛ لأنه يعمل بالربا، وبهذا قال الحسن والثوري ، فأما المجوسي فإن أحمد كره مشاركته ومعاملته، قال : ما أحب مخالطته ومعاملته؛ لأنه يستحل ما لا يستحل هذا، قال حنبل : قال عمي : لا تشاركه ولا تضاربه، وهذا - والله أعلم - على سبيل الاستحباب؛ لترك معاملته والكراهة لمشاركته، وإن فعل صح؛ لأن تصرفه صحيح .

الدليل الثالث: حديث عائشة - رضي الله عنها - : " تُؤْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ " ^(٥) .

(١) ينظر: مغني المحتاج (٢٤٦/٣)، الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، ص (٣٥)

(٢) البخاري مع الفتح (١٣٥ / ٥)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشركة ، باب مشاركة الذمي والمشركين في المزارعة ح (٢٤٩٩)

(٤) المغني (١١٠/٥-١١١)

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد، باب ما قيل في درع النبي ﷺ ح (٢٩١٦) ، ومسلم في

صحيحه ، كتاب المساقاة ، باب الرهن ، ح (١٦٠٣)

وهذا يدل على جواز معاملة المسلم لغير المسلم وإلا فقد كان بإمكان رسول الله ﷺ أن يستدين من تجار المسلمين - وما أكثرهم في عهده ﷺ - ويترك اليهود ^(١) . وإذا كانت المخالطة جائزةً فذلك لا يعني الإطلاق في كل الأحوال، بل ثمة قيود مهمة، لا بد من مراعاتها، وبيانها كما يلي :

أولاً : أنه لا بد أن يكون المجلس الذي يجمع المسلم وغير المسلم خالياً من المنكر العلني الظاهر، كسب الرسول ﷺ أو أصحابه رضي الله عنهم، أو الاستهزاء بشيء من أحكام الإسلام، أو بأهل الإسلام، أو وجود خمر، أو ميسر، أو نحو ذلك ، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذَا مَثَلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ ^(٣) .

حيث جاء النهي في هاتين الآيتين، وما أشبههما عن مجالسة الكافرين المزاولين للمنكر، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ ﴾ قد قيل فيها وجهان : أحدهما : في العصيان، وإن لم تبلغ معصيتهم منزلة الكفر، والثاني : إنكم مثلهم في الرضا بحالهم في ظاهر أمرهم، والرضا بالكفر، والاستهزاء بآيات الله تعالى كفر، ولكن من قعد معهم ساخطاً لتلك الحال منهم لم يكفر، وإن كان غير موسعٍ عليه في القعود معهم، وفي هاتين الآيتين دلالة على وجوب إنكار المنكر على فاعله، وأن من إنكاره إظهار الكراهة إذا لم يمكنه إزالته، وترك مجالسة فاعله والقيام عنه، حتى ينتهي ويصير إلى حال غيرها ^(٤) .

(١) ينظر: فتح الباري (٤/٥، ٤١٠/١)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١٤/٤) .

(٢) سورة الأنعام، الآية : ٦٨ .

(٣) سورة النساء، الآية : ١٤٠ .

(٤) قال الجصاص - رحمه الله - في أحكام القرآن (٣/٢٧٨) : " فإن قيل فهل يلزم من كان بحضرته منكر أن يتباعد عنه، وأن يصير بحيث لا يراه ولا يسمعه ؟، قيل له : قد قيل في هذا : إنه ينبغي له أن يفعل ذلك، إذا لم يكن في تباعده وترك سماعه ترك الحق عليه، من نحو ترك الصلاة في الجماعة؛ لأجل ما يسمع من صوت الغناء والملاهي، وترك حضور الجنائز؛ لما معها من النوح، وترك حضور الوليمة؛ لما هناك من اللهو واللعب، فإذا لم يكن هناك شيء من ذلك فالتباعد عنهم أولى، وإذا كان هناك حق يقوم به، ولم يلتفت إلى ما هناك من المنكر، وقام بما هو مندوب إليه من حق بعد إظهاره لإنكاره وكراهته، وقال قائلون : إنما نهي الله عن مجالسة هؤلاء

وجاء عنه ﷺ قوله : " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَجْلِسُ عَلَى مَائِدَةٍ يُدَارُ عَلَيْهَا بِالْخَمْرِ " (١) .

ثانياً : ألا يصل هذا الاختلاط إلى حد التأثير بهم أو حبهم أو اتخاذهم أولياء من دون المؤمنين، فيقع في المحرم أو الكفر .

ومن أجل ذلك فالإسلام يرغب في مجالسة الأتقياء الصالحين، ويحذر من مجالسة الأشرار الفاسقين، فكيف بالكفار ؟ ، قال رسول الله ﷺ : " إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً " (٢) فإذا كانت مجالسة أهل السوء عارضة فلا يكون لها أثر يذكر .

ثالثاً : أن يكون باستطاعة المخالط لغير المسلمين إظهار دينه قولاً وعملاً (٣) .

المنافقين، ومن يظهر الكفر والاستهزاء بآيات الله؛ لأن في مجالستهم تأنيساً لهم، ومشاركتهم فيما يجري في مجلسهم، وقد قال أبو حنيفة في رجل يكون في الوليمة، فيحضر هناك اللهو واللعب : إنه لا ينبغي له أن يخرج، وقال : لقد ابتليت به مرة، وروي عن الحسن أنه حضر هو وابن سيرين جنازة، وهناك نوح، فانصرف ابن سيرين، فذكر ذلك للحسن، فقال : إنا كنا متى رأينا باطلاً، وتركنا حقاً أسرع ذلك في ديننا لم نرجع، وإنما لم ينصرف لأن شهود الجنازة حق قد ندب إليه وأمر به، فلا يتركه لأجل معصية غيره، وكذلك حضور الوليمة قد ندب إليها النبي ﷺ فلم يجوز أن يترك لأجل المنكر الذي يفعله غيره إذا كان كارهاً له " وينظر: أحكام القرآن لابن العربي (٦١١/١)، تفسير ابن كثير (٤٣٤/٢) .

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في دخول الحمام ح (٢٧٢٥) ، من طريق الحسن بن صالح عن ليث بن أبي سليم عن طاوس عن جابر عن النبي ﷺ .

قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث طاووس عن جابر إلا من هذا الوجه، قال محمد بن إسماعيل: ليث بن أبي سليم صدوق وربما يهم في الشيء، قال محمد بن إسماعيل وقال أحمد بن حنبل: ليث لا يفرح بحديثه كان ليث يرفع أشياء لا يرفعها غيره فلذلك ضعفوه .

وأخرجه أحمد في مسنده (٢٠/١)، من طريق هارون حدثنا ابن وهب حدثني عمرو بن الحارث أن عمر بن السائب حدثه أن القاسم بن أبي القاسم السبيعي حدثه عن قاص الأجناد بالقسطنطينية أنه سمعه يحدث عن عمر بن الخطاب ﷺ عن رسول الله ﷺ .. ورمز له السيوطي في الجامع الصغير (٦٤٠/٢) بالحسن .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب البيوع ، باب في العطار وبيع المسك ح (٢١٠١) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة ، باب استحباب مجالسة الصالحين ح (٢٦٢٨) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ .

(٣) ينظر في هذا: الاستعانة بغير المسلمين للطريقي ص (٣٦-٣٧) .

الفصل السادس عشر

حكم إجابة دعوة غير المسلم

دلت سنة النبي ﷺ على جواز قبول المسلم دعوة غير المسلم، وقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أَنَّ يَهُودِيًّا دَعَا النَّبِيَّ ﷺ إِلَى خُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةِ سَنَحَةٍ فَأَجَابَهُ ^(١) .
ففي هذا الحديث أجاب النبي ﷺ دعوة هذا اليهودي الذي دعاه إلى طعام خبز شعير، وإهالة سنحة ^(٢) .

قال أبو داود - رحمه الله - : " قيل لأحمد : تجيب دعوة الذمي ، قال: نعم " .
قال الشيخ تقي الدين - رحمه الله - : " قد يحمل كلامه على الوجوب ، فعلى المذهب تكره إجابته على الصحيح من المذهب ، جزم به في الوجيز . وقيل: تجوز من غير كراهه . قال المصنف في المغني : قال أصحابنا : لا تجب إجابة الذمي ولكن تجوز ، وقال: في الكافي: تجوز إجابته " ^(٣) .



(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢١٠/٣) ح (١٣٢٢٤) من طريق عبد الصمد عن أبان عن قتادة عن أنس رضي الله عنه ، وإسناده صحيح ، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير أبان بن يزيد العطار فهو من رجال مسلم ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٧٠ / ٣) ح (١٣٨٨٧) وأبو يعلى في مسنده ح (٢٨٨٣) وابن حبان في صحيحه (ح ٥٢٩٣) - من طريق همام عن قتادة عن أنس رضي الله عنه أن خياطاً دعا رسول الله ﷺ إلى طعام ، فأتاه بطعام، وقد جعله بإهالة سنحة وقرع، فرأيت النبي ﷺ يتبع القرع من الصحيفة... الحديث، وإسناده صحيح.

(٢) الإهالة السنحة: هي كل شيء من الأدهان مما يؤتد به، وقيل: هو ما أذيب من الألية والشحم ، وقيل:

الدمس الجامد، والسَّنْحَة : هي المتغيرة الريح . ينظر: النهاية لابن الأثير (١٩٩/١) .

(٣) ينظر: الإنصاف للمرداوي (٣٢٠/٨) .

الباب السابع

التعامل مع غير المسلمين في حال الحرب

وفيه أحد عشر فصلاً :

الفصل الأول : هل الأصل في التعامل مع غير المسلمين السلم أو الحرب ؟

الفصل الثاني : الغاية من الحرب في الإسلام .

الفصل الثالث : حكم الاستعانة بغير المسلمين في الحرب .

الفصل الرابع : كيفية معاملة الأسرى في الحرب .

الفصل الخامس : حكم تعذيب العدو بالنار .

الفصل السادس : حكم استنقاذ أسرى الحرب المسلمين وأهل الذمة !

الفصل السابع : حكم قتل الفئات المستضعفة

الفصل الثامن : موقف الإسلام من جثث قتلى الكفار

الفصل التاسع : حكم الإجهاز على جريح الأعداء .

الفصل العاشر : حكم المثلة بالأعداء .

الفصل الحادي عشر : حكم قسمة الغنائم في دار الحرب .

الفصل الأول

هل الأصل في التعامل مع غير المسلمين السلم أو الحرب؟

ولأهمية هذه المسألة في الواقع المعاصر فسأبسط الخلاف، وأبرز أدلة القرآن والسنة ؛ كي ينتظم عقد المسألة بجمع نصوصهما معاً ، ولأن إجلاء المسألة معقود بالربط بينهما ، فأقول مستعيناً بالله :

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين :

القول الأول : أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو الحرب، وبهذا قال جمهور علماء المالكية والحنفية والشافعية والحنابلة ^(١) .

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة كثيرة من القرآن والسنة، فأما الأدلة من القرآن فهي على نوعين :

النوع الأول : آيات تأمر بقتال الكفار مطلقاً كقوله تعالى : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ﴾ ^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ۝٣٠ ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۝٤١ ﴾ ^(٤) ، وقوله : ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ ۝٥٠ ﴾ ^(٥) ، وقوله : ﴿ وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۝٦٠ ﴾ ^(٦) ، وقوله : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ۝٧٠ ﴾ ^(٧) ، وهذه تسمى آية السيف، قيل إنها نسخت مائة وأربعاً وعشرين آية

(١) ينظر : كشف القناع (٢٨/٣ ، ٣٢ - ٣٦) ، فتح القدير لابن الهمام (٢٧٧/٤ - ٢٨٢) ، بدائع الصنائع (

١٠٠/٧) ، مغني المحتاج (٢/٤ - ٩ - ٢١٩) ، اللباب في شرح الكتاب (١١٥/٤) ، معاملة غير المسلمين

في الإسلام (٢٤٩/١) .

(٢) سورة الحج الآية: ٣٩ .

(٣) سورة البقرة الآية: ٢١٦ .

(٤) سورة الأنفال الآية: ٦٥ .

(٥) سورة البقرة الآية: ١٩١ .

(٦) سورة البقرة الآية: ١٩٣ .

(٧) سورة التوبة الآية: ٥ .

آية من الآيات التي تأمر بالإعراض عن المشركين والصفح عنهم^(١)، وكقوله تعالى أيضاً : ﴿الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْنِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾^(٢) وهذه الآية من أهم أدلة أصحاب هذا القول لأن فيها الأمر - كما يرون - بالقتال الجماعي للمشركين كافة، وشبيه بها قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَنِلُوا الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾^(٣) ، وكذلك قوله ﴿قَنِلُوا قَنِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٤) ، فهذه الآيات وما شابهها مما لم يذكر تدل على وجوب قتال الكفار مطلقاً دون قيد أو شرط؛ لأن هذا الفريق يرون أن قتال الكفار هو دعوة إلى الإسلام، وحمل للمخالفين على نبد كفرهم، واعتناق الإسلام، فإذا كان القتال دعوة إلى الدين فلا يحل تركه مع القدرة عليه بحال من الأحوال .

النوع الثاني : الآيات التي ورد فيها النهي عن اتخاذ الكافرين أولياء أو إلقاء المودة إليهم مطلقاً كقوله تعالى : ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾^(٦) ، وقوله : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾^(٧) ، وقوله : ﴿لَا يَحْدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾^(٨) .

(١) ينظر: الناسخ والمنسوخ في القرآن لابن خزيمة ص (٢٦٤) ، الناسخ والمنسوخ لابن حزم (١٧٩/٢) ،
الناسخ والمنسوخ للنحاس ص (٢٦٤) ، تفسير المنار (١٩٩/١٠) .

(٢) سورة التوبة الآية: ٣٦ .

(٣) سورة التوبة الآية: ١٢٣ .

(٤) سورة التوبة الآية: ٢٩ .

(٥) سورة آل عمران الآية: ٢٨ .

(٦) سورة المائدة الآية: ٥١ .

(٧) سورة الممتحنة الآية: ١٠ .

(٨) سورة المجادلة الآية: ٢٢ .

ففي هذه الآيات دلالة على وجوب أن لا يكون للمسلمين مع الكفار مخالفة أو موالاة أو مودة واطمئنان وثقة؛ لانطوائهم على الغدر والحقد، وتبئيتهم الخيانة والنقض، وانتظار الفرصة المواتية للنيل من المسلمين .

وأما الأدلة من السنة: فقد ورد الأمر فيها بالقتال حتى تتحقق الغاية من القتال وهي اعتناق الإسلام، ومن الأحاديث الواردة في ذلك قوله ﷺ : بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي^(١) ، ومعنى هذا - عند أصحاب هذا القول - أن للسيوف المقام الأول في تقرير دعوة التوحيد، ومنها قوله ﷺ : " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ " ^(٢) .

وهذا يدل على أن الأمر بقتال الناس هو من أجل الدخول في الإسلام، فالقتال إذن هو الطريق الأول للدعوة إلى الإسلام وترك الكفر، إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة بهذا المعنى .

كما قالوا: إن من دعوا إلى الإسلام على وجه صحيح لا عذر لهم في البقاء على كفرهم؛ لأن الله أقام الأدلة القاطعة على وجوده ووحدانيته، وأن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يقبل الله سواه، فلا بد من حملهم عليه قسراً امتثالاً لما ورد في النصوص التي سبق ذكرها .

القول الثاني : أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو السلم، وبهذا قال سفيان الثوري ، وسحنون من المالكية، ونسب لابن عمر رضي الله عنه، وبه قال شيخ الإسلام ابن تيمية

(١) أخرجه أحمد ح (٥١١٥)، وابن أبي شيبه (٣١٣/٥)، والبيهقي في الشعب ح (١١٩٩) من حديث ابن عمر، وإسناده فيه ضعف لأنه من رواية عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، وقد تكلم فيه ينظر: التقريب ص (٣٣٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان ، باب : فإن تابوا وأقاموا الصلاة ح (٢٥) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ح (٢٢) من حديث عبد الله بن عمر ، وأخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإيمان ح (٢٩٤٦) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ح (٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وابن القيم ، ومن المعاصرين محمد رشيد رضا، ومصطفى السباعي ، واستدل أصحاب هذا القول بأدلة من الكتاب والسنة والإجماع .^(١)

فأما الأدلة من كتاب الله فهي على أربعة أنواع :

النوع الأول: الآيات التي أمر الله تعالى فيها بالسلم، وحث فيها على قبوله من الكفار حين اللجوء إليه كقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾^(٢) ، وقوله : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣) ، وقوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْكُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَأَجَلَّ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾^(٤) ، وقوله : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ ءَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسَتْ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾^(٥).

فهذه الآيات البينات جاء فيها الأمر بقبول السلم من الكفار إذا جنحوا إليه .

النوع الثاني : الآيات التي قيد الله فيها الأمر بقتال الكفار في حال اعتدائهم وظلمهم للمسلمين كقوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٦) وأقتلوهم حيث يقفونهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقتلوه عند المسجد الحرام حتى يقتلوه فيه فإن قتلوه فاقتلوه كذلك جزاء الكافرين^(٧) فإن أنهبوا فإن الله عفور رحيم^(٨) وقتلوه حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن أنهبوا فلا عدوان إلا على الظالمين^(٩) ، وقوله : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾^(١٠) ، وقوله : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(١١) .

(١) ينظر: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (١ / ٥٨٣ - ٦٠٤) .

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٠٨ .

(٣) سورة الأنفال الآية: ٦١ .

(٤) سورة النساء الآية: ٩٠ .

(٥) سورة النساء الآية: ٩٤ .

(٦) سورة البقرة الآيات: ١٩٠-١٩٣ .

(٧) سورة النساء الآية: ٧٥ .

(٨) سورة الحج الآيتين: ٣٩ - ٤٠ .

النوع الثالث : الآيات التي أباح الله فيها صلة وبر الكفار الذين لم يقاتلونا كقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨) . (١)

النوع الرابع : قوله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٢) ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " جمهور السلف على أنها ليست بمنسوخة ولا مخصوصة، وإنما النص عام فلا نكره أحداً على الدين، والقتال لمن حاربنا، فإن أسلم عصم ماله ودينه، وإذا لم يكن من أهل القتال لا نقتله، ولا يقدر أحد قط أن ينقل أن رسول الله ﷺ اكراه أحداً على الإسلام، لا ممتنعاً ولا مقدوراً عليه، ولا فائدة في إسلام مثل هذا، لكن من أسلم قبل منه ظاهر الإسلام " (٣).

أما الأدلة من السنة لأصحاب هذا القول - القائلين بأن الأصل في العلاقة مع الكفار السلم - فكثيرة منها :

أولاً: قول النبي ﷺ : " لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا.... " (٤) ، حيث نهى النبي ﷺ عن الرغبة في الحرب وتمني لقاء العدو، وهذا يدل يدل على أن حالة الحرب حالة طارئة، لا يشرع للمسلم أن يتمناها إلا إذا قامت أسبابها، وتوافرت دواعيها، كما أمر النبي ﷺ في هذا الحديث بسؤال الله العافية والسلامة، فإن قدر للمسلم لقاء عدوه فالمشروع حينئذ الصبر والثبات، وكل هذا يفيد أن الأصل في العلاقة مع الكفار السلم .

ثانياً: حروب النبي ﷺ التي خاضها ضد المشركين، كان المشركون فيها هم المعتدين أو المتسببين بأسباب مباشرة أو غير مباشرة، وهذا يؤكد أن الأصل مع الكفار السلم لا

(١) سورة الممتحنة الآية: ٨ .

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٥٦ .

(٣) السياسة الشرعية ص (١٢٣ - ١٢٥) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد ، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى

تزول الشمس ح (٢٩٦٦)، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب كراهية تمني لقاء العدو ح (١٧٤١)

من حديث أبي هريرة ؓ .

الحرب، ولو كان الأصل معهم الحرب لكان النبي ﷺ يبدؤهم بذلك والمتواتر من سيرته ﷺ أنه لم يبدأ أحداً بالقتال ^(١) .

ثالثاً: رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء، ودعوته لهم بالدخول إلى الإسلام ^(٢)، يدل على أن الأصل السلم، ولو كان الأصل الحرب لما أرسل إليهم رسائل، وإنما بعث إليهم جيوشاً للمحاربة .

رابعاً: واستدلوا أيضاً بالإجماع، حيث نقل اتفاق المسلمين ^(٣) عملاً بالثابت من السنة، أنه لا يجوز قتل النساء والصبيان - وزاد الحنفية والمالكية والحنابلة -: الرهبان والشيوخ، والعميان والزمنى والعجزة والأجراء والفلاحين في حرثهم، إلا إذا قاتلوا أو شاركوا برأي أو إمداد، قالوا لو كان الأصل مع الكفار الحرب لحملهم على الإسلام، ما ساغ استثناء هؤلاء، واستثناءهم برهان على أن القتال إنما هو لمن يقاتل دفعاً لعدوانه، قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: " الصواب أنهم لا يقاتلون؛ لأن القتال هو لمن يقاتلنا، إذا أردنا إظهار دين الله فلا يباح قتلهم لمجرد الكفر " ^(٤) .

خامساً: كما علل أصحاب هذا القول بقولهم: إن وسائل الإكراه والقهر لا يمكن أن تنجح لفرض الدين في النفوس، لأن الدين أساسه القناعة، وهو شيء قلبي، واعتقاد داخلي، وما كان كذلك فطريقه الحجة والبرهان والإقناع لا القوة والقهر، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ^(٥) ، وقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ ^(٦) .

(١) ينظر : رسالة القتال لابن تيمية ص (١٢٥)

(٢) كهزقل وكسرى والمقوقس والمنذر بن ساوى وملك عمان وصاحب اليمامة هوزة بن علي والحارث الغساني وغيرهم من ملوك وأمراء المناطق ، ينظر نصوص هذه الرسائل في: صحيح مسلم ، كتاب الجهاد ، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الإسلام (٣ / ١٣٩٧) ، زاد المعاد (٣ / ٦٨٨-٦٩٧) ، حياة الصحابة للكاندهلوي (١ / ٣١ ، ١٢٤) .

(٣) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨ / ٤١٤) ، مراتب الإجماع لابن حزم ص (٢٠١) .

(٤) السياسة الشرعية ص (١٢٣) .

(٥) سورة يونس الآية: ٩٩ .

(٦) سورة البقرة الآية: ٢٥٦ .

هذه أبرز أدلة أصحاب القولين، وعلى كل منهما مناقشات وردود، أغضيت عنها اختصاراً .

والذي يمكن ترجيحه بعد هذا الاستعراض السريع لنصوص الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم: أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو دعوتهم إلى دين الإسلام كمرحلة أولى لا يسبقها غيرها، بل هي البوابة لتحديد نوع العلاقة ^(١)، لأن الأمة مخاطبة بنشر دينها وعقيدتها، فإذا ما قامت بهذا الحمل الدعوي الكبير، ودعت أمم الكفر لدين الإسلام ففي هذه الحالة ينقسم الكفار إلى أقسام ثلاثة :

القسم الأول : من يستجيب منهم لدعوتنا، ويعتق ديننا فهؤلاء إخواننا لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٣) .

القسم الثاني : من لا يقبل الدخول في الإسلام لكن لا يقف في طريق دعوته، ولا يقاتل من يدعو إليه، ويلقي إلينا السلم سواء كان من أهل العهد أو لم يكن، فهؤلاء الأصل في حقهم المسالمة، ما لم يعتدوا بقول أو فعل، وعلى هؤلاء تحمل الآيات التي أمر الله فيها بالسلم، وأباح فيها الإحسان للكفار، كقوله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ^(٤) ، وقوله : ﴿

(١) ويرى بعض الباحثين المعاصرين أنه لا يسوغ طرح هذه المسألة على أن العلاقة مع الكفار سلم أو حرب، لأن فيه إيهاماً يؤدي إلى اللبس في شأن هذه العلاقة هل هي قبل تبليغ الدعوة ورفض الاستجابة أو بعد ذلك، لأن الفرق بينهما مختلف . ينظر : أحكام المعاهدات في الفقه الإسلامي للعيسوي ص (٥٠ - ٥١) ، والجهاد والقتال في السياسة الشرعية (٨٢٨/١) رسالة دكتوراه، د محمد خير هيكل .

(٢) سورة التوبة الآية: ١١ .

(٣) سورة التوبة الآية: ٥ .

(٤) سورة الممتحنة الآية: ٨ .

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَحْ لَهَا ﴾ ^(١) ، وقوله: ﴿ فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقْبَلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمْ فَأَجْعَلِ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ ^(٢) .

قال الشوكاني - رحمه الله على هذه الآية - : " فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِقِتَالِكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ أَيْ اسْتَسْلَمُوا لَكُمْ وَانْقَادُوا، "فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً: أي طريقاً، فلا يحل لكم قتلهم ولا أسرهم ولا نهب أموالهم، فهذا الاستسلام يمنع من ذلك ويحرمه" ^(٣) .

القسم الثالث : من يرفض الدخول في الإسلام، ويقف في طريق دعوته، أو ينقض عهداً مع المسلمين، أو يعتدي على أحد منهم بقول أو فعل، أو يخطط لذلك مستقبلاً، فهؤلاء الأصل في حقهم الحرب - وهي المرحلة التالية لدعوتهم إلى دين الإسلام - وعلى هؤلاء تحمل الآيات الواردة بقتال المشركين، كقوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٤) ، وقوله : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ ^(٥) ، وقوله : ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ^(٦) ، وقوله : ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبَلُهُمْ ﴾ ^(٧) ، والمراد هؤلاء الذين أمر الله بقتالهم في هاتين الآيتين كفار مكة الذين قاتلوا رسول الله ﷺ وصحابته وأخرجوهم منها ^(٨) ؛ لأنه قال بعد قوله: قوله: ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبَلُهُمْ ﴾ ، ﴿ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ ﴾ ، فأمر الله بقتالهم أنى كانوا؛ لأنهم آذوا رسول الله ﷺ وصحابته ﷺ، و أخرجوهم من ديارهم، ووقفوا في طريق دعوتهم للإسلام ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " القتال هو لمن يقاتلنا، إذا

(١) سورة الأنفال الآية: ٦١ .

(٢) سورة النساء الآية: ٩٠ .

(٣) فتح القدير (٧٤٢/١) .

(٤) سورة البقرة ١٩٣ .

(٥) سورة التوبة ٢٩ .

(٦) سورة التوبة ٥ .

(٧) سورة البقرة ١٩٣ .

(٨) ينظر: تفسير الطبري (١٠٩/٢) ، تفسير ابن عطية (١٣٢/٨) ، تفسير البغوي (١٦٢/١) .

أردنا إظهار دين الله، كما قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُّوا إِلَيْكُمْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١) " (٢) .

وقال - أيضا - : " وأما النصارى فلم يقاتل أحداً منهم حتى أرسل رسله بعد صلح الحديبية إلى جميع الملوك يدعوهم إلى الإسلام فدخل في الإسلام من النصارى وغيرهم من دخل فعمد النصارى بالشام فقتلوا بعض من قد أسلم، فالنصارى هم حاربوا المسلمين أولاً، وقتلوا من أسلم منهم بغياً وظلماً فلما بدأ النصارى بقتل المسلمين أرسل سرية أمر عليها زيد بن حارثة ثم جعفر ثم ابن رواحة، وهو أول قتال قاتله المسلمون للنصارى بمؤتة من أرض الشام، واجتمع على أصحابه خلق كثير من النصارى، واستشهد الأمراء عليهم السلام " (٣) .

وقال الإمام النووي - رحمه الله - : " الناس صنفان: فأما الذين قاتلوا أهل الإسلام أو أجلوهم عن أوطانهم أو أعانوا على شيء من ذلك فمن الظلم المنهي عنه أن يتولاهم المسلمون، ويحسنوا إليهم، وهؤلاء وأمثالهم شرع القتال ليفسحوا للدعوة سبيلها . وأما الذين لم يفعلوا شيئاً من ذلك فلا على المسلمين في الإحسان إليهم والبذل لهم، ولو كان هؤلاء ممن أمر بقتالهم لما ساغ ذلك، فعسى أن يكون فيه قوة لهم، مع أن إضعاف العدو بكل وسيلة من أخص ما يعنى به المحاربون " (٤) .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ (٥) ، فهذا من طريق المقابلة الجماعية أمام تكتل المشركين الجماعي وهو أمر لكافة المسلمين المقاتلين بمحاربة كافة المشركين المقاتلين .

(١) سورة البقرة الآية: ١٩٠ .

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥٤/٢٨) .

(٣) رسالة القتال لابن تيمية ص (١٢٥) .

(٤) شرح مسلم للنووي (٩٨/١ - ٩٩) .

(٥) سورة التوبة الآية: ٣٦ .

قال ابن كثير - رحمه الله - : " كما يجتمعون لحربكم إذا حاربوكم، فاجتمعوا أنتم أيضاً لهم إذا حاربتموهم، وقتلوهم بنظير ما يفعلون، ويحتمل أنه أذن للمؤمنين بقتال المشركين في الشهر الحرام إذا كانت البداءة منهم " (١) .

وقال ابن عطية - رحمه الله - : " لم يعلم قط من شرع النبي ﷺ أنه ألزم الأمة جميعاً النفير، وإنما معنى الآية الحض على قتالهم والتحزب عليهم وجمع الكلمة، ثم قيدها بقوله : " كما يقاتلونكم " فبحسب قتالهم واجتماعهم لنا يكون فرض اجتماعنا لهم " (٢) .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - : " قاتلوا جميعكم المشركين، فيكون فيها وجوب النفير على جميع المؤمنين، وقد نسخت على هذا الاحتمال بقوله : وما كان المؤمنون لينفروا كافة " (٣) .

وهذا هو رأي ابن عباس - رضي الله عنهما - كما ذكر ذلك ابن أبي حاتم في تفسيره (٤) ، وروى أبو داود في سننه عن ابن عباس قال في قوله : ﴿إِلَّا نَفِرُوا يُعَذِّبَكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٥) ، وقوله : ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ (٦) قال : نَسَخَتْهَا الْآيَةُ الَّتِي تَلِيهَا : ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ (٧) (٨) .

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٤٩) .

(٢) المحرر الوجيز (٨/١٧٨) .

(٣) تفسير السعدي (٢/٢٤٤) .

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٦/١٨٠٣) .

(٥) سورة التوبة الآية: ٣٩ .

(٦) سورة التوبة الآية: ١٢٠ .

(٧) سورة التوبة الآية: ١٢٢ .

(٨) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الجهاد، باب: في نسخ نفير العامة بالخاصة (ح٢٥٠٥) ، والبيهقي في سننه سننه في السير، باب: النفير وما يستدل به على أن الجهاد فرض على الكفاية (ح١٧٩٣٧) ، من طريق يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .

وبهذا التفصيل السابق تجتمع الأدلة، ويتم إعمالها جميعاً، وتُترل النصوص في محالها، فأما كون الأصل الأول الذي يتحدد به نوع العلاقة، دعوتهم إلى الإسلام قبل قتالهم فهذا محل اتفاق بين أهل العلم ^(١) لأدلة كثيرة منها :

١- قول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام يوم خيبر : انفذْ عَلَى رَسَلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ " (٢) .

٢- حديث بريدة بن الحصيب عليه السلام قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ : اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ، اغْزُوا وَلَا تَعْلُوا وَلَا تَعْدِرُوا ، وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيَّتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ... الحديث (٣) .

(١) ينظر : المبسوط (٣/١٠) ، البحر الرائق (٨١/٥) ، حاشية ابن عابدين (١٢٨/٤) ، المغني (١٧٢/٩ - ١٧٣) ، كشف القناع (٤٠/٣) ، مطالب أولي النهى (٥٠٩/٢) ، روضة الطالبين (٢٥٩/٩) ، الفواكه الدواني (٣٩٦/١) ، شرح صحيح مسلم للنووي (١٩٧/١ - ٣٦/١٢) ، سبل السلام (٤٥/٤) ، الموسوعة الفقهية (١٤٣/١٦) ، موسوعة الإجماع لابن تيمية ص (٣٤٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب مناقب علي بن أبي طالب ح (٣٧٠١) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام ح (٢٤٠٦) ، من حديث سهل بن سعد عليه السلام أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّأْيَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَالَ : فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُن لَيْلَتُهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا قَالَ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ : أَيُّنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؟ فَقَالُوا : هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ قَالَ : فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ ، فَأَتَيْنِي بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، فَأَعْطَاهُ الرَّأْيَةَ فَقَالَ عَلِيٌّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا فَقَالَ : انْظُرْ عَلَى رَسَلِكَ ... الحديث .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب : تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب بآداب الغزو وغيره ح (١٧٣١) .

٣- حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - : " مَا قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمًا حَتَّى يَدْعُوهُمْ ^(١) ، قال الطبري - رحمه الله - : " أجمعت الحجة أن رسول الله ﷺ لم يقاتل أعداءه من أهل الشرك إلا بعد إظهاره الدعوة، وإقامة الحجة، وأنه ﷺ كان يأمر أمراء السرايا بدعوة من لم تبلغه الدعوة " ^(٢) .

ومعنى هذا أن دعوة الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم أمر واجب إن كانت دعوة الإسلام لم تبلغهم، ومستحبه إن تكن قد بلغتهم، هذا إذا كان المسلمون هم الذين قصدوا الكفار في ديارهم، أما إذا كان الكفار هم الذين قصدوا المسلمين ففي هذه الحالة للمسلمين أن يقاتلوهم من غير دعوة؛ لأنهم بذلك يدافعون عن أنفسهم وحريمهم ^(٣) .



(١) أخرجه أحمد ح (٢١٠٥)، والدارمي ح (٢٤٤٤)، وأبو يعلى ح (٢٥٩١) ، من طريق ابن أبي نجيح عن أبيه عن ابن عباس، وسنده صحيح .

(٢) اختلاف الفقهاء ص (٢٠٥) .

(٣) ينظر : أحكام أهل الذمة لابن القيم (٥/١) .

الفصل الثاني

الغاية من الحرب في الإسلام

فرض الجهاد في الإسلام لا لذاته، ولا لأنه وسيلة إلى التشفي والانتقام، وإنما شرع لحماية دين الإسلام، وللمحافظة على بيضة المسلمين وهيبتهم .

قال ابن رشد: " وأما قتل الكفار فليس بمقصود، حتى لو أمكن الهداية بإقامة الدليل بغير جهاد كان أولى من الجهاد " (١) .

وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام: " وَلَئِنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ " (٢) .

وإذا فمتى ما قبل العدو الدخول في الإسلام، وأعلن ذلك، وجب الكف عن القتال، ويدل على ذلك ما يلي :

الدليل الأول : حديث بريدة عن أبيه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَائْتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ... الحديث (٣) .

وجه الدلالة : أن هذا الحديث يدل على أن الحرب تنتهي فور قبول الإسلام، وذلك بسبب الوصول إلى الغاية المنشودة، وإعلان التمسك بعقيدة الإسلام .

الدليل الثاني : حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : " أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا

(١) مقدمات ابن رشد المدونة (١ / ٣٧٩)، مغني المحتاج (٤ / ٤١٠)، وينظر: آثار الحرب في الفقه الإسلامي،

وهبة الزحيلي، ص (٦٤٠) .

(٢) سبق تخريجه ص (٧٤) .

(٣) سبق تخريجه ص (٢٢٣) .

الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ " (١) .

وجه الدلالة : أن الحديث مبين لقوله تعالى ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

الدليل الثالث : ما جاء عن عصام المزني قال : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَعَثَ السَّرِيَّةَ يَقُولُ: إِذَا رَأَيْتُمْ مَسْجِدًا أَوْ سَمِعْتُمْ مُنَادِيًا فَلَا تَقْتُلُوا أَحَدًا " (٣) ، فمجرد وجود المسجد في البلد كاف في الاستدلال على إسلام أهل ذلك البلد، وإن لم يسمع منهم الأذان .

الدليل الرابع : حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي حَذِيْمَةَ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَأْنَا صَبَأًا (٤) ، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِّنَّا أُسِيرَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان ، باب : فإن تابوا وأقاموا الصلاة ح (٢٥) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ح (٢٢) من حديث عبد الله بن عمر ، وأخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإيمان ح (٢٩٤٦) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ح (٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سورة التوبة، الآية : ٥ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الجهاد ، باب في دعاء المشركين (٤٩/٢) ح (٢٦٣٥) ، والترمذي في جامعه ، كتاب السير ، باب ما جاء في الدعوة قبل القتال (١٢٠/٤) ح (١٥٤٩) ، والنسائي في الكبرى ح (٨٨٣١) ، وأحمد في مسنده ح (١٥٧١٤) ، والبيهقي في السنن (١٨٢/٩) ، والشافعي في مسنده (١١٦/٢) ، من طريق سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن رجل من مزينة يقال له : ابن عصام عن أبيه ... وإسناده ضعيف ؛ لجهالة ابن عصام المزني ، قال ابن حجر في التقریب ص (٦٩٦) : " لا يعرف حاله " ، وقال الذهبي في الكاشف ص (٤٨١) : " تفرد عنه عبد الملك بن نوفل " ، وعبد الملك بن نوفل بن مساحق لم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان ، قال الترمذي في جامعه ح (١٥٤٩) - كما في المطبوع - : " هذا حديث غريب " ، لكن نقل المنذري في مختصر سنن أبي داود (٤٣٢/٣) ، والمزني في تهذيب الكمال (٤٣٠/١٨) ، وتحفة الأشراف (٢٩٦/٧) أنه قال : " حسن غريب " ، ونقل تحسين الترمذي له أيضاً الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٤/٥) .

(٤) صَبَأًا : أي دخلنا في دين الصابئة، وكان أهل الجاهلية يسمون من أسلم صابئاً، وكأنهم قالوا : أسلمنا، والصابيء في الأصل : الخارج من دين إلى دين، قال في القاموس المحيط (٥٦ / ١) : " صبأ كمنع وكرم ، صبأ وصبؤ : خرج من دين إلى دين " ، وينظر: لسان العرب (١٠٧/١) ، مختار الصحاح، ص (١٤٩) .

يَوْمَ أَمَرَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلَّ رَجُلٍ مِّنَّا أَسِيرَهُ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي ، وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِّنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرْنَاهُ فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فَقَالَ: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ " مَرَّتَيْنِ (١) .

وجه الدلالة : أن الكناية مع النية كصريح لفظ الإسلام، الذي يحرم به القتال بعدئذ، بدليل إنكار النبي ﷺ على خالد صنيعه .

فهذه أدلة صريحة على أن إعلان الإسلام أو ما يدل عليه موجب للكف عن القتل، ولكن من الجدير بالذكر : أن حالة الحرب لا تسمح بالتيقن من صدق إسلام العدو، وأن نطقه بالإسلام أو ما يرمز إليه كافٍ في الدلالة على وجوب الكف عن القتال (٢) وأمثلة ذلك : النطق بإحدى الشهادتين، كما في حديث أبي هريرة ﷺ الذي قال فيه النبي ﷺ " أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ " (٣) .

وكما في حديث أبي مالك عن أبيه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ " (٤) .

وكما لو أعلن الإسلام بقوله : أسلمت، أو أنا مسلم، كما جاء عن المقداد بن الأسود ﷺ أنه قال لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ فَاقْتَتَلْنَا، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لَازَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ ، فَقَالَ: أَسَلَمْتُ لِلَّهِ، أَقْتُلْهُ يَا رَسُولَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ح (٤٣٣٩) .

(٢) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٤٤/١)، المحلى (٣١٦/٧)، نيل الأوطار (١٩٨/٧)، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص (٦٤٣) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإيمان ح (٢٩٤٦) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ح (٢١) من حديث أبي هريرة ﷺ ، وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان ، باب : فإن تابوا وأقاموا الصلاة ح (٢٥) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ح (٢٢) من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ح (٢٣) .

اللَّهُ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا تَقْتُلْهُ " ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ قَطَعَ إِحْدَى يَدَيْ ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا تَقْتُلْهُ ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلْهُ ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتُهُ الَّتِي قَالَ " ^(١) .

ومثل ما لو قال العدو : صباناً، صباناً، - كما في قصة خالد السابقة -، فإنه يقبل من الشخص الإسلام، ولو كان ذلك بأي لغة، ويجب حينئذ إيقاف القتال، ولو كان الاعتراف بالإسلام خشية القتل، كما في قصة أسامة بن زيد ﷺ قال : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ فَصَبَحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ ، فَأَذْرَكْتُ رَجُلًا فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتُهُ ؟ " قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ قَالَ : " أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا " فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ ^(٢) .

كل ذلك كافي في الاستدلال على أن اعتناق الإسلام سبب في إنهاء القتال وعودة حالة السلم ، ويُقبل الإسلام من الشخص - بصفة عامة - بمجرد إعلانه الإسلام، دون ضرورة لاستبطان حقيقة أمره، أو الكشف عما في قلبه؛ لأنه لا يعلم حقيقة ما في القلوب إلا الله ، فعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قال : إِنَّ أَنْاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمْنَاهُ وَقَرَّبَنَاهُ ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ ، اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنَّهُ ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ وَإِنْ قَالَ : إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ ^(٣) .

قال ابن حجر - رحمه الله - : " في قوله ﷺ : " عصموا مني دمائهم وأموالهم ... " دليل على قبول الأعمال الظاهرة، والحكم بما يقتضيه الظاهر، والاكتفاء في قبول الإيمان بالاعتقاد الجازم، خلافاً لمن أوجب تعلم الأدلة" ^(٤) ، وترجم البخاري - رحمه الله -

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا ح (٤٠١٩) ، ومسلم في صحيحه

، كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ح (٩٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب بعث النبي ﷺ أسامة ح (٤٢٦٩) ، ومسلم في

صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ح (٩٦) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشهادات ، باب الشهود العدول ح (٢٦٤١) .

(٤) فتح الباري (١ / ٦٤) ، وينظر: آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص (٦٤٦) .

بقوله: " باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ ^(١) " ^(٢) .

ويثير بعض أعداء دين الإسلام شبهة قديمة متجددة: أن الإسلام دين اعتداء وعدوان ، ويستندون في ذلك إلى بعض الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ ، ومن ذلك :

الحديث الأول : حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ: " بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ، لَهُ وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي وَجُعِلَ الذَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي... " ^(٣) ، فهذا الحديث قد يؤهم ظاهره أن السيف له المقام الأول في الرسالة المحمدية ، ولكن الحقيقة غير ذلك وهي أن النبي ﷺ دعا بالحق المجرد ، واستمر يدعو كذلك ثلاث عشرة سنة ونيفاً ، وبعد الهجرة بنحو سنة شرع القتال ، والحديث يبين مشروعية الجهاد في عهد النبي ﷺ؛ لأنهم كانوا في حرب مع أعدائهم الذين ألجؤوهم إلى خوض المعارك إلجاءً ، ولو أن غير

(١) سورة الحجرات، الآية : ١٤ .

(٢) البخاري مع الفتح (٧٩/١) قال الحافظ ابن حجر: " المسلم يطلق على من أظهر الإسلام ، وإن لم يعلم باطنه " .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ح (٥١١٤)، من طريق عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر ، وعبد الرحمن قد اختلف فيه ، فمن العلماء من قوى حديثه ، ومنهم من ضعفه ، وقد تغير بآخره ، والأقرب أنه حسن الحديث إذا لم يتفرد بما ينكر ، وقد أشار الإمام أحمد رحمه الله إلى أن له أحاديث منكورة هذا منها، ينظر تهذيب الكمال (٧/١٧)، وقد أخرجه ابن أبي شيبه (٣١٣/٥)، والبيهقي في الشعب (١١٩٩) ، وأحمد في مسنده ح (٥١١٥)، من طريق أبي النظر هاشم بن القاسم ، عن عبد الرحمن به ، قال الذهبي في السير (٥٠٩/١٥) : " إسناده صالح " .

وعلق البخاري (٩٨/٦) بعضه بصيغة التمریض ، في باب ما قيل في الرماح فقال : " ويذكر عن ابن عمر عن النبي ﷺ : " جعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري " ، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٣١) من طريق الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن حسان بن عطية به ، وفيه علتان: الأولى : تفرد الوليد بن مسلم عن الأوزاعي ، الثانية: الاضطراب .

وأخرج قوله : " من تشبه بقوم فهو منهم " ، دون أوله أبو داود في سننه ح (٤٠٣١)، من طريق عثمان ابن أبي شيبه عن أبي النظر عن حسان به ، وهو بهذا اللفظ جيد ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء (٢٦٩/١) : " وهذا إسناده جيد ، فإن ابن أبي شيبه وأبا النظر وحسان بن عطية ، ثقات ، مشاهير ، أجلاء ، من رجال الصحيحين ، وهم أجل من أن يحتاج إلى أن يقال : هم من رجال الصحيحين " .

المسلمين كفوا عن فتنهم وتركوهم أحراراً في نشر دعوتهم ، ما شهر المسلمون سيفاً ولا أقاموا حرباً. فمعنى قوله ﷺ : " بعثت بالسيف " أي : بعثني الله لأقاتل في سبيل الله من يقف أمام دعوتي .

الحديث الثاني : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ " (١). المراد بالناس في قوله : " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ " : مشركوا العرب خاصة؛ لأنهم اجتمعوا على الرسول لقتاله ، فكلمة " الناس " وإن أفادت العموم لوجود (ال) الجنسية فإنها مخصصة بآية الجزية ، فهذا من العام الذي أريد به الخاص ، ويدل عليه رواية النسائي بلفظ: " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَإِذَا شَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَصَلُّوا صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلُوا قِبَلَتَنَا وَأَكَلُوا ذَبَائِحَنَا فَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا " (٢) ، وهذا مألوف في العربية ، قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ (٣) ، أريد بالناس الأول : نعيم بن مسعود الأشجعي ، وبالثاني : أبو سفيان (٤) .

ومن هنا استنبط الأصوليون أنه يجوز تخصيص العام بالواحد مطلقاً أي : سواء أكان جمعاً أم لا (٥) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإيمان ح (٢٩٤٦) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ح (٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب : فإن تابوا وأقاموا الصلاة ح (٢٥) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ح (٢٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه النسائي في سننه ، كتاب تحريم الدم (٤ / ٦) من طريق هارون بن محمد عن محمد بن عيسى ثنا حميد الطويل عن أنس رضي الله عنه .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٧٤ .

(٤) ينظر : البحر المحيط (٣ / ١١٧) ، تفسير القرطبي (٤ / ٢٧٩) .

(٥) ينظر : شرح الأسنوي (٢ / ٨٣ ، ١٠٠) .

والحديث يفيد أن القتال شرع لكف الشر عن طريق الإسلام ودعوته ، و فرق بين القتل والقتال ، حكى البيهقي عن الشافعي - رحمه الله - أنه قال : " ليس القتال من القتل بسبيل ، قد يحل قتال الرجل ولا يحل قتله " ^(١) ، والحديث جاء بلفظ : " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ " .

وأما القول بأن للدين دعوتين : دعوة باللسان ، ودعوة باللسان ؛ لإصلاح عقائد الناس وأنظمة الحياة ، فهو قول لا يتفق مع الطريق التي بينها الله تعالى لنشر الإسلام ، وهي الدعوة بالحجة والبرهان والإقناع بالمنطق والعقل ، وذلك في آيات كثيرة ، مثل قوله سبحانه : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ^(٢) ، ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ۝٢٢ ﴾ ^(٣) ، ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥ ﴾ ^(٤) .

الحديث الثالث : قال سفيان بن عيينة : بعث الله رسوله ﷺ بأربعة سيوف : سيف لقتال المشركين باشر به القتال بنفسه ، وسيف لقتال أهل الردة ، كما قال تعالى : ﴿ تَقْتُلُوهُمْ أَوْ يُسْلِمُوا ۖ ﴾ ^(٥) ، فقاتل به أبو بكر ﷺ بعده مانعي الزكاة ، وسيف لقتال أهل الكتاب والجوس ، كما قال تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ۝٢٩ ﴾ ^(٦) ، فقاتل به عمر ﷺ ، وسيف لقتال المارقين ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِئَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۖ ﴾ ^(٧) ، فقاتل به علي ﷺ ^(٨) .

(١) ينظر: فتح الباري (١ / ٦٤)

(٢) سورة النحل، الآية : ١٢٥ .

(٣) سورة الغاشية الآيتين : ٢١ - ٢٢ .

(٤) سورة ق ، الآية : ٤٥

(٥) سورة الفتح ، الآية : ١٦

(٦) سورة التوبة ، الآية : ٢٩

(٧) سورة الحجرات ، الآية : ٩

(٨) في المبسوط (١٢٣/٦) ، السير الكبير (١ / ١٧) بدون سند .

وهذا القول لا يعني أن النبي ﷺ وصحابته ﷺ بدؤوا بقتال أحد ، وإنما كان واقع القتال لحماية الدعوة ، وتأمين الحرية الدينية للمسلمين بعد مبادرة الأعداء بالعدوان ، أو يكون على سبيل مبادرة المسلمين بالدفاع بعد نقض المعاهدات ، واتخاذ التدابير التي توحى ببدء القتال عن قرب ، وهذا أمرٌ معروف تاريخياً ، فقد فتن المشركون المسلمين عن دينهم ، وهموا بقتل النبي ﷺ ، وأرسل كسرى ملك المجوس إلى النبي ﷺ من يريد قتله عندما دعاه للإسلام فمزق الكتاب ، والروم قد قتلوا من أسلم بالشام ، وحشدوا جيوشهم على حدود الشام^(١) ، وبهذا الجمع بين الآيات والأحاديث ندرك أنها تتفق على حكم واحد دون تعارض ، فالآيات القرآنية المكية والمدنية قد بينت أن الدافع للقتال دفع الظلم أو قطع دابر الفتنة ، أو لأجل حماية سياج الدعوة إلى الإسلام ، والأحاديث إما مقررّة لما جاء في هذه الآيات ، أو مخصصة لبعض إطلاقاتها^(٢) .



(١) ينظر: شرح السّير الكبير ، ص (١٣٩) .

(٢) ينظر : آثار الحرب في الفقه الإسلامي ، ص (١٢٠ - ١٢٤) ، د . وهبة الزحيلي .

الفصل الثالث

حكم الاستعانة بغير المسلمين في الحرب

حكم الاستعانة بغير المسلمين:

الاستعانة بغير المسلمين، إما أن تكون على بغاة المسلمين، فهذا محرم بالإجماع^(١)، وقد عده الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - من نواقض الإسلام^(٢)، وإما أن تكون الاستعانة بالكفار على الكفار فهذه تختلف أهل العلم فيها على أقوال :

القول الأول: جواز الاستعانة بهم عند الحاجة، وإليه ذهب الحنفية .

القول الثاني : تحريم الاستعانة بهم إلا لخدمة ونحوها، وإليه ذهب المالكية .

القول الثالث: أنها تجوز بشرطين :

الأول: أن تؤمن خيانتهم ، **الثاني :** أن يكونوا - يعني الكفار المستعان بهم - أقل وأضعف من المسلمين بحيث لو انضموا إلى الكفار قاومهم المسلمون ، وبهذا قال الشافعية^(٣).

القول الرابع : عدم جواز الاستعانة، وروى عن أحمد ما يدل على الجواز، وقيد بعضهم الجواز حال الضرورة ، وبهذا قال الحنابلة^(٤) .

ويمكن أن ترد هذه الأقوال إلى قولين:

الأول: عدم الجواز .

الثاني: الجواز بشروط .

أما أدلة الفريقين فكما يلي :

أولاً : أدلة المانعين من الاستعانة بغير المسلمين :

استدل المانعون من الاستعانة بغير المسلمين بأدلة من السنة:

(١) تفسير الطبري (١٥٢/٣) .

(٢) رسالة نواقض الإسلام ضمن مجموعة التوحيد ص (١٣٠) .

(٣) ينظر: فتح القدير (٥٠٢/٥)، أحكام القرآن للحصص (٤٧٧/٢)، منهاج الطالبين (٢٢١/٤)، الاستعانة بغير المسلمين للطريقي (ص٢٦٣) .

(٤) ينظر: كشف القناع (٦٣/٣)، الدرر السنية (١٧١ / ٧ - ١٧٤ - ١٧٥) .

الدليل الأول: حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: خرج رسول الله ﷺ قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة ^(١) أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ: جئت لاتبئك وأصيب معك، قال له رسول الله ﷺ: "تؤمن بالله ورسوله؟" قال: لا، قال: "فارجع فلن أستعين بمشرك" قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة، قال: "فارجع فلن أستعين بمشرك" قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة: "تؤمن بالله ورسوله؟" قال: نعم فقال له رسول الله ﷺ: "فانطلق" ^(٢).

الدليل الثاني: حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه، قال: خرج رسول الله ﷺ حتى إذا خلف ثنية الوداع فإذا كتيبة، فقال: من هؤلاء؟ قالوا بنوا قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام، قال: وأسلموا؟ قالوا: لا بل هم على دينهم، قال: "قولوا لهم: فليرجعوا فإننا لا نستعين بالمشركون" ^(٣).

الدليل الثالث: حديث خبيب بن إيساف قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يريد غزواً أنا ورجل من قومي، ولم نسلم فقلنا: إنا نستحي أن يشهد قومنا مشهداً لا نشهده معهم، قال: "أو أسلمتما؟" قلنا: لا قال: "فإننا لا نستعين بالمشركون على المشركين" ^(٤).

(١) حرة الوبرة: موضع على نحو مسير أربعة أميال من المدينة. ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/١٩٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كراهية الاستعانة في الغزو بكافر ح (١٨١٧).
(٣) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٢٤١/٣)، والحاكم في المستدرک (١٢٢/٢) من طريق السياني عن محمد بن عمرو عن علقمة عن سعد بن المنذر عن أبي حميد، وسعد ابن المنذر غير معروف، قال الشيخ الألباني: "وهذا إسناد حسن، لولا أن سعد بن المنذر لم يرو عنه سوى محمد بن عمرو وعبد الرحمن الغسيل ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ح (١١٠١)."

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٤٥٤/٣)، والحاكم في المستدرک (١٢٢/٢) - من طريق يزيد بن هارون عن المستمل بن سعيد الثقفي عن خبيب بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده، قال الحاكم (١٢٢/٢) - "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وخبيب بن عبد الرحمن بن الأسود بن حارثة جده صحابي معروف".

كما استدلووا بالآيات التي فيها النهي عن موالة الكفار، كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ ^(١).

ثانياً: أدلة المجيزين للاستعانة بغير المسلمين:

الدليل الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِّمَّنْ يَدْعِي الْإِسْلَامَ: هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ، قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا، فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الَّذِي قُلْتَ لَهُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِلَى النَّارِ" قَالَ: فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَرْتَابَ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ، إِذْ قِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ" ثُمَّ أَمَرَ بَلَالًا فَنَادَى بِالنَّاسِ: إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ ^(٢)، قال ابن حجر - رحمه الله -: "يحتمل أن يكون قوله: "هو من أهل النار" أي إن لم يغفر الله له، ويحتمل أن يكون حين أصابته الجراحة ارتاب وشك في الإيمان أو استحل قتل نفسه فمات كافراً. ويؤيده قوله ﷺ في بقية الحديث "لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة" والذي يظهر أن المراد بالفاجر أعم من أن يكون كافراً أو فاسقاً" ^(٣).

والمقصود أن هذا الرجل كان فاجراً وأخبر النبي ﷺ بأنه من أهل النار، ومع ذلك استعان به النبي ﷺ في القتال.

الدليل الثاني: حديث ذي مخمر الحبشي - أخي النجاشي - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: "تُصَالِحُونَ الرُّومَ صَلَاحًا آمِنًا، وَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِهِمْ،

(١) سورة المائدة الآية: ٥٧ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ح (٣٠٦٢)،

ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ح (١١١) .

(٣) فتح الباري (٤٧٤/٧) .

فَتَسْلَمُونَ وَتَعْتَمُونَ... " وفي لفظ: " سَتَصَالِحُكُمُ الرُّومُ صَلَاحًا آمِنًا ثُمَّ تَغْزُونَ وَهُمْ عَدُوًّا فَتَنْصَرُونَ (١) .

والشاهد من الحديث قوله: " وَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا "

وقد ناقش المانعون أدلة المجيزين بأنها ضعيفة، إما في دلالتها كحديث أبي هريرة، إذ ليس صريحاً أن الرجل الذي قاتل مع النبي ﷺ كان كافراً، بل فيه عكس ذلك حيث قال أبو هريرة رضي الله عنه عن هذا الرجل: " إنه يدعي الإسلام " ، كما أن القصة لا تفيد أن النبي ﷺ استعان به، وإنما أذن له فقط في الحضور والقتال (٢) .

وأما المجيزون فناقشوا أدلة المانعين من وجوه:

أحدهما: أن النبي ﷺ رد المشرك رجاء إسلامه، حيث تفرس فيه الرغبة في الإسلام، فصدق ظنه فأسلم، ذكره البيهقي عن الإمام الشافعي (٣).

ومعنى ذلك أن الأمر موكول إلى الإمام، فإن رأى مصلحة في مشاركة الكافر قبله، وإن رأى غير ذلك رده فالأمر إليه في تقدير المصلحة في ذلك .

قال ابن حجر - رحمه الله -: " وفي ذلك نظر " (٤) .

ثانيها: أن النبي ﷺ رد المشرك لأنه خشي أن يكون عيناً للمشركين، - ذكره الجصاص - (٥) .

ثالثها: التفريق بين المشركين وأهل الكتاب، فأهل الكتاب تجوز الاستعانة بهم، وأما المشركون فلا، فإن خرجوا مع المسلمين لم يمنعوا، ذكره الطحاوي، وقال: " وهذا

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ح (١٦٨٢٥، ١٦٨٢٦)، وابن سعد في الطبقات (٤٢٥ / ٧) من طريق الأوزاعي عن حسان بن عطية عن خالد بن معدان عن ذي مخمر رضي الله عنه، والحديث رجاله رجال البخاري ومسلم عدا صحابيه ذي مخمر رضي الله عنه، فلم يخرج له البخاري ومسلم، والحديث جاء من طرق أخرى كثيرة، منها ما أخرجه أبو داود ح (٢٧٦٧)، وابن ماجه في سننه ح (٤٠٨٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٥/٥) كلهم من طريق الأوزاعي عن حسان بن عطية عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن ذي مخمر رضي الله عنه، والحديث صححه الحاكم في مستدركه (٤٢١/٤) .

(٢) ينظر: فتح الباري (٤٧٤/٧)، نيل الأوطار (٢٥٥/٧)، الاستعانة بغير المسلمين ص (٢٦٨) .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (٣٧/٩) .

(٤) التلخيص الحبير (١١٢ / ٤) .

(٥) أحكام القرآن (٤٤٧/٢) .

حكمهم الآن عند كثير من أهل العلم منهم أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم يقولون: لا بأس بالاستعانة بأهل الكتاب في قتال من سواهم إذا كان حكمنا هو الغالب، ويكرهون ذلك إذا كانت أحكامنا بخلاف ذلك، ونعوذ بالله من تلك الحال ^(١) .

رابعها: أن يقال بأن أدلة الجواز ناسخة لأدلة المنع، قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : " وهذا أقرب الأوجه وعليه نص الشافعي " ^(٢) .

والواقع أننا إذا ما أمعنا النظر في الأدلة وجدنا أدلة المانعين صحيحة وصریحة، وأدلة المجيزين في بعضها ضعف، وفي بعضها عدم التصريح بالاستعانة، إلا أن حديث مصالحة الروم يعطي دلالة لا بأس بها على جواز الاستعانة بالكفار ^(٣) .

ولعل الأقرب في هذه المسألة الجمع بين النصوص الواردة في هذا الباب بأن يقال: النصوص المانعة تحمل على الحالات التالية :

الحالة الأولى: عدم الحاجة إلى الكافر .

الحالة الثانية: وجود مصلحة ظاهرة في رده، إما تأديباً له، أو رجاء إسلامه، أو للظهور أمام العدو بالقوة وعدم الحاجة إلى الكفار، ونحو ذلك.

الحالة الثالثة: إذا كان الكفار أقوياء بحيث يخشى بطشهم وبأسهم، وهذا قد يفهم من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

الحالة الرابعة: إذا كان هؤلاء الكفار معروفاً عنهم الاستهزاء بالدين والنكاية بالمسلمين والتأليب عليهم ونحو ذلك.

وأما النصوص المبيحة فتحمل على الكفار الذين لم يظهر منهم أذى للمسلمين وأمنت خيانتهم ، ويمكن أن يكون التفصيل في ذلك كالتالي :

لا يخلو هؤلاء الكفار إما أن يكونوا أفراداً قليلين، أو مجموعة كثيرة، فإذا كانوا أفراداً فتجوز الاستعانة بهم بشرطين:

(١) ينظر: شرح مشكل الآثار (٣/ ٢٣٦-٢٣٩) .

(٢) التلخيص الحبير (٤/ ١١٢) .

(٣) ينظر: الاستعانة بغير المسلمين ص (٢٦٩) .

أولهما: أن تدعو الحاجة إلى ذلك، كأن يكونوا أصحاب رأي، أو بأس شديد على العدو.

ثانيهما: أن تؤمن خيانتهم .

أما إن كانوا كثيرين فلا يستعان بهم إلا بثلاث شروط: الشرطان السابقان .

والثالث: أن لا تكون لهم شوكة وقوة تنازع قوة المسلمين إما عدداً أو عدة أو بأساً ورأياً.

وأما أخذ رأيهم في أمور الحرب وأحوال العدو فالذي يظهر أنه لا بأس به؛ لأن ذلك من شؤون الدنيا ^(١) .



(١) ينظر: الاستعانة بغير المسلمين ص (٢٧١) .

الفصل الرابع : كيفية معاملة أسرى الحرب.

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول: بيان رأفة الإسلام .

المبحث الثاني : حكم استخراج المعلومات من الأسير .

المبحث الثالث: حكم ضرب الأسير .

المبحث الرابع : حكم قتل الأسرى من النساء والصبيان.

المبحث الخامس: حكم المنّ على الأسير .

المبحث السادس: حكم فداء أسرى المسلمين بالنساء المسييات.

المبحث السابع: حكم قتل الأسير .

الفصل الرابع

كيفية معاملة أسرى الحرب

المبحث الأول : بيان رافة الإسلام بالأسرى :

في قديم التاريخ كان الأسرى يذبحون أو يقدمون قرابين للآلهة .
وقد عامل الفرس أسراهم بقسوة لا هوادة فيها، فكانوا ضحية التنكيل والتعذيب والقتل والصلب، وكذلك كان الإغريق يفعلون بأسراهم ^(١) .
والعرب تأثروا - في جاهليتهم - بعادات مجاورتهم، فلم تكن معاملة الأسير عندهم تتصف بصفات الرحمة والإنسانية، فلمّا جاء الإسلام ضرب القدح الملقى في الرفق بالأسارى، والرحمة بهم والعناية بشأنهم، ويدلّ على ذلك ما يلي :
الدليل الأول : ما رواه نبيه بن وهب في أسارى بدر: أن النبي ﷺ قال: " استوصوا بالأسارى خيراً " ^(٢) .

الدليل الثاني : ما ورد أن رسول الله ﷺ قال في بني قريظة - بعدما احترق النهار في يوم صائف - : " لا تجمعوا عليهم حر هذا اليوم وحر السلاح، قيلوهم حتى يبردوا " ^(٣) .
الدليل الثالث : قال أبو عزيز عمير بن هاشم : مرّ بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرنى، فقال له : شدّ يدك به؛ فإن أمه ذات متاع، قال : وكنت في رهطٍ من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدّموا غداهم وعشاءهم خصوني بالخبز، وأكلوا التمر، لوصية رسول الله ﷺ بإيهم بنا، ما يقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نفحني بها، قال : فأستحي أردّها على أحدهم، فيردّها علي ما يمسيها ^(٤) .

(١) ينظر: آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص (٤٠٤) .

(٢) أخرجه الطبراني في الصغير (٢٥٠/١)، وفي الكبير (٣٩٣/٢٢)، من طريق: محمد بن أبي إسحاق قال حدثني نبيه بن وهب عن أبي عزيز بن عمير، قال الهيثمي في المجمع (٨٦/٦) : " رواه الطبراني في الصغير والكبير، وإسناده حسن " .

(٣) ذكره الواقدي في مغازيه (٥١٥/١) بغير إسناد ، وكذا فعل محمد بن يوسف الصالحى الشامي في كتابه سبل الهدى والرشاد (١٣/٥) .

(٤) أخرجه ابن إسحاق كما في البداية والنهاية (٣٧٣/٣)، وابن هشام (٦٤٤/١)، عن نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار: أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه، وقال " استوصوا بهم خيراً " قال:

وبموجب هذا نص الفقهاء على أنه لا يجوز تعذيب الأسير بالجوع والعطش وغير ذلك من أنواع التعذيب؛ لأن ذلك تعذيب من غير فائدة .

وبهذا يبطل ما يدعيه بعض الكتاب الغربيين من أن المسلمين كانوا يعاملون الأسرى معاملة ليست أقل قسوة من سابقهم^(١) ، وقد استندوا في ذلك إلى قول الله تعالى: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْخِزَ فِي الْأَرْضِ تَرْيَدُونَ عَرْضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٧) ﴿ تَوَلَّا كَتَبْتُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لِمَسْكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦٨) .^(٢)

وقد كان نزول هذه الآية بعد مشاورة الرسول ﷺ أصحابه رضي الله عنهم في شأن أسرى بدر، بسبب أنه لم يكن قد نزل تشريع للأسرى، فأشار الصحابة بعض الصحابة رضي الله عنهم على النبي ﷺ بأخذ الفداء منهم، فترلت الآية يعاتب الله نبيه فيها على اتخاذ الأسرى قبل أن تقوى شوكة الإسلام، وقبل أن يتم خذلان العدو وقهره^(٣) ، وكان قتل المحاربين هو المطلوب في مبدأ قيام دولة الإسلام، حتى يتضاءل الخطر على الدولة الناشئة، ولئلا يتجسس أحد على المسلمين، وهذا شأن كل دعوة إصلاحية لا بد لظهورها من التمكين لها في الأرض. ولم يكن المسلمون في صدر الإسلام ينظمون أماكن مخصصة للاعتقال أو الحبس، وذلك بسبب بساطة الأوضاع حينئذ، فكان يوضع الأسير إما في المسجد مؤقتاً حتى ينظر في شأنه ، وإما أن يوزع الأسرى على أفراد المسلمين ، وهذا هو الغالب مع عموم الأمر بالصوعية بهم خيراً .

وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى، قال أبو عزيز: مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسري .

وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة ح (٦٢٩٨)، من طريق حبيب بن الحسن ، عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن أيوب ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق .

وأخرجه الطبري في تاريخه (١٥٨/٢)، من طريق ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق .

(١) آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص (٤٠٥) .

(٢) سورة الأنفال، الآيتين : ٦٧-٦٨ .

(٣) ينظر: تفسير الكشاف (٢٣/٢)، تفسير الرازي (٣٨٥/٤)، سنن البيهقي (٦ / ٣٢١ - ٣٢٤)، مشكل الآثار للطحاوي (٢٩٣/٤)، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص (٤٠٦) .

وقد حبس الرسول ﷺ في مسجده سيد بني حنيفة: ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: " مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ " ، فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ إِنْ تَقْتُلَنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ ، وَإِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٌ ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ ، فَتَرَكَ حَتَّى كَانَ الْعَدُوُّ ثُمَّ قَالَ لَهُ: " مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ " ، قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٌ ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْعَدِ فَقَالَ: " مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ " ، فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ فَقَالَ: " أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ " ، فَأَنْطَلَقَ إِلَى نَحْلِ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَأَغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ ، وَإِنْ خَيْلِكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى ؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ (١) .

وجاء أيضاً أن سودة بنت زمعة - رضي الله عنها - رأت في بيت النبي ﷺ في المدينة أبا زيد سهيل بن عمرو أحد أسرى بدر، مجموعة يدها إلى عنقه بحبل، فقالت: أي أبا زيد ! أسلمتم أنفسكم ، وأعطيتم بأيديكم، ألا متم كراماً ، ثم فرّق محمد ﷺ الأسارى بين أصحابه، وقال لهم : " استوصوا بهم خيراً " (٢) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي ، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال ح (٤٣٧٢) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد، باب ربط الأسر وحبسه ح (١٧٦٤) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣ / ٢٤) والبيهقي في السنن (٩ / ٨٩) ، من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال حدثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة قال قدم بالأسارى حين قدم بهم المدينة وسودة بنت زمعة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ عند آل عفراء في مناحهم على عوف ومعوذ ابني عفراء وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب قالت سودة فوالله إني لعندهم إذ أتينا فقيـل

وأُسرى بدر كانوا قد حبسوا كلهم، كما جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : " لما أمسى رسول الله ﷺ يوم بدر والأسارى محبسون، بات رسول الله ﷺ ساهراً أول الليل، فقال له أصحابه : يا رسول الله، مالك لا تنام - وقد أسر العباس رجلٌ من الأنصار- فقال رسول الله ﷺ " سمعت أنين عمي العباس في وثاقه، فأطلقوه، فسكت، فنام رسول الله ﷺ " (١) .

وربط الأسير في صدر الإسلام كان مؤقتاً حتى يتقرر مصيره، ولو لم يُفعل به ذلك لتمكن من الهرب بعد أسره، كما حدث لأسيرٍ أن فرّ من حجرة عائشة رضي الله عنها ، فجاء النبي ﷺ فقال : " يا عائشة أين الأسير ؟ " فقالت : " نسوة كن عندي ، فلهيني عنه ، فذهب ، فأرسل النبي ﷺ في إثره العيون والأرصاد ، حتى عثروا عليه " (٢) .

وقد أكرم الإسلام الأسير إكراماً لم تعرف له البشرية مثيلاً، ففي نصوص القرآن نجد الحض على إطعام الأسير، قال الله تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِنًا وَيَتِمُّونَ الْأَسْرَى ﴾ (٨) إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ (٣) .

وَأَسْرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ، وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْوَتَاقِ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَأَتَاهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: بِمِ أَخَذْتَنِي، وَبِمِ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ فَقَالَ: إِعْظَامًا لِذَلِكَ أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلْفَائِكَ ثَقِيفَ ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ مَا شَأْنُكَ قَالَ إِنِّي مُسْلِمٌ قَالَ: لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفَلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ

هؤلاء الأسارى قد أتى بهم فرجعت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة يدها مجموعتان إلى عنقه مجبل قال الحاكم : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه " . وأخرجه ابن أبي شبة في مصنفه (٧ / ٣٥٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٤ / ٣٥) من طريق يزيد بن هارون قال أخبرنا محمد بن إسحاق به .

(١) أخرجه البيهقي في سننه (٩ / ٨٩)، من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، حدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أمسى رسول الله ﷺ يوم بدر والأسارى محبسون ... ، وهو ضعيف لجهالة الراوي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .

(٢) أخرجه البيهقي في سننه (٩ / ٨٩)، من طريق إبراهيم بن عبد الله البصري عن أبي عاصم النبيل عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن ذكوان عن عائشة - رضي الله عنها -

(٣) سورة الدهر الآيتين: ٨ - ٩ .

ثُمَّ انْصَرَفَ، فَتَادَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ فَتَاتَاهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ: إِنِّي جَائِعٌ فَأُطْعِمْنِي ، وَظَمَانٌ فَأَسْقِنِي قَالَ: هَذِهِ حَاجَتُكَ فَفَدَيْ بِالرَّجُلَيْنِ ^(١) .

وبالنسبة لكسوة الأسرى فإنها مطلوبة شرعاً أيضاً، ويدلّ على ذلك ما يلي :

أولاً : ما روى جابر عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، أُتِيَ بِأَسَارَى، وَأُتِيَ بِالْعَبَّاسِ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثَوْبٌ ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ فَمَيِّصًا فَوَجَدُوا قَمِيصَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَقْدُرٍ عَلَيْهِ فَكَسَاهُ النَّبِيُّ ﷺ إِيَّاهُ ^(٢) .

ثانياً : قصة ابنة حاتم الطائي حين وقعت في أيدي المسلمين، وأنزلت بمكان يمر به النبي ﷺ فتعرضت له، وقالت : هلك الوالد، وغاب الرافد - تعني أخاها عدياً - فمُنَّ عليّ، مَنْ الله عليك ! فقال : " قد فعلت، فلا تعجلي بخروج، حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقةً، حتى يبلغك إلى بلادنا " وأقامت حتى قدم رهطٌ من قومها، فكساها رسول الله ﷺ وحملها، وأعطاهها نفقة، فخرجت منه ^(٣) .

وقد أجاد ابن القيم - رحمه الله - في وصف هدي النبي ﷺ مع الأسرى فقال: " فصل : في هديه ﷺ في الأسارى ، كان يمن على بعضهم ، ويقتل بعضهم ، ويفادي بعضهم بالمال ، وبعضهم بأسرى المسلمين ، وقد فعل ذلك كله بحسب المصلحة ، ففادى أسارى بدر بمال ، وقال : " لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له " ^(٤) ، وهبط عليه في صلح الحديبية ثمانون متسلحون يريدون غرته، فأسرهم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب النذر ، باب لا وفاء لنذر في معصية الله ح (١٦٤١) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب الكسوة للأسارى ح (٣٠٠٨) .

(٣) ذكره ابن هشام في سيرته (٥٧٩ / ٢) بغير إسناد ، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٥٩ / ٦) ح (٦٦١٤) ، بلفظ مقارب من طريق عبد الله بن هشام الدستوائي ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي عبيدة بن حذيفة عن عدي بن حاتم ؓ .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٣٥ / ٥) : " رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الله بن هشام الدستوائي وهو متروك " .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فرض الخمس باب ما من النبي ﷺ على الأسارى من غير أن يخمس ح (٣١٣٩) من حديث جبير بن مطعم ؓ .

ثم منَّ عليهم^(١) ، وأسر ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة ، فربطه بسارية المسجد ثم أطلقه فأسلم^(٢) ، واستشار الصحابة في أسارى بدر فأشار عليه الصديق أن يأخذ منهم فدية تكون لهم قوة على عدوهم ويطلقهم ؛ لعل الله أن يهديهم للإسلام ، وقال عمر : لا والله ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها ، فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قال عمر ، فلما كان من الغد أقبل عمر فإذا رسول الله ﷺ يبكي هو وأبو بكر ، فقال : يا رسول الله ! من أي شيء تبكي أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما ؟ فقال رسول الله ﷺ : " أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء ، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة ، وأنزل الله : ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْخَفَ فِي الْأَرْضِ ﴾^{(٣)(٤)} ، وقد تكلم الناس في أي الرأيين كان أصوب ، فرجحت طائفة قول عمر لهذا الحديث ، ورجحت طائفة قول أبي بكر لاستقرار الأمر عليه ، وموافقة الكتاب الذي سبق من الله بإحلال ذلك لهم ، ولموافقة الرحمة التي غلبت الغضب ، ولتشبيه النبي ﷺ له في ذلك بإبراهيم وعيسى ، وتشبيهه لعمر بنوح وموسى^(٥) ، ولحصول الخير العظيم الذي حصل بإسلام أكثر أولئك الأسرى ، ولخروج من خرج من أصلاهم من المسلمين ، ولحصول القوة التي حصلت للمسلمين بالفداء ، ولموافقة رسول الله ﷺ لأبي بكر أولاً ، ولموافقة الله له آخراً ، حيث استقر الأمر

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ ح (١٨٠٨) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب الاغتسال إذا أسلم ، وربط الأسير أيضاً في المسجد ح (٤٦٢) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب ربط الأسير وحبسه ح (١٧٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٦٧ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ح (١٧٦٣) ، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٣٨٣/١ ، ٣٨٤) ، من طريق الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وسنده حسن .

على رأيه ، ولكمال نظر الصديق فإنه رأى ما يستقر عليه حكم الله آخراً ، وغلب جانب الرحمة على جانب العقوبة " (١) .

المبحث الثاني : حكم استخراج المعلومات من الأسير كرهاً .

الذي يظهر أنه إذا ترتب على ذلك مصلحة فإنه يجوز إكراه الأسير على الإدلاء بمعلومات عسكرية؛ كما إذا كان الأسير من ذوي الواجهة من جند الكفار، أو عرف أنه صاحب رأي وتخطيط في الحروب ونحوها، أو لم يكن كذلك، لكنه يعرف عن خطط أهل الكفر، من التدبير، وتحركاتهم المستقبلية .

قال في مطالب أولى النهى: " قال أحمد : ولا ينبغي أن يعذبه، فإن كان فيه مصلحة، كزيادة في الجهاد، أو نكال لهم، أو زجر عن العدوان جاز؛ لأنه من إقامة الحدود والجهاد المشروع، قاله الشيخ تقي الدين " (٢) .

ويدل على جواز إكراه الأسير على استخراج المعلومات حديث قصة غلام بني الحجاج الآتية في المبحث الآتي .

المبحث الثالث : حكم ضرب الأسير .

عن أنس رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَدَبَ النَّاسَ فَأَنْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ (٣) ، وَفِيهِمْ غُلَامٌ أَسْوَدُ لَبَنِي الْحَجَّاجِ فَأَخَذَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَأَلُوهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ فَيَقُولُ: مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ، فَقَالَ: نَعَمْ أَنَا أَخْبَرُكُمْ هَذَا أَبُو سُفْيَانَ فَإِذَا تَرَكُوهُ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ فِي النَّاسِ فَإِذَا قَالَ هَذَا أَيْضًا ضَرَبُوهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ، انْصَرَفَ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَضْرِبُوهُ إِذَا صَدَقَكُمْ، وَتَتْرَكُوهُ إِذَا كَذَبَكُمْ (٤) ، فأجيز ضرب الأسير هنا للأمور التالية :

(١) زاد المعاد (١٠٩/٣ - ١١١) .

(٢) مطالب أولى النهى (٥٢٠/٢) .

(٣) هي الإبل التي يستقى عليها من البئر ، ينظر: لسان العرب ، مادة: روي ، (٣٤٥/١٤) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر ح (١٧٧٩) .

أولاً : لما تحقق المسلمون من كذب الغلام عليهم، وأقرهم الرسول ﷺ على ذلك؛ لعلمه بكذب الغلام عند الضرب، وصدقه عند الترك، وهذا من معجزات النبوة ^(١) فيعدُّ إجازة ضرب الأسير في هذه الحالة وارداً في واقعة خاصة ، وليس هدياً ثابتاً .

ثانياً : أن جواز ضرب الأسير هنا على سبيل الاستثناء؛ لدرء الخطر عن المسلمين في أول لقاء مع كفار قريش، ثم إنه كما كشف كذب الأسير وخداعه، فليس هذا الضرب المحمول على التهديد كان أمراً مبتدئاً بمجرد الأسر .

ثالثاً : أن ضرب الأسير لا يجوز على سبيل الإطلاق، وإنما يجوز عند تحقق المصلحة من ضربه، قال الخطابي في أثناء كلامه على قصة غلام بني الحجاج : " في الحديث دليل على جواز ضرب الأسير الكافر، إذا كان في ضربه طائل " ^(٢) ، يعني مصلحة .

هذا ما قاله بعض شراح الحديث، والأقرب أن هذا الحديث يدل على الإنكار على ضرب الأسير، بدليل أن الرسول ﷺ تجوز في صلاته، حين رأى ضرب الغلام، وما فعل ذلك إلا لأمر يستحق المبادرة إلى تغييره .

المبحث الرابع : حكم قتل الأسرى من النساء والصبيان.

ثبت في السنة النهي عن قتل النساء والولدان عموماً، ويدلّ على ذلك ما يلي :

الدليل الأول : حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن امرأةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ مَعَارِيِ النَّبِيِّ ﷺ مَقْتُولَةً، فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَتْلَ النَّسَاءِ وَالصَّبْيَانِ ^(٣) .

فإن اشترك النساء والذراري في القتال مع قومهم بالفعل، أو بالرأي جاز قتلهم في أثناء القتال وبعد الأسر عند جمهور الأئمة ^(٤) .

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢٦/١٢) .

(٢) معالم السنن (٢٨٦/٢) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قتل الصبيان في الحرب ح (٣٠١٤) ، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب ح (١٧٤٤) .

(٤) ينظر: بداية المجتهد (٣٧١/١)، الأم (١٥٧/٤)، اختلاف الفقهاء، ص (٩)، المحلى (٢٩٧/٧)، الميزان (١٧٥/٢)، بهامشه رحمة الأمة، ١٦٢/٢، وآثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص (٤١٨) .

الدليل الثاني : حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ مرَّ بامرأةٍ مقتولةٍ يوم حنين، فقال : " من قتل هذه ؟ " فقال رجل : أنا يا رسول الله، غنمتها فأردفتها خلفي، فلمَّا رأت الهزيمة فينا أهُوت إلى سيفي، أو إلى قائم سيفي؛ لتقتلني فقتلتها، فقال النبي ﷺ : " ما بال النساء، ما شأن قتل النساء " ^(١)، فهذه امرأة أسيرة حاولت قتل أسرها، فجاز قتلها، وسيأتي مزيد تفصيل في الفصل السابع من هذا الباب في " حكم قتل الفئات المستضعفة " .

المبحث الخامس : حكم المنّ على الأسرى .

المنّ على الأسرى هو إطلاق سراحهم إلى بلادهم بدون مقابل ، وقد ذهب أكثر العلماء من الشافعية، والحنابلة، إلى جواز المنّ على السبي ^(٢)، ولكن بشرط استطابة أنفس الغانمين، إمّا بالعفو منهم عن حقوقهم، أو بمالٍ يعوضهم من سهم المصالح. واستدلوا لذلك بعدة أدلة من السنة :

الدليل الأول : أن النبي ﷺ - بعد قسمة سبي هوازن بحنين - جاءه وفدٌ هوازنٌ مسلمين فسألوه أن يرُدَّ إليهم أموالهم وسيبهم فقال لهم رسولُ الله ﷺ : " أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ إِمَّا السَّبْيَ، وَإِمَّا الْمَالَ وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُهُمْ بِضَعِّ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ قَالُوا فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ فَأَنْتَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنَّ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيبَ بِذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥٦/١) ح (٢٣١٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٩٦/٧) ح (٣٦٨٩٧) ، والطبراني في الكبير (٣٨٨/١١) ح (١٢٠٨٢) من طريق الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس ، قال: سبي رجل امرأة يوم خيبر ، فحملها خلفه فنازعته قائم سيفه ، فقتلها ، فأبصرها رسول الله ﷺ فقال : " من قتل هذه ؟ " فأخبروه ، فنهى عن قتل النساء، وعند الطبراني: " فسكت " بدل قوله: " فنهى عن قتل النساء " ، قال الهيثمي في المجمع (٥٦٩/٥) : " في إسناد الحجاج بن أوطاة وهو مدلس " وينظر: التلخيص الحبير (١٠٢/٤) .

(٢) ينظر: الكافي (١٢٢/٤) ، بدائع الصنائع (٩٢/٦) ، المهذب (٢٩٦/٣) .

مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَفِعْلٌ، فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّا لَا نَذَرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعُوا إِلَيْنَا عُرْفَاؤَكُمْ أَمْرَكُمْ، فَارْجَعَ النَّاسُ فَكَلَّمَهُمْ عُرْفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا ^(١) .

الدليل الثاني : أن النبي ﷺ من - بعد بدر - على سبي أهل اليمن بلا فدية ولا مال ، فعن ابن سيرين : أن امرأة من أزواج النبي ﷺ كان عليها محرر من ولد إسماعيل ، فلما جاء سبي أهل اليمن، أرادت أن تعتق منهم ، فقال لها رسول الله ﷺ : " لا تعتقي منهم "، فلما جاء السبي قال رسول الله ﷺ : " أعتقي من هؤلاء " ^(٢) .

والواقع أن مسألة المن على السبي أو الأسرى أمر متعلق بالمصالح العامة للمسلمين، التي يتولّاها وليُّ الأمر، بدليل قول الله تعالى: ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ ^(٣) وعليه أن يجتهد في تحقيق المصلحة في ذلك .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوكالة، باب: إذا وهب شيئاً لوكيلٍ أو شَفِيعٍ قومٍ جَازَ ح (٢٣٠٨) من حديث مروان بن الحكم ، والمسور بن مخرمة - رضي الله عنهما - .

(٢) أخرجه أبو عبيد في الأموال (١ / ١٥٩) مراسلاً من طريق ابن أبي عدي عن أشعث بن عبد الملك عن الحسن وابن سيرين ... قال أبو عبيد: فكل هؤلاء بعد بدر ، وأخرج أحمد في مسنده (٢٦٣/٦) ، ح (٢٦٣١١) من طريق محمد بن عبد الله بن الزبير ، قال: حدثنا مسعر عن عبيد الله بن حسن عن ابن معقل عن عائشة ، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الصحيح غير ابن معقل .

(٣) سورة محمد، الآية : ٤ .

المبحث السادس : فداء أسرى المسلمين بالنساء المسييات.

جاء في السنة ما يدل على جواز فداء أسرى المسلمين بالنساء المسييات ، دل على ذلك حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : غَزَوْنَا فَزَارَةَ وَعَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ أَمْرُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا، فَلَمَّا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَاءِ سَاعَةً، أَمَرَنَا أَبُو بَكْرٍ فَعَرَّسَنَا ^(١) ثُمَّ شَنَّ الْعَارَةَ، فَوَرَدَ الْمَاءَ فَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ عَلَيْهِ وَسَبَى، وَأَنْظَرُ إِلَى عُنُقِ ^(٢) مِنَ النَّاسِ فِيهِمُ الذَّرَارِيُّ ^(٣) ، فَخَشِيتُ أَنْ يَسْبِقُونِي إِلَى الْجَبَلِ فَرَمَيْتُ بِسَهْمٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَبَلِ، فَلَمَّا رَأَوْا السَّهْمَ وَقَفُوا فَجِئْتُ بِهِمْ أَسْوَفُهُمْ، وَفِيهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ عَلَيْهَا قَشْعٌ مِنْ أَدَمَ ^(٤) مَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا مِنْ أَحْسَنِ الْعَرَبِ، فَسَقَطْتُهُمْ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِمْ أَبَا بَكْرٍ، فَفَلَّانِي أَبُو بَكْرٍ ابْنَتَهَا فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، فَلَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي السُّوقِ فَقَالَ: " يَا سَلَمَةُ هَبْ لِي الْمَرْأَةَ"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْجَبْتَنِي، وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، ثُمَّ لَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْعَدِ فِي السُّوقِ فَقَالَ لِي: " يَا سَلَمَةُ هَبْ لِي الْمَرْأَةَ، لِلَّهِ أَبُوكَ " ، فَقُلْتُ: هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ مَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا فَبَعَثَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، فَفَدَى بِهَا نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كَانُوا أُسِرُوا بِمَكَّةَ ^(٥) .

ففي هذا الحديث الصحيح جواز فداء الرجال بالنساء، وهي سنة قائمة عن الرسول ﷺ وهذا هو رأي عامة أهل العلم ، قال أبو عبيد : " وكلهم يرى أن يفادي الرجال بالنساء بعضهم ببعض " ^(٦) .

أما الأسرى - وهم الرجال المقاتلون من الكفار - إذا ظفر المسلمون بأسرهم أحياء فالثابت من فعل الرسول ﷺ أنه كان يمينُ على بعض الأسارى، ويقتل بعضهم، ويفادي

(١) التعريس: التزول آخر الليل، ينظر: لسان العرب (١٣٦/٦) ، عرس ، القاموس المحيط، ص (٧١٨) .

(٢) أي جماعة كثيرة، ينظر: غريب الخطابي (٥٩٣/١) ، النهاية (٥٩٢/٣) .

(٣) أي النساء والصبيان .

(٤) أي بساط من جلد، ينظر: لسان العرب ، قشع ، (٢٧٣/٨) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير، باب التنفيل وفداء المسلمين بالأسارى ح (١٧٥٥) .

(٦) الأموال لأبي عبيد، ص (١٢٠ - ١٢٤) .

بعضهم بالمال، أو بالأسرى، وذلك على حسب ما تقتضيه المصلحة العامة، ويراه ملائماً لحال المسلمين^(١) .

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه فدى رجلين من المسلمين برجل من المشركين، وفدى بامرأة ناساً من المسلمين كانوا أسروا بمكة، كما تقدّم في حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه .

المبحث السابع : حكم قتل الأسير .

قال الجصاص - رحمه الله - : " اتفق فقهاء الأمصار على جواز قتل الأسير، لا نعلم بينهم خلافاً فيه، وقد تواترت الأخبار عن النبي ﷺ في قتله الأسير ، منهم عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث الذي قتل بعد الأسر يوم بدر، وقتل النبي ﷺ يوم أحد أبا عزة الشاعر بعد أسره، وقتل بني قريظة بعد نزولهم على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم بالقتل وسبي الذرية، ومنّ على الزبير بن باطا من بينهم، وفتح خير بعضها صلحاً، وبعضها عنوة، وشرط على ابن أبي الحقيق ألاّ يكتم شيئاً، فلما ظهر على خيانتة وكتمانه قتله؛ وفتح مكة وأمر بقتل هلال بن خطل، ومقيس بن صبابه، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وقال : " اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة .. " ^(٢) ، إلى أن قال : " فهذه آثار متوازنة عن النبي ﷺ وعن الصحابة في جواز قتل الأسير، وفي استبقائه، واتفق فقهاء الأمصار على ذلك " ^(٣) .

أمّا الحوادث التي قتل فيها بعض الأسرى في أول الإسلام فإنها تعتبر حادثة في ظروف معينة، وليست تشريعاً دائماً، فقد منّ ﷺ على بعض الأسرى وقتل بعضهم؛ لغلوهم في معاداة الدعوة الإسلامية، وعظم نكايتهم بالمسلمين؛ ولتأليب القبائل، وتحريضهم على

(١) ينظر: الأموال ص (١٢٨)، زاد المعاد (٦٦/٢)، آثار الحرب في الفقه الإسلامي ص (٤٣٠) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢٢/ ٢) : من طريق عمرو بن طلحة القناد حدثنا أسباط بن نصر عن السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه وأصل الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الحج ، باب دخول الحرام ومكة بغير إحرام ، ح (١٨٤٦) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب جواز دخول مكة بغير إحرام ح (١٣٥٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر ، فلما نزع جاء رجل فقال إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة ، فقال : " اقتلوه " .

(٣) تفسير الجصاص (٣٩١/٣) .

المسلمين، وللتماذي في إيذاء الرسول ﷺ والاسترسال في هجائه ^(١)، كما هو شأن الأفراد الذين ذكرهم الجصاص، وسبق التفصيل في هذا في الفصل الثالث عشر من الباب السابق في حكم العفو عن غير المسلمين وذكرت فيه جملة من المواقف التي أخذ فيها النبي ﷺ بالمقاضاة والمجازاة وعدم العفو، وأما قتل أسارى بدر فقد كان لغاية عظيمة وهي: التمكين للدعوة، وإظهار صلابة الدولة، والتمهيد لدعم مجدها وهبتها.

وقد استغل المستشرقون ^(٢) حادثة أسرى بدر لاتهم الإسلام بأنه الدين الذي يتعطش أبناءه للدماء، مع أنهم لو فهموا تلك الحادثة على الوجه الصحيح لبطلت كل الدعاوى المغرضة ^(٣)، وأين هذا مما أراقه أعداء الإسلام ، وما قاموا به من مجازر متوالية في أحط صور الغدر وأبشع صور الغيلة وإنما قتل المسلمون اثنين من أسرى بدر؛ لأنهم كانوا قادة في حرب المسلمين، مدى الأعوام الثلاثة عشر التي احتل المسلمون فيها صنوف الأذى عكّة! .

ومما يدلُّ على حفاظ النبي ﷺ على الأرواح وعدم التعطش للدماء أنه أنكر على خالد بن الوليد رضي الله عنه قتل أسرى بني جذيمة، حين قالوا: صَبَأْنَا، في حين أن الذي قتلهم هو بعض الصحابة وليس رسول الله ﷺ، مع أن بعض الصحابة رضي الله عنهم رفض قتل أسراهم، ومنهم عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - فإنه قال: "وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ أُسِيرِي" (٤).

إذاً فقتل الأسرى في الإسلام ليس تشريعاً دائماً، وإباحته في بعض الأحوال دواء ناجح، أو فردية خاصة، أو لضرورة قصوى، وليس ذلك علاجاً لحالات جماعية عامة.



(١) ينظر: الأحكام السلطانية للماوردي، ص (١٢٧)، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص (٤٣٦) .

(٢) ينظر: حياة محمد ﷺ لحسين هيكل، ص (٢٧٣ - ٢٧٤)، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص (٤٣٧).

(٣) بل إن من أهل العلم من أنكر ثبوت قتل أحد من الأسرى سوى عقبة بن أبي معيط . ينظر آثار الحرب في الفقه الإسلامي ص (٤٣٧) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ح (٤٣٣٩) .

الفصل الخامس

حكم تعذيب العدو بالنار

اختلفت المرويات الواردة في ذلك، وبناء عليه اختلف أهل العلم:

القول الأول: كراهة التحريق بالنار مطلقاً، وهذا قول عمر، وابن عباس، وغيرهما رضي الله عنهم، سواء كان بسبب كفر، أو في حال مقاتلة، أو كان قصاصاً ^(١)، وبهذا قال الإمام الشافعي - رحمه الله - ^(٢)، فإنه قال: " وإذا أسر المسلمون المشركين، فأرادوا قتلهم قتلوهم بضرب الأعناق، ولم يجاوزوا ذلك إلى أن يمثّلوا بقطع يدٍ، ولا رجلٍ، ولا عضوٍ، ولا مفصلٍ، ولا بقر بطنٍ، ولا تحريقٍ، ولا تغريقٍ، ولا شيءٍ يعدو ما وصفت؛ لأنّ رسول الله ﷺ نهى عن المثلة، وقتل من قتل كما وصفت " ^(٣) .
واستدل أصحاب هذا القول بما يلي :

(١) فتح الباري (١٥٠/٦) .

(٢) كما في الأم (٢٤٥/٤)، لكنّ كلامه يدلّ على تحريم التعذيب بالنار، ولا يقتصر ذلك على مجرد الكراهة، إلّا أن تحمل الكراهة الواردة عن السلف على الكراهة التحريمية، وهو الظاهر؛ لأنّ الكراهة في لسان الشرع، وسلف الأئمة، والمتقدمين من العلماء يراد بها الكراهة التحريمية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ الإسراء: ٣٨، إلى غير ذلك من الأدلة .

(٣) ثمّ أضاف قائلاً : " فإن قال قائل : قد قطع أيدي الذين استاقوا لقاحه، وأرجلهم، وسمل أعينهم، فإن أنس بن مالكٍ ورجلاً رويَا هذا عن النبي ﷺ ثم رويَا فيه أو أحدهما أن النبي ﷺ لم يخطب بعد ذلك خطبةً إلا أمر بالصدقة ونهى عن المثلة، أخبرنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، أن هبار بن الأسود كان قد أصاب زينب، بنت رسول الله ﷺ بشيءٍ، فبعث النبي ﷺ سريةً، فقال " إن ظفرتُم بهبار بن الأسود فاجعلوه بين حزميتين من حطب، ثم أحرقوه " ثم قال رسول الله ﷺ " سبحان الله! ما ينبغي لأحدٍ أن يعذب بعذاب الله عز وجل، إن ظفرتُم به فاقطعوا يديه وأرجليه " .

قال الشافعي - رحمه الله - : " وكان علي بن حسين ينكر حديث أنسٍ في أصحاب اللّقاح، أخبرنا بن أبي يحيى، عن جعفر، عن أبيه، عن علي بن حسين، قال : والله ما سمل رسول الله ﷺ عيناً، ولا زاد أهل اللّقاح على قطع أيديهم وأرجلهم " .

الدليل الأول : حديث حمزة الأسلمي رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَهُ عَلَى سَرِيَّةٍ قَالَ: فَخَرَجْتُ فِيهَا، وَقَالَ: " إِنْ وَجَدْتُمْ فَلَانًا فَأَحْرِقُوهُ بِالنَّارِ " ، فَوَلَّيْتُ فَنَادَانِي فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: " إِنْ وَجَدْتُمْ فَلَانًا فَاقْتُلُوهُ، وَلَا تُحْرِقُوهُ ، فَإِنَّهُ لَا يُعَذَّبُ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ " ^(١) .

الدليل الثاني : عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْثٍ ، وَقَالَ لَنَا: " إِنْ لَقِيتُمْ فَلَانًا وَفُلَانًا - لِرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ سَمَاهُمَا - فَحَرِّقُوهُمَا بِالنَّارِ " قَالَ: ثُمَّ أَتَيْنَاهُ نُودَعُهُ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ فَقَالَ: " إِنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فَلَانًا وَفُلَانًا بِالنَّارِ، وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذَّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ فَإِنْ أَخَذْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا " ^(٢) .

الدليل الثالث : حديث ابن مسعود رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ " ^(٣) .

الدليل الرابع : ما رواه عكرمة: أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه حَرَّقَ قَوْمًا فَبَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ، وَلَقَتْلَتُهُمْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ " ^(٤) .

حيث لم يقل : " فحرقوه " ، بل ورد النهي عن التحريق بالنار، كما في الأدلة السابقة وسواها مما لم يذكر هنا ^(٥) ، فمنهى الشارع - في هذه الأدلة - عن التعذيب بالنار، واعتبره اعتداءً على حق الألوهية؛ إذ لا يعذب بالنار إلا ربُّ النار، وعلى ذلك فالتعذيب بالنار محرّم تحريماً شديداً، والله تعالى أعلم .

القول الثاني : جواز التعذيب بالنار ، وبه قال علي، وخالد بن الوليد، وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم ^(٦) .

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الجهاد ، باب كراهية حرق العدو بالنار (٦١/٢) ، وأحمد في مسنده ح (١٦٠٧٧) من طريق مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد ، عن محمد بن حمزة الأسلمي عن أبيه رضي الله عنه قال: ...

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب لا يعذب بعذاب الله ح (٣٠١٦) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الجهاد ، باب كراهية حرق العدو بالنار (٦١/٢) ح (٢٦٧٥) ، من طريق ابن سعد عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب لا يعذب بعذاب الله ح (٣٠١٧) .

(٥) ينظر : فتح الباري (٣٤١/١) (١٢٦/٢) .

(٦) ينظر : جامع العلوم والحكم (١٥٣/١) .

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي :

الدليل الأول: أن النبي ﷺ سمل أعين العرنيين بالحديد المحمى بالنار ^(١) ، وهذا دليل على جواز التعذيب بالنار عند وجود ما يقتضي ذلك .

ويناقش الاستدلال بقصة العرنيين من وجوه :

الوجه الأول: بأن تعذيب العرنيين بما ذكر كان قصاصاً، والقصاص يجب فيه التماثل، بمعنى أن يفعل بالجاني كما فعل بالجنّي عليه، أما التعذيب بالنار ابتداءً فلا يجوز .

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ لم يسمّل أعين العرنيين، وإنما اقتصر على قطع أيديهم، وأرجلهم من خلاف، وصلبهم، ولذلك أنكر بعض أهل العلم سمل أعينهم ، وقد تقدم قول الإمام الشافعي في ذلك في أول هذا الفصل .

الوجه الثالث: أن سمل الأعين - وهو تحريقها بالحديد المحمى بالنار - منسوخ، وإنما كان جائزاً في أول الإسلام، ثم نسخ بالأحاديث التي ورد فيها النهي عن المثلة، والنهي عن التعذيب بالنار ^(٢) .

الدليل الثاني: فعل الصحابة رضي الله عنهم ، ومن ذلك تحريق أبي بكر رضي الله عنه البغاة بالنار، وكان ذلك بحضرة الصحابة، وتحريق خالد بن الوليد رضي الله عنه ناساً من أهل الردّة بالنار ^(٣) ، وقتل علي رضي الله عنه قوماً كفروا بعد إسلامهم، ثم حرّقهم بالنار ^(٤) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الحدود، باب: المحاربين من أهل الكفر والردة، ومسلم في صحيحه ، كتاب كتاب القسامة، باب حكم المحاربين المرتدين ح (١٦٧١) والحديث روي بألفاظ عديدة في الصحيح، والقصة مشهورة. ومعنى سمل أعينهم: أي فقأها، وأذهب ما فيها. أما الحرة التي تركهم فيها فهي الحرة المعروفة بالمدينة، وهي ذات الحجارة السوداء في الجهة الشرقية منها. ينظر: شرح النووي على مسلم (١٥٤/١١)، المصباح المنير (٢٨٩/١) .

(٢) ينظر : فتح الباري (٣٤١/١) (١٢٦/٢) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢١٢/٥) ح (٩٤١٢)، عن معمر عن هشام ابن عروة عن أبيه . بسند صحيح.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢١٢/٥) ح (٩٤١٣)، عن معمر عن أيوب عن عكرمة أن علياً قتل قوماً قوماً كفروا بعد إسلامهم وأحرقهم بالنار .

ونوقش الاستدلال بفعل الصحابة : بأنّ تجويز الصحابي معارض بمنع صحابي آخر، فكما نقل الجواز عن عليّ عليه السلام ، فقد ثبت عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره المنع منه ^(١) ، وليس تقديم أحدهما بأولى من الآخر .

الدليل الثالث : عمل أهل المدينة، فإنّ أكثر علماء المدينة يجيزون تحريق الحصون، والمراكب على أهلها، وبه قال قاله الثوري، والأوزاعي، وعمل أهل المدينة معتبر، لأنهم ألصق بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله ^(٢).

ويمكن أن يناقش الاستدلال بعمل أهل المدينة : بأنّ جواز تحريق الحصون، والمراكب مقيد بالضرورة ، إذا كان التحريق طريقاً للظفر بالعدو، أمّا جوازه مطلقاً فليس من عمل أهل المدينة، ولا غيرهم .

والذي يظهر رجحانه: هو القول الأول، - القائلين بمنع التحريق بالنار -، لقوة أدلته، وصراحتها، في مقابل ضعف أدلة القول الثاني، والله تعالى أعلم .

تلكم هي أحكام الإسلام الراقية حتى مع الأعداء والحيوانات، فلا يجوز تعذيبهم، ولا التمثيل بهم، ولا تحريقهم، بينما حروب العصابات، والتشفي، والمطامع، التي يعيشها القرن الحاضر فإنها تترك آثارها في المحاريين : سملاً للأعين، وقلعاً للأظفار، وجدعاً للأنوف، وقطعاً للآذان والأطراف والأعضاء، وتشويهاً في الجسم، وقتلاً جماعياً، واعتداءً على الأعراض، وانتهاكاً للحرّمات .

والأمثلة والشواهد على هذا كثيرة، تعزُّ على الحصر والعدّ، ويعزب عن البال كثيرٌ منها؛ لكثرتها، وأوسع مجالاتها تتمثل في الاعتداء على المسلمين، وعلى الأقليات المسلمة في شتى بقاع الدنيا .



(١) سبق تخريجه ، وينظر : فتح الباري (٢٧١/١٢)، جواهر العقود (٢٠٦/٢)، نيل الأوطار (٣/٨) .

(٢) ينظر: المغني (٥٠١/١٠) ، نيل الأوطار (٥٨/٨) .

الفصل السادس

حكم استنقاذ أسرى الحرب من المسلمين وأهل الذمة

المبحث الأول : حكم فكاك الأسير :

إذا وقع أسير مسلم أو ذمي في يد العدو فيجب على المسلمين - ممثلين في ولاية أمورهم - أن يبذلوا كل مجهود لتخليص أسيرهم، كما يجب على الأسير الغني فداء نفسه، وعلى الإمام فداء الفقير من بيت مال المسلمين، ولو أُتي عليها كلّها. وقد اتفق أهل العلم على وجوب فكّ أسرى المسلمين من قبضة الكفار بأيّ ثمنٍ كان، حتى بالقتال إذا اقتضى الأمر ذلك .

قال ابن رشد - رحمه الله - : " واجب على الإمام أن يفتك أسرى المسلمين من بيت مالهم، فما قصر عنه بيت المال تبين على جميع المسلمين في أموالهم، على مقاديرها، ويكون هو كأحدهم إن كان له مال ... " ^(١) .

والأدلة على وجوب فكّ أسرى المسلمين كثيرة، أهمّها ما يلي :

الدليل الأول : ما جاء عن ابن شهاب الزهري، أن رسول الله ﷺ كتب بهذا الكتاب: " هذا كتاب من محمد النبي رسول الله، بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم، فحلّ معهم وجاهد معهم، أنهم : أمة واحدة دون الناس، المهاجرون من قريش على رباعتهم ^(٢) يتعاقلون بينهم معاقلة الأولى، وهم يفكون عانيهم بالمعروف، والقسط بين المؤمنين " ^(٣) .

الدليل الثاني : حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " فُكُّوا الْعَانِيَّ يَغْنِي الْأَسِيرَ، وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعَوِّدُوا الْمَرِيضَ " ^(٤) .

(١) ينظر: التاج والإكليل (٣٨٧/٣)، منح الجليل (٧١١/١ ، ٧٦٧) .

(٢) يقال: القوم على رباعتهم ورباعهم، أي : على استقامتهم، يريد أنهم على أمرهم الذي كانوا عليه . ينظر غريب الحديث لابن الجوزي (٣٧٦/١) .

(٣) ذكره ابن هشام في السيرة (٥٠١/١)، ولم أجد له سنداً، وهو ضعيف لإرساله .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: فكاك الأسير ح (٣٠٤٦) .

الدليل الثالث : ما جاء عن أبي جحيفة قال: قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام : هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ ؟ قَالَ: لَا إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ؟ قَالَ: الْعَقْلُ، وَفَكَائُ الْأَسِيرِ، وَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ " (١) .

وقد ترجم البخاري - رحمه الله - بقوله: " باب فكاك الأسير " (٢) .

الدليل الرابع : عن حَبَّان بن جبلة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : " إِنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي فَيْئِهِمْ أَنْ يَفَادُوا أَسِيرَهُمْ، وَيُؤَدُّوا عَنْ غَارِمِهِمْ " (٣) .

هذه أوامر من الرسول صلى الله عليه وسلم بفك الأسرى وهي تدل على الوجوب ، وقد جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : قال لي عمر رضي الله عنه : " اعلم أن كل أسير كان في أيدي المشركين من المسلمين فكاكه من بيت مال المسلمين " (٤) .

والذي نخلص إليه - بعد هذا العرض لأقوال العلماء في استنقاذ أسرى المسلمين وتخليصهم - : أَنَّ هَذَا وَاجِبٌ اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ، وَكَانَ وَاقِعًا فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ، وَفِيهِ مَا يَنْبَغُ عَنِ الْمَفَارِقَةِ بَيْنَ وَاقِعِ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ، وَبَيْنَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ سَابِقًا، فَقَدْ قَصَّرَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ تَقْصِيرًا ذَرِيعًا فِي اسْتِنْقَازِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَسْلَمُوا أَسْرَاهُمْ وَخَذَلُوهُمْ، فَلَمْ يِقَاتِلُوا دُونَهُمْ، وَلَمْ يَفْتَدُوهُمْ، بَلْ رَاحَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَتَأَوَّلُ أَوْ يَتَعَلَّلُ بِمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَذْرًا .

المبحث الثاني : حكم فكاك أسرى أهل الذمة .

وأما فداء أهل الذمة إذا وقعوا في الأسر ، فظاهر الأدلة أنه يجب فداؤهم، سواء كانوا في معونتنا أو لم يكونوا، ويمكن أن يستدل على ذلك بما يلي :

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم، باب: كتابة العلم ح (١١١) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب فضل المدينة ح (١٣٧٠) .

(٢) البخاري مع الفتح (١١١/١) .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور (٣٤١/٢) ، من طريق سعيد عن إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن حبان بن أبي جبلة . وهو ضعيف لضعف عبد الرحمن بن أنعم ، ينظر التقريب ص (٣٤٠) .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (٤٩٧/٦) ح (٣٣٢٦٢) ، من طريق حفص بن غياث عن أبي سلمة عن أبي حفصة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : قال عمر رضي الله عنه .

أولاً : ما تقدّم من الأدلة الدالة على وجوب فكّ الأسرى، فإنها تشمل بعمومها أسرى أهل الذمة، ولذلك ورد لفظ " الأسير والأسرى " في الأحاديث السابقة مطلقاً، ولم يقيد بكونه خاصاً بالأسير المسلم، وعلى هذا فإنّ حكم أهل الذمة حكم المسلمين، طالما كانوا مقيمين تحت ذمة المسلمين، وفي بلد المسلمين .

ثانياً: أننا قد التزمنا حفظهم بمعاهدتهم وأخذ جزيّتهم، فلزمنا القتال من ورائهم، والقيام دونهم، فإذا عجزنا عن ذلك وأمكنا تخليصهم لزمنا ذلك، وهذا قول عمر بن عبد العزيز والليث^(١) .

وقال القاضي أبو يعلى - رحمه الله - : " لا يجب فداؤهم إلا إذا استعان بهم الإمام في القتال؛ لأن أسره - عندئذ - كان لمعنى من جهته . وهو المنصوص عن الإمام أحمد، فقد سئل عن النصراني واليهودي إذا غزا كلٌ منهما مع المسلمين يقاتل معهم فأسره العدو ؟ فقال : يفادى به " ^(٢) .

ومتى وجب فداؤهم فإنه يبدأ بفداء المسلمين قبلهم؛ لأنّ حرمة المسلم أعظم، والخوف عليه أشدّ، ولأنه معرّض لفتنته عن دين الحقّ، بخلاف أهل الذمة^(٣) .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - موقف رائع، في تخلص أسارى أهل الذمة، على قدم المساواة مع أسارى المسلمين، فقد كتب إلى ملك قبرص رسالةً مطولة، فيها حثٌّ على إطلاق الأسرى، وحسن معاملتهم، بأسلوب يجمع بين الترغيب والترهيب، مع الكياسة واللباقة، قال فيها : " وقد عرف النصارى كلهم أنّي لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى، وأطلقهم غازان، فسمح بإطلاق المسلمين، وقال لي : لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس، فهؤلاء لا يطلقون . فقلت له : بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا، فإنّا نفتكهم ولا ندع أسيراً، لا من أهل الملة ولا من أهل

(١) ينظر: المغني (٢٢٨/٩) .

(٢) نقله ابن قدامة في المغني (٢٢٨/٩)، وابن مفلح في المبدع (٤٢٩/٣) .

(٣) ينظر : أحكام أهل الملل للحلال، ص (٢٣٦)، المغني (٤٨٧/١٠ - ٤٩٠)، الإنصاف (٢٠٩/٤ - ٢١٠)، ٢٤٧)، الكافي (٣٣٧/٤ - ٣٣٨)، كشف القناع (٤٩/٣، ١٢٩)، مطالب أولي النهى (٥٨٣/٢ - ٥٨٥)، المبدع في شرح المقنع (٣٩٦/٣ - ٣٩٧)، الفروع (٢٥١/٦ - ٢٥٢)، أصول العلاقات الدولية ص (١٣٠٣) .



الفصل السابع

حكم قتل الفئات المستضعفة

المبحث الأول : حكم قتل النساء والصبيان .

اتفق العلماء ^(١) على أنه لا يجوز قتل النساء والصبيان عمداً في الحرب إذا لم يقاتلوا،
لعدة أدلة ، فمن ذلك :

ما رواه نافع عن ابن عمر - رضي الله عنهما - : أَنَّ امْرَأَةً وَجِدَتْ فِي بَعْضِ مَعَاذِي النَّبِيِّ ﷺ مَقْتُولَةً، فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصَّبْيَانِ ^(٢) .

وذكر النووي - رحمه الله - في شرحه لهذا الحديث : " أن العلماء اجتمعوا على العمل بهذا الحديث ، وحرّموا قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا " ^(٣) .

وعلّلوا هذا النهي بضعف النساء، وقصور الوالدان ، وأيضاً لما في استبقائهم جميعاً من الانتفاع، إما بالرق ، أو الفداء في من يجوز أن يفادى به ^(٤) .

وهذا النهي عن قتلهم في حالة تميزهم عن الكفار ، وأما إذا اختلطوا بالكفار وصعب على المسلمين التحرز عن قتلهم فإنهم يقاتلون الكفار ولا يقصدون الذرية ، امتثالاً لأوامر النبي ﷺ ، فإن جاء قتلهم تبعاً لذلك فلا إثم عليهم ولا بأس، كما لو تحصن المشركون في قراهم، فاحتاج المسلمون إلى ضربهم بالمدافع، ونتج عن ذلك قتل الذرية والنساء، أو أغار المسلمون على الكفار ليلاً، وأدى ذلك إلى قتل ذراريهم ونسائهم والحجة لهذا الرأي : حديث الصعب بن جثامة رضي الله عنه قال : سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الذَّرَارِيِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَبْتَغُونَ

(١) ينظر: المغني (٣١١/٩)، المبسوط (٢٩/١٠)، بداية المجتهد (٨٣٨٣/١)، المحلى (٢٩٦/٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: قتل الصبيان في الحرب ح (٣٠١٤) ، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب ح (١٧٤٤) .

(٣) شرح النووي على مسلم (٤٨/١٢) .

(٤) ينظر: الأم (٢٣٨/٤)، فتح الباري (١٤٨/٦)، ونيل الأوطار (٢٨١/٧)، عمدة القارئ (٢٦٣/١٤)
حاشية الروض المربع (٢٧١/١٤) .

فَيُصَيِّوْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ فَقَالَ: " هُمْ مِنْهُمْ " ^(١) أي يأخذون حكم آبائهم في حل قتلهم .

أما إذا قاتل النساء والصبيان، أو استعين بهم بأي نوع من أنواع المشاركة في قتال المسلمين فيجوز قتالهم في حال المقاتلة وبعدها ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَفَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ ^(٢) ، والنساء والصبيان إذا قاتلونا يقتلون، وقال تعالى: ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفُوهُمْ ﴾ ^(٣) وهذا أمر بقتل من يقاتلنا حيث نجده ، وهو بعمومه يشمل النساء والصبيان الذين يقاتلوننا .

وذكر ابن العربي ^(٤) - رحمه الله - من أسباب جواز قتل المرأة التي تقاتل المسلمين : " أن لها آثاراً عظيمة في القتال : منها الإمداد بالأموال ، ومنها التحريض على القتال ، فقد كن يخرجن ناشرات شعورهن ، نادبات مثيرات للثأر ، معيرات بالفرار ، وذلك يبيح قتلهن " ^(٥) .

وفي العصر الحاضر لجأت بعض الدول إلى قبول النساء في صفوف الجيش النظامي ، وخاصة دولة إسرائيل ، وفي هذه الحالة فإن المسلمين مطالبون بعدم التهاون ، فيجب عليهم قتل النساء اللواتي يقاتلوهن ، وعدم تمكينهم من الحصول على مآربهم ، سيما وفي السنة النبوية ما يؤيد ذلك، كما في الحديث السابق عن عكرمة أن النبي ﷺ رأى امرأة مقتولة بالطائف فقال : " ألم أنه عن قتل النساء ؟ من صاحب هذه المرأة المقتولة ؟ " قال رجل من القوم : أنا يا رسول الله ، أردفتها فأرادت أن تصرعني فتقتلي ، فأمر بها رسول الله ﷺ أن توارى ^(٦) ، فلم ينكر عليه الرسول ﷺ قتلها ، لما علم أنها كانت تريد قتله .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير، باب أهل الدار يبيتون فيصاب الولدان والذراري ح (٣٠١٣) ، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمد ح (١٧٤٥) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٩٠ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٩١ .

(٤) الأحكام لابن العربي (١٠٥/١) .

(٥) قواعد الحرب في الشريعة ، ص (١٥٤) .

(٦) أخرجه أبو داود في المراسيل ص (٣١٩) ، والبيهقي في سننه (١٤٠/٩) ، من طريق موسى بن إسماعيل عن عن وهيب عن أيوب عن عكرمة ، وإسناده ضعيف ؛ لإرساله ، وقد جاءت القصة عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ :

وعن رَبَّاحِ بْنِ رَيْعٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ: انْظُرْ عَلَامَ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ؟ فَجَاءَ فَقَالَ: عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ فَقَالَ: " مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتَلَ " ^(١) ، ففيه إشارة إلى أن المرأة لا تقاتل ، فإذا قاتلت قوتلت ^(٢) .

فهذا يتضح جواز قتل النساء والصبيان إذا نصبوا أنفسهم لقتال المسلمين .
إلا أن ابن حبيب من المالكية ^(٣) قال : " لا يجوز القصد إلى قتلها إذا قاتلت إلا إذا باشرت القتل وقصدت إليه " ، وهذا القول بعيد ؛ لأن وجود هؤلاء في صفوف الأعداء يكثر سوادهم ، وهو نوع من القتال ، ورأي الجمهور هو الراجح والأدلة تؤيده ^(٤) .

وما الحكم فيما لو تترس المشركون بنسائهم وأطفالهم ؟
إذا تترس المشركون بنسائهم وأطفالهم في الحرب ، فقد اختلف العلماء في حكم قتلهم على قولين :

القول الأول : أنه يجوز رميهم ، فإن قُتل أحد منهم ، فإنه قتله جاء تبعاً ، ويثبت تبعاً ما لا يثبت استقلالاً ، وهو قول جمهور العلماء ^(٥) .

أن رسول الله ﷺ رأى في بعض مغازيه امرأة مقتولة ، فنهى عن قتل النساء والصبيان ، أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب: قتل الصبيان في الحرب ح (٣٠١٤) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب: تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب ح (١٧٤٤) ، ولأثر عكرمة شاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبراني في الكبير (٣٨٨/١١) ، وفيه أن ذلك كان يوم الخندق ، لكن أعله الهيثمي في المجمع (٣١٦/٥) ، بالحجاج بن أرطاة ، وله شاهد ثان من مرسل عبد الرحمن بن أبي عمرة بنحوه ، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠١/٥) ، وابن أبي شيبة في مصنفه أيضاً (٣٨٤/١٢) .

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الجهاد ، باب: في قتل النساء ، ح (٢٦٦٩) عن أبي داود الطيالسي عن عمر ابن المرقع بن صيفي بن رباح عن أبيه عن جده رباح بن ربيع ، وإسناد الحديث حسن .

(٢) المنتقى (١٦٦/٣) .

(٣) أوجز المسالك (١٤/٤) .

(٤) ينظر: المغني (٣١٢/٩) ، قواعد الحرب في الشريعة ، ص (١٥٥) .

(٥) ينظر: المغني (٢٨٨/٩) ، تكملة المجموع (٨٧/١٨) ، بدائع الصنائع (٤٣٠٦/٩) ، فتح الباري (١٤٨/٦) ، قواعد الحرب في الشريعة ، ص (١٥٦) .

القول الثاني : لا يجوز قتل النساء والصبيان بحال من الأحوال ، حتى لو تترس أهل الحرب بهم أو تحصنوا بحصن أو سفينة، وجعلوا معهم النساء والذرية فلا يجوز رميهم ولا تحريقهم ، وهو قول مالك والأوزاعي ^(١) .

وقد استدل الجمهور بأثر مكحول: أن النبي ﷺ نصب المنجنيق ^(٢) على أهل الطائف ^(٣) .

حيث أن النبي ﷺ رماهم بالمنجنيق ومعهم النساء والصبيان ، فدل على جواز قتلهم للضرورة ، أي عند التحصن بهم ؛ لأن الرمي بالمنجنيق مهلك ، ولا يؤمن معه قتل النساء والذرية ، وهناك تعليل آخر وجيه وهو : أن عدم رميهم يؤدي إلى تعطيل الجهاد ، إذ

(١) أوجز المسالك (١٤/٤) وينظر : فقه الأوزاعي (٣٩٩/٢) .

(٢) آلة ترمى بها الحجارة ، كانت تستعمل في الحروب ، تسبب أضراراً على الأعداء ، من هدم بيوتهم وإتلاف زروعهم . ينظر : لسان العرب ، مادة: منجنق (٣٣٨ / ١٠) .

(٣) أخرجه أبو داود في المراسيل ح (٣٢١) ، ص (٣٩٢) ، والبيهقي في سننه (٨٤/٩) من طريق سفيان الثوري عن ثور بن يزيد عن مكحول ، وهو ضعيف لإرساله ، وأخرجه الترمذي (٩٤/٥) بإسناده إلى ثور بن يزيد ، ثم ذكره عن مرسله . وفي إسناده عمر بن هارون ، قال فيه الحافظ قي " التقريب " ص (٤١٧) : " متروك ، وكان حافظاً . " ، وأخرجه العقيلي في الضعفاء (٢٤٤/٢) من وجه آخر من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً ، وهو من رواية عبد الله بن خراش بن حوشب ، وقد ذكر العقيلي هذا الحديث من مناكيره . وقال فيه الحافظ في " التقريب " ص (٣٠١) : " ضعيف " .

وأخرج نحوه البيهقي (٨٤/٩) من حديث أبي عبيدة ، وفي إسناده عبد الله بن عمرو البصري ، وثقه البيهقي عند ذكره في الإسناد ، مع أن أئمة الجرح والتعديل أطلقوا فيه أشد عبارات الجرح ، فقد قال فيه علي بن المديني : " كان يضع الحديث . وكذبه الدارقطني ، وقال أبو حاتم : ليس بشيء ضعيف الحديث كان لا يصدق .أهـ . (الجرح والتعديل ١١٩/٥ ، وميزان الاعتدال ٤٦٨/٢) وفيه عبد الملك الرقاشي ، أبو قلابة صدوق يخطئ لما سكن بغداد (التقريب ص (٣٦٥) والراوي عنه أحمد بن سلمان ، روى عنه بعد تغيره . (الكواكب النيرات ٣١١) وهو مع تغيره فقد أنكر على شيخه عبد الله بن عمرو هذا الحديث ، فقد نقل عنه البيهقي أنه قال : وكان ينكر عليه هذا الحديث . قال البيهقي : فكأنه كان ينكر عليه وصل إسناده ، ويحتمل أنه إنما أنكر رميهم يومئذ بالمانيق . ثم استدل بمرسل يحيى بن أبي كثير ، الذي أخرجه أبو داود في مراسيله بعد مرسل عكرمة ح (٣٢٢) ، ص (٣٩٣) ، والبيهقي في سننه (٨٤/٩) من طريق أبي إسحاق الفزاري عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال : حاصرهم رسول الله ﷺ شهراً ، فقلت : أفبلغك أنه رماهم بالمانيق؟ فأنكر ذلك ، وقال : " ما نعرف هذا " ، وهو ضعيف أيضاً ؛ لإرساله ، والأقرب أنه لا يثبت في هذا الباب شيء .

أنهم متى علموا أن المسلمين يتركونهم في حالة التترس بأطفالهم ونسائهم يفعلون ذلك عند خوفهم^(١) .

أما أصحاب القول الثاني: فاستدلوا بما جاء عن ابن عمر - رضي الله عنهما -: أن امرأة وجدت في بعض معازي النبي ﷺ مقتولة، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان^(٢) ، حيث إن النبي ﷺ لم يفرق في نفيه عن قتل النساء والصبيان بين حالة وأخرى إلا ما دلت عليه الأحاديث باستثناء حالة المقاتلة^(٣) .

والرأي الراجح : هو رأي الجمهور ، فيجوز قتلهم تبعاً لا قصداً ؛ للضرورة ؛ ولأن عدم الجواز يؤدي إلى فعل المحذور من تعطيل فرض من فروض الله .

المبحث الثاني : حكم قتل الشيخ الكبير ومن في حكمه .

اختلف العلماء في حكم قتل الشيخ الهرم ، والأعمى ، والزمن ، والراهب ، ومن في حكمهم على قولين :

القول الأول : أنه لا يجوز قتلهم إذا لم ينصبوا أنفسهم لعداء المسلمين ولم يشاركوا في قتالهم ، وبهذا قال جمهور أهل العلم ، أحمد بن حنبل ومالك وأبي حنيفة والشافعي في أحد قوليه والأوزاعي^(٤) .

القول الثاني : أنه يجوز قتلهم أو تركهم ، وبهذا قول الشافعي في المشهور وابن حزم وابن المنذر^(٥) .

وقد استدلل الجمهور بأدلة منها :

(١) ينظر: المغني (٢٨٨/٩)، قواعد الحرب في الشريعة ، ص (١٥٦) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: قتل الصبيان في الحرب ح (٣٠١٤) ، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب ح (١٧٤٤) .

(٣) ينظر: فقه الإمام الأوزاعي (٣٩٩/٢) .

(٤) ينظر: المغني (٣١١/٩)، الكافي لابن عبد البر (٤٦٦/١) ، المبسوط (٦/١٠)، روضة الطالبين (٢٤٣/١٠) ، قضايا فقهية في العلاقات الدولية ، ص (٢٣٧)، قواعد الحرب في الشريعة ، ص (١٥٧)

(٥) ينظر: روضة الطالبين (٢٤٣/١٠)، المغني (٣١١/٩)، المحلى (٢٩٦/٤) .

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمُ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١)، فقد روي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: " لا تعتدوا بقتل النساء والصبيان والشيخ الكبير " (٢)،

الدليل الثاني: حديث رباح بن ربيع: أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً فقال: " قل لخالد: لا تقتلن امرأة ولا عسيفاً " (٣).

الدليل الثالث: حديث أنس بن مالك ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: " انطلقوا باسم الله، وبالله وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً، ولا صغيراً، ولا امرأة.... " (٤).

الدليل الرابع: روى مالك - رحمه الله - أنه بلغه أن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - كتب إلى عامل من عماله: أنه بلغنا أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث سرية يقول لهم: " اغزوا باسم الله، في سبيل الله، تقتلون من كفر بالله، لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً "، وقل ذلك لجيوشك وسراياك إن شاء الله والسلام عليكم (٥).

الدليل الخامس: ما رواه يحيى بن سعيد: أن أبا بكر الصديق ﷺ بعث جيوشاً إلى الشام، فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان، وقال له: قال له: إنك ستجد قومًا زعموا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢ / ١٩٥) من طريق أبي صالح قال حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ح (٢٦١٤) من طريق خالد بن الفرز عن أنس، قال ابن حزم في المحلى

(٢٩٧/٧): " إن خالد بن الفرز الراوي عن أنس مجهول "، وقد تعقبه ابن حجر في تهذيب التهذيب

(٨٨/١)، وقال: " هذا من إطلاقات ابن حزم المردودة ".

(٥) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الجهاد، باب في النهي عن قتل النساء والولدان ح (١٢٩٣)، وهذا

الحديث أورده مالك بلاغاً، ولكن قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٤/٢٣٢): " هذا الحديث يتصل معناه عن

النبي ﷺ من وجوه صحاح من حديث بريدة الأسلمي، وأنس بن مالك، وصفوان بن عسال، وأبي موسى

الأشعري، والنعمان بن مقرن، وابن عباس، وجرير بن عبد الله البجلي ".

أَنَّهُمْ حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ، فَذَرَهُمْ وَمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ، وَإِنِّي مُوصِيكَ بِعَشْرِ لَأَ تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا صَبِيًّا وَلَا كَبِيرًا هَرِمًا وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا^(١)

الدليل السادس: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ جَيْوشَهُ قَالَ: " اخْرُجُوا بِسْمِ اللَّهِ، تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، لَا تَعْدِرُوا، وَلَا تَعْلُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ، وَلَا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ " ^(٢) .

قال البيهقي - رحمه الله بعد ذكره بعض هذه الأحاديث - : " هي بشواهدا مع ما فيها من الآثار يقوي بعضها بعض ، والله أعلم " ^(٣) .

وقد استدل من أجاز قتل الشيوخ ونحوهم : بعموم الآيات التي تدل على قتال المشركين عامة ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ﴾ ^(٤) .

ووجه الدلالة من هذه الآية : أن الله عمم القتل على كل مشرك إلا أن يُسلم ^(٥) .

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ ، كتاب الجهاد ، باب في النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو ح (١٢٩٢) ، وفيه انقطاع ، فإن يحيى بن سعيد لم يدرك أبا بكر ، ولم يسمع من الصحابة إلا عن أنس ، ينظر: تهذيب التهذيب (٢٤٠/٩) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ح (٢٧٢٨) ، والبزار كما في كشف الأستار ح (١٦٧٧) ، وأبو يعلى ح (٢٥٤٩) ، والطبراني في الكبير (٢٢٤/١١) ح (١١٥٦٢) ، والبيهقي (٩٠/٩) من طريق ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس ، وهذا الإسناد ضعيف ؛ لأنه من رواية داود بن الحصين ، وهو ثقة إلا في عكرمة ينظر: التقريب ، ص (١٩٨) ، وله شاهد من حديث بريدة في صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ح (١٧٣١) وفيه : أن الرسول ﷺ كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال : " اغزوا باسم الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تعدوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ... " . الحديث ، سبق ذكره .

(٣) سنن البيهقي (٩١/٩) .

(٤) سورة التوبة ، الآية : ٥ .

(٥) ينظر: المحلى (٢٩٧/٤) .

كما احتج الشافعي - رحمه الله - بما رواه الحسن بن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " اَقْتُلُوا شُيُوخَ الْمُشْرِكِينَ، وَاسْتَبَقُوا شَرَّحَهُمْ " ^(١) .

وقد أجاب الجمهور عن ذلك بما يلي :

أما بالنسبة للآيات الدالة على عموم قتال الكفار فإنها مخصوصة بأدلة الجمهور ، وأيضاً فإنه خرج من عمومها المرأة والذرية باتفاق ^(٢) ، فنقيس على المرأة والذرية من في حكمهم من الشيوخ الهرمى والزمنى وغيرهم الذين لا يستطيعوا القتال .

وأما حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه : " اَقْتُلُوا شُيُوخَ الْمُشْرِكِينَ " الذي احتج به الإمام الشافعي - رحمه الله - فلا يقوى على معارضة أدلة الجمهور القوية ، وعلى فرض صحة الحديث ، فقد ذهب أئمة الحديث إلى الجمع بينه وبين الأحاديث الأخرى بأن المراد بالشيخ المنهي عن قتله في الأحاديث التي استدلت بها الجمهور هو الفاني الذي لا نفع فيه للكفار ولا مضرة منه على المسلمين ، وقد وقع التصريح بهذا بقوله ﷺ : " شيخاً فانياً " ، والشيخ المأمور بقتله في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه من يكون من أصحاب النجدة والبأس والرأي في الحرب . لا الهرمى الذين لا قوة لهم ^(٣) .

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الجهاد ، باب في قتل النساء ، ح (٢٦٧٠) ، وأحمد في مسنده ح (٢٠١٤٥) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٨٨/١٢) ، والطبراني في الكبير (٢١٦/٧) ح (٦٩٠٠ - ٦٩٠١) ، والبغوي في شرح السنة ح (٢٦٩٥) ، من طريق حجاج بن أرطاة عن قتادة عن الحسن عن سمرة ، وإسناده ليس بالقوي ؛ لأنه من رواية الحجاج بن أرطاة ، وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس ، ينظر: التقريب ص (١٥٢) ، وأخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب السير ، باب ما جاء في التزول على الحكم ح (١٥٨٣) ، والطبراني في الكبير (٢١٧/٧) ح (٦٩٠٢) ، من طريق سعيد بن بشير عن قتادة به ، لكن سعيد هذا ضعيف ينظر: التقريب ص (٢٣٤) ومع ذلك فقد قال الترمذي عقبه : حديث صحيح غريب ، وأشار إلى رواية حجاج بن أرطاة عن قتادة ، فكأنه صححه من أجلها ، ولم يلتفت إلى عننة الحسن عن سمرة ؛ لأن الراجح عنده وعند شيخه البخاري وشيخه ابن المديني وجماعة من أهل الحديث إثبات سماع الحسن عن سمرة مطلقاً ، انظر في بحث موسع في هذه المسألة كتاب : " المرسل الخفي وعلاقته بالتدليس للعويني (١١٧٤/٣ - ١٣٠٠) .

(٢) ينظر: المغني (٣١٢/٩) .

(٣) ينظر: نيل الأوطار (٢٨١/٧) ، الجوهر النقي مع سنن البيهقي (٩٢/٩) ، الفتح الرباني للساعاتي (٦٥/١٤) ، سبل السلام (٥٠/٤) .

والرأي الأول رأي الجمهور أسلم وأصح ، ويلحق بالشيخ الكبير والراهب ما ذكرته كتب الفقه : من أنه لا يجوز قتل الأعمى ، ولا الذي أقعده المرض ، والمشلول ، ومقطوع اليد والرجل من خلاف ، وكل من لا يستطيع القتال ^(١) .
والأصل أن كل من لم يكن أهلاً للقتال لا يقتل ، ولا يجوز قتله إلا إذا قاتل حقيقة ، أو معنى بالرأي والمشورة ^(٢) .

قال النووي - رحمه الله - : " فإن كان منهم من له رأي يستعين الكفار برأيه في تدبير الحرب قتل قطعاً " ^(٣) ، ودليلهم أن دريد بن الصمة قتله ابن ربيع السلمي يوم حنين وهو شيخ كبير لا يستطيع القتال ؛ لأنه ذو رأي وصاحب خبرة في المعارك ، ولذلك استصحبه قومه ليهتدون برأيه ، وقد أقر النبي ﷺ قتله ، كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقى دريد بن الصمة ، فقتل دريد وهزم الله أصحابه ... إلى أن قال : فرجعت فدخلت على النبي ﷺ في بيته ... فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر ... إلخ ^(٤) .

وقد دل الحديث على جواز قتل الشيخ الكبير إذا كان له رأي يستعين الأعداء به في الحروب ، وقصة دريد مشهورة في عدم رضاه عن تصرف مالك بن عوف حين جعل النساء والذرية والأموال مع الناس ؛ لأجل أن يقاتل كل رجل عن أهله وماله فقال دريد بن الصمة : إنما إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك ، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم ، ثم ألقِ القوم على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من ورائك ، وكان أهلك لا خوف عليهم ، وإن كان عليك أهلك

(١) ينظر: المغني (٣١٢/٩)، البدائع (٢٣٠٧/٩) .

(٢) ينظر: البدائع (٤٣٠٨/٩) ، قواعد الحرب في الشريعة ، ص (١٦١) .

(٣) روضة الطالبين (٢٤٣/١٠) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي، باب غزوة أوطاس ح (٤٣٢٣) ، ومسلم في صحيحه ،

كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي موسى الأشعري ح (٢٤٩٨) .

ذلك وقد أحرزت مالك وأهلك ، فغضب مالك ، وقال : والله لا أفعل ، إنك قد كبرت وكبر علمك ، وفي الرجال من هو أبصر منك في الحرب ^(١) .

ولهذا اتفق العلماء على جواز قتل الشيخ الذي يُستفاد من خبرته وآرائه في تنظيم الخطط العسكرية ، ويلحق به المستشار الحربي ؛ لأن الحرب كما تحتاج إلى أسلحة ورجال تحتاج إلى تخطيط دقيق يُبين حجم المعركة لاتخاذ التدابير اللازمة ، وعمل المستشار هو رسم الخطط التي يقوم المحاربون بتنفيذها ^(٢) .

وأيضاً يجوز قتل أفراد الجيش النظامي المتقاعد أو الاحتياطيين الذين يحضرون المعركة ، ويصاحبون تحركات الجيش ؛ لخرقهم ، ولأنهم يُستفاد منهم في أمور الحرب ؛ لأن الرأي والخبرة من أعظم المعونة في الحرب .

وجميع الفئات المستضعفة التي نُهت الشريعة عن قتالها في الحرب إذا شاركت في المعركة بأي نوع من أنواع المشاركة ، كالإمداد ، أو الإعداد ، أو سقاية الجرحى ، أو جلب الذخيرة لهم ، فإنهم يهدرون دماءهم بذلك ، ويجب على المسلمين قتلهم والتخلص منهم ^(٣) .

أما من التزم جانب الإسلام ولم ينصب نفسه لعداء المسلمين ولا لقتالهم ولا لتحريض الأعداء عليهم ، كالمدينين الذين ألقوا السلام منهمكين في أعمالهم ، ومعزولين من السلاح ، فلا يعتبرون محاربين في نظرة الشريعة، وقد جاء في كتاب عمر رضي الله عنه إلى قواده أنه قال : " اتقوا الله في الفلاحين ، فلا تقتلوهم إلا أن ينصبوا لكم الحرب " ^(٤) .

(١) ينظر: المغازي للواقدي (٣/ ٨٨٧ ، ٨٨٨)، البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٣٢٣) ، والاكتفاء في مغازي رسول الله للأندلسي (٢/ ٣٢٢ ، ٣٢٣) .

(٢) ينظر: الجهاد في التشريع الإسلامي ، محمود محمد علي ، ص (٩٧) ، قواعد الحرب في الشريعة ، ص (١٦٢) .

(٣) قواعد الحرب في الشريعة ص (١٦٣)

(٤) أخرجه البيهقي في سننه ح (١٨١٥٩) من طريق زهير بن معاوية عن يزيد بن أبي زياد عن زيد بن وهب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف ؛ لأنه من رواية يزيد بن أبي زياد ، وهو ضعيف ، كبر فتغير وصار يتلقن ، ينظر: التقريب ص (٦٠١) .

هذه هي تعاليم الإسلام وآدابه المغايرة لتعاليم الأمم المتحضرة المبنية على الظلم والبغي والعدوان ؛ لأنها مستمدة من الطبائع البشرية ، لذا فإنهم يقتلون النساء والأطفال والشيوخ والعجزة وغيرهم ، ويفعلون كل ما تملي لهم أنفسهم بلا أدنى وازع يمنعهم من ارتكاب الظلم ^(١) .

❖❖❖❖❖❖❖❖ ❖❖❖❖❖❖❖❖❖

(١) ينظر: الجهاد في التشريع الإسلامي ، محمود محمد علي ص (٩٩)، قواعد الحرب في الشريعة ص (١٦١) ،
١٦٢ ، ١٦٣) .

الفصل الثامن

موقف الإسلام من جثث قتلى الكفار

من المعلوم أن المرء هو الذي يُكسب نفسه الحرمة أو عدمها بما يحمله من عقيدة ، فلا حرمة لكافر بعد موته كحرمة المؤمن ، ولكن يترك أمره لقومه في أن يأخذوه ويدفنوه ، وقد نقل ابن رشد عن الإمام الشافعي - رحمه الله - أنه قال : " لا بأس بغسل المسلم قرابته من المشركين ودفنهم " وبه قال أبو حنيفة وأصحابه وأبو ثور^(١) ، وكان المتعارف عليه في الحروب الإسلامية مع أعداء المسلمين أن تتولى كل طائفة دفن قتلاها ، والبحث عنهم بعد انتهاء المعركة^(٢) ، لكن ما موقف الإسلام من قتلى الكفار إذا لم يقيم الأعداء بدفن قتلاهم ، وتركهم في ميدان المعركة ؟

قال الإمام النووي - رحمه الله - : " الحربي لا يجب دفنه ، بل يترك في الصحراء إلا أن يُتأذى به "^(٣) ، ومفهوم كلام النووي - رحمه الله - أنه يترك في العراء ، ولا يدفن إلا إذا حصل التأذي من رائحته ، لكن إبقاء الميت في العراء مما ينفر الناس ، ويوقع الضرر بالمارة ، فضلاً عن ما يسببه ذلك من انتشار الروائح العفنة؛ لهذا كانت مواردكم وستر جثثهم واجباً، لما في ذلك من المصلحة العامة ، أما كون الدفن على الوجه الشرعي فليس من الضروري اتباعه بالنسبة لقتلى العدو، وإنما تستر جثثهم بالتراب^(٤) .

فهذا هو الذي يتفق مع سماحة الإسلام وتعاليمه، ويدل لذلك ما يلي :

الدليل الأول : قصة قتلى بدر، وطرحهم في القليب، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ، وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِذْ جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلَى جَزُورٍ فَقَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَأَخَذَتْ مِنْ ظَهْرِهِ، وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي

(١) بداية المجتهد (٢٢٧/١) .

(٢) ينظر: آثار الحرب ، ص (٤٨٧) .

(٣) شرح النووي على مسلم (١٥٣/١٢) .

(٤) ينظر: الأحكام السلطانية للماوردي ، ص (٥٧) ، قواعد الحرب في الشريعة ، ص (١٤١) .

مُعِطٍ وَأُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفٍ أَوْ أُبَيِّ بْنِ خَلْفٍ " ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ ، فَأُلْقُوا فِي بئرٍ غَيْرِ أُمِّيَّةٍ أَوْ أُبَيِّ فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلًا ضَخْمًا فَلَمَّا جَرَّوْهُ تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ قَبْلَ أَنْ يُلْقَى فِي الْبئرِ ^(١) .

الدليل الثاني : ما رواه أبو داود في المراسيل عن عكرمة أن النبي ﷺ رأى امرأة مقتولة بالطائف فقال : " ألم أنه عن قتل النساء ؟ من صاحب هذه المرأة المقتولة ؟ " ، قال رجل من القوم : أنا يا رسول الله ، أردفتها فأرادت أن تصرعني فتقتلني ، فأمر بها رسول الله ﷺ أن توارى ^(٢) .

والذي يظهر من خلال هذه الأدلة أن على المسلمين أن يدفنوا قتلى الكفار ويستروهم بالتراب ، وليس هناك ما يمنع شرعاً من إرسال معلومات عن قتلى العدو في المعركة إلى قواد المشركين على أساس المعاملة بالمثل ، فالمسلمون يهتمهم مصير جنودهم ، على أن يكون القائد على بصيرة بأمر جيشه ، ليتمكن من تقدير نتائج المعركة ، فإذا وجدت الثقة فإن كل طرف من المحاربين يؤمن للآخر المعلومات عن قتلى المعركة ، كذلك الإسلام لا يمانع من وقف القتال مدة يستطيع كل من الطرفين دفن قتلاهم فيها بناءً على طلب الدولة المحاربة لذلك ^(٣) .

وإذا طلب الأعداء استلام قتلاهم أو عينوا شخصاً وطلبوا من المسلمين إعطائهم جثته ، فلا مانع شرعاً من تسليمه لهم ؛ لما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رجلاً من المشركين قتل يوم الأحزاب فبعث المشركون إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا بجسده ونعطيك اثني عشر ألفاً ، فقال رسول الله ﷺ : " لا خير في جسده ولا في ثمنه " ^(٤) ، فأمر ﷺ أصحابه بأن يعطوهم جثته ، وأخبرهم بأنه خبيث الجسد ، وخبيث الدية ^(٥) .

(١) سبق تخريجه ص (٤٠٨) .

(٢) سبق تخريجه ص (٤٧٧) .

(٣) ينظر : آثار الحرب للزحيلي ، ص (٤٩١) .

(٤) أخرجه البيهقي في سننه (٢٢٤/٩) ، من طريق عفان عن حماد بن سلمة عن حجاج بن الحكم عن مقسم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وفيه انقطاع بين الحكم ومقسم ، ينظر : تهذيب الكمال (١١٥/٧) ، جامع التحصيل ص (١٦٧) .

(٥) البداية والنهاية لابن كثير (١٠٧/٤) ، قواعد الحرب في الشريعة ، ص (١٤٢) .




- 489 -

الفصل التاسع

حكم الإجهاز على جريح الأعداء

تحدث أهل العلم عن هذه المسألة ^(١) ، وذهبوا إلى التفصيل فيها ، بأن الجريح إذا لم يكن به حراك ، ولا يخشى من شره فلا يجوز الإجهاز عليه ؛ لأن هذا من باب المثلثة ، وقد سبقت الأدلة على تحريم المثلثة ، أما إذا لم يكن جرحه مضعفاً له ، وخيف من شره ، فيجوز الإجهاز عليه؛ للأحاديث التالية:

الحديث الأول: عن ابن مسعود رضي الله عنه أَنَّ النَّسَاءَ كُنَّ يَوْمَ أُحُدٍ خَلْفَ الْمُسْلِمِينَ يُجْهِزْنَ عَلَى جَرَحَى الْمُشْرِكِينَ . ^(٢) ، ولو كان ذلك أمراً منهياً عنه شرعاً لما أقره النبي ﷺ .
الحديث الثاني: قصة إجهاز ابن مسعود رضي الله عنه على أبي جهل ، وقد ترجم عليها أبو داود بقوله : " باب من أجاز على جريح مشخن ... " ^(٣) .

وقد جاءت القصة بالفاظ عدة منها : عن ابن مسعود رضي الله عنه أَنَّهُ أَتَى أَبَا جَهْلٍ وَبِهِ رَمَقٌ يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ أَعْمَدُ مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ . ^(٤) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ ؟ فَأَنْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ ، فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ قَالَ : أَأَنْتَ أَبُو جَهْلٍ ؟ قَالَ : فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ قَالَ : وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ أَوْ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ " ^(٥) .

(١) ينظر: المغني (٣١٣/٩) ، المبسوط (٤٨/١٠) ، الأحكام السلطانية للماوردي ص (٦٥) ، قواعد الحرب في الشريعة الإسلامية لعواض الوديعاني ص (١٣٨) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ح (٤٤١٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٠٢/١٤) ، عن عفان بن مسلم عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي عن ابن مسعود ، وإسناده ضعيف للانقطاع بين الشعبي وبين ابن مسعود ، وقد ذكره ابن كثير في تفسيره (١٣٤/٢) ، وفي البداية والنهاية (٤٠/٤) ، وقال : " تفرد به أحمد ، وهذا إسناد فيه ضعف من جهة عطاء بن السائب " ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٩/٦) ، وقال : " رواه أحمد ، وفيه عطاء بن السائب ، وقد اختلط " .

(٣) سنن أبي داود (٨٠ / ٢) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب: قتل أبي جهل ح (٣٩٦١) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي باب: قتل أبي جهل ح (٣٩٦٣) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب قتل أبي جهل ح (١٨٠٠) .

وقد جاءت القصة بتفصيل أدق عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : " أدركت أبا جهل يوم بدر صريعاً ، قلت : أي عدو الله قد أخزأك الله ، قال : وبما أخزاني من رجل قتلتموه ومعى سيف لي ، فجعلت أضربه ولا يحتك فيه شيء ، ومعه سيف له جيد فضربت يده فوقع السيف من يده ، فأخذته ثم كشفت المظفر عن رأسه ، فضربت عنقه ، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ... " الحديث^(١) .

وقد ذهب كثير من الفقهاء إلى جواز الإجهاز على جريح المعركة ، فقد قال أبو يوسف عند التحدث عن معاملة الكفار : " وأحسن ما سمعنا في ذلك - والله أعلم - أنه لا بأس أن يقاتل أهل الشرك بكل سلاح ... وأن يتبع مدبرهم ، ويذفف^(٢) على جريحهم " ^(٣) .

قال الإمام الشافعي - رحمه الله - : " ولو جاز أن يعاب قتل من عدا البرهان لمعنى أنهم لا يقاتلون لم يقتل الأسير ولا الجريح الميث ، وقد ذفف على الجرحى بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم أبو جهل بن هشام ، ذفف عليه ابن مسعود وغيره " ^(٤) .

أما من ذهب إلى عدم جواز الإجهاز على جريح الأعداء فليس لديهم ما يتمسكون به سوى ما رواه أبو عبيد في الأموال : وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة : " ألا لا يجهز على جريح ، ولا يتبع مدبر ، ولا يقتل أسير ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن " ^(٥) .

وهذا الحديث لم يروه أحد من أصحاب كتب الحديث المعتبرة ، وعلى فرض صحته يجاب عنه بجوابين :

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨٤ / ٩) ، ح (٨٤٧٤) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩ / ٦) : " رجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب بن أبي كريمة ، وهو ثقة " ، وأصل القصة ثابتة في صحيح البخاري .

(٢) التذفيف : الإجهاز على الجرحى ، ينظر : لسان العرب ، مادة : ذفف (١١٠ / ٩) .

(٣) الخراج لأبي يوسف ، ص (٢١١) .

(٤) ينظر : سنن البيهقي (٩٢ / ٩) .

(٥) أخرجه أبو عبيد في كتاب الأموال ص (٨٢) ، وأخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (٥٣٨ / ٧) ح (٣٧٧٩٠) موقوفاً من طريق عبد خير قال أمر علي منادياً أن ينادي يوم الجمل : ألا لا يجهز

الأول : أن هذا خاص بأهل مكة ، ولا يقاس عليهم غيرهم ؛ لأن رسول الله ﷺ جعل لهم من الخصوصيات ما لم يجعله لغيرهم .

الثاني : أنه قال هذا بعد انتهاء المعركة ، واستسلام العدو ، بحيث لا يخشى منه ضرر أو لحاقه بالمسلمين .

والأقرب في هذه المسألة جواز الإجهاز على جريح الكفار الذي لم يكف شره عن المسلمين ، كأن يكون مقطوع اليد أو الرجل وفيه القوة على قتال المسلمين ، وأما إذا كف شره عن المسلمين ، وأصبح لا يستطيع المقاومة فإن الإجهاز عليه من قبيل المثلة^(١) .



(١) ينظر : قواعد الحرب في الشريعة ص (١٤٠) .

الفصل العاشر

تحريم المثلة بالأعداء^(١)

الكلام في حكم المثلة لا يخلو من حالين :

الحال الأولى : أن تكون المثلة في حال القتال .

الحال الثانية : أن تكون المثلة بعد القتال، وفي حالة الانتصار على الأعداء، وقد فرق أهل العلم في المثلة بين حال القتال، وحال الظفر بالأعداء، والانتصار عليهم .

ففي الحال الأولى : لا بأس بالمثلة، إذا وقع ذلك حال القتال، كمبارزة ضرب العدو ففقط أذنه، ثم ضربه ففقا عينه أو قطع يده أو أنفه ونحو ذلك، فهذا لا بأس به؛ لأنه أسلوب من أساليب الحرب^(٢) .

وفي الحالة الثانية : يجب اجتناب المثلة؛ لأنها محرمة بنصوص كثيرة، ويظهر من هذا أنه لو تمكن المجاهد من الكافر حال قيام الحرب، فليس له أن يمثل به ليقته^(٣) .

(١) المثلة في اللغة : على وزن غُرْفَة، تجمع على مُثَلَّات، ومُثَلَّات، ومُثَلَّات، والمثلة - بفتح الميم، وضم الناء - العقوبة، وتجمع على مثلات، تقول : مثلت بالقتيل، أمثل به مثلاً - من بابي قتل وضرب - إذا جدعت أنفه، أو أذنه، أو مذاكيره، أو شيئاً من أطرافه، وظهرت آثار فعلك عليه تنكيلاً ، ينظر: لسان العرب (٦١٥/١١) مادة (مثل) ، القاموس المحيط، ص (١٣٦٥) .

(٢) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (١٣١/٢)، تفسير الطبري (٢٠٧/٦) ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٠/٦)، وتفسير ابن كثير (٩٨/٣) .

(٣) قال في المغني (٢٦١/٩) : " ويكره نقل رؤوس المشركين من بلد إلى بلد، والمثلة بقتلهم، وتعذيبهم؛ لما روى سمرة بن جندب قال : كان النبي ﷺ يحثنا على الصدقة، وينهانا عن المثلة، وعن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ " إن أعف الناس قتلة أهل الإيمان " رواهما أبو داود، وعن شداد بن أوس، عن النبي ﷺ قال " إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح " رواه النسائي، وعن عبد الله بن عامر : أنه قدم على أبي بكر الصديق برأس البطريق، فأنكر ذلك، فقال يا خليفة رسول الله ﷺ فإنهم يفعلون ذلك بنا، قال : فاستناب بفارس والروم؟ لا يحمل إلي رأس، وإنما يكفي الكتاب والخير، وقال الزهري : لم يحمل إلى النبي ﷺ رأس قط، وحمل إلى أبي بكر رأس فأنكره، وأول من حملت إليه الرؤوس عبد الله بن الزبير، ويكره رميها في المنجنيق، نص عليه أحمد، وإن فعلوا ذلك لمصلحة جاز؛ لما روينا أن عمرو بن العاص - حين حاصر - الإسكندرية ظفر أهلها برجل من المسلمين، فأخذوا رأسه، فجاء قومه عمرًا مغضبين، فقال لهم عمرو : خذوا رجلاً منهم فاقطعوا رأسه، فارموا به إليهم في المنجنيق، ففعلوا ذلك، فرمى أهل الإسكندرية رأس المسلم إلى قومه " .

والأدلة على النهي عن المثلة كثيرة متظافرة، من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية، وبيانها كما يلي :

الدليل الأول : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ ^(١) .

وجه الدلالة : أن الله تعالى أمر في هذه الآية الكريمة بالمعاملة بالمثل، ولكنه لا يجيز هذه المعاملة إذا كان فيها تشويه ومثلة، فلو أن الأعداء فعلوا ذلك بقتلنا فلا يجوز لنا أن نجاريهم في ذلك، فإنه لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة فيهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لئربين عليهم، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله تعالى الآية ^(٢) .

الدليل الثاني : حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " اغزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغزُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمُثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا " ^(٣) .

الدليل الثالث : حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَحُثُّنَا عَلَى الصَّدَقَةِ، وَيَنْهَانَا عَنِ الْمُثَلَةِ ^(٤) .

(١) سورة النحل ، الآية : ١٢٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب تفسير القرآن ، باب: ومن سورة النحل (٥ / ٣١٢٩) ، وأحمد في مسنده ح (٢١٢٦٧) ، والحاكم في المستدرک ح (٣٦٦٧) من طريق الفضل بن موسى عن عيسى بن عبيد عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال حدثني أبي بن كعب قال لما كان يوم أحد أصيب ...

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته، ح (١٧٣١) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب: في النهي عن المثلة ح (٢٦٦٧) ، وأحمد في مسنده ح (١٩٨٥٧) من طريق قتادة عن الحسن : أن هياج بن عمران أتى عمران بن حصين فقال إن أبي قد نذر لئن قدر على غلامه ليقطعن منه طابقاً أو ليقطعن يده فقال: قل لأبيك يكفر عن يمينه ولا يقطع منه طابقاً فإن رسول الله ﷺ كان يحث في خطبته على الصدقة وينهى عن المثلة، ثم أتى سمرة بن جندب فقال له مثل ذلك .

الدليل الرابع: حديث صفوان بن عسال رضي الله عنه قال : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ فَقَالَ: سِيرُوا بِاسْمِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تُغْدِرُوا وَلَا تُغْلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا " (١) .

وجه الدلالة : أن هذه الأحاديث والآثار صريحة في تحريم المثلة .

الدليل الخامس: حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إِنْ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَاتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذِيحَتَهُ ... " (٢) .

وجه الدلالة : أن هذا الحديث عام في وجوب الإحسان في كل قتل أو ذبح، والمثلة منافية للإحسان المأمور به، والله أعلم .

يضاف إلى ما سبق أن المثلة فيها تغييرٌ لخلق الله تعالى، فتحرم إن لم تكن على سبيل القصاص، كما أنه إذا مثل القاتل بالمقتول، فإنه يمثل بالقاتل كما مثل بالقتيل (٣) .

ولذلك قال فقهاء الحنفية والشافعية : إن المثلة التي عوقب بها العربيون منسوخة، وحديث العربيين عن أنس بن مالك رضي الله عنه وفيه: أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ اجْتَنَوْا الْمَدِينَةَ، فَرَخَّصَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْتُوا إِبِلَ الصَّدَقَةِ، فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا، فَكَتَلُوا

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الجهاد ، باب وصية الإمام ح (٢٨٥٧) ، وأحمد في مسنده ح (١٨١١٩) ، والنسائي في الكبرى ح (٨٨٣٧) ، والبيهقي في السنن (٢٧٦/١) ، من طريق أبي روق الهمداني أن أبا الغريف حدثهم ، قال : قال صفوان : بعثنا رسول الله ﷺ في سرية ... الحديث ، وإسناده ضعيف ؛ لضعف أبي الغريف عبيد الله بن خليفة ، التقريب ص (٣٧٠) لكن يشهد له حديث سليمان بن بريدة عن أبيه عند مسلم - وقد سبق - .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصيد والذبائح ، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل ح (١٩٥٥) ، والترمذي في جامعه ، كتاب الديات ، باب ما جاء في النهي عن المثلة ح (١٣٢٩) .

(٣) قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - في مجموع الفتاوى (٣١٤/٢٨) : " حتى الكفار إذا قتلناهم فإننا لا نمثل بهم بعد القتل، ولا نجدهم آذانهم وانوفهم، ولا نبقر بطونهم، إلا أن يكونوا فعلوا ذلك بنا، فنفعل بهم مثل ما فعلوا، والترك أفضل، كما قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ قيل : إنما نزلت لما مثل المشركون بحمزة وغيره من شهداء أحد ﷺ فقال النبي ﷺ " لئن أظفرن الله بهم لأمثلن بضعفي ما مثلوا بنا " فأنزل الله هذه الآية، وإن كانت قد نزلت قبل ذلك بمكة " وينظر: شرح الوقاية للمحبوبي، ورقة ٩٩، مخطوط مصور، أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني، ص (١١٤١) .

الرَّاعِيَّ وَاسْتَأْفُوا الذَّوْدَ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْ بِهَمْ، فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ، وَتَرَكَهُمْ بِالْحَرَّةِ يَعْضُونَ الْحِجَارَةَ ^(١)، حديث منسوخ .

والناسخ لذلك آية الحاربة، والأحاديث التي تنهى عن المثلة، وقد تقدم بعضها ^(٢)، وفي هذا يقول الكمال بن الهمام - رحمه الله - : " وقد اختلف العلماء في ذلك، فعندنا - يعني الحنفية - وعند الشافعي : منسوخة، كما ذكر قتادة في لفظ في الصحيحين، بعد رواية حديث العرينين، قال : فحدثني ابن سيرين أن ذلك كان قبل أن تزل الحدود، وفي لفظ للبيهقي : قال أنس : ما خطبنا رسول الله ﷺ بعد ذلك خطبة إلا نهي فيها عن المثلة ^(٣) .

وقيل : إنها ليست منسوخة، وإنما كانت هذه العقوبات قبل نزول آية المحاربة، وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ ^(٤) .

وقيل : إنها ليست منسوخة، وإنما هي في حق من مثل جزاء على جنايته .

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله - : " فأما التمثيل في القتل فلا يجوز إلا على وجه القصاص، وقد قال عمران بن حصين - رضي الله عنهما - : " كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَحُثُّنا عَلَى الصَّدَقَةِ، وَيَنْهَانَا عَنْ الْمُثَلَّةِ " ^(٥)، حتى الكفار إذا قتلناهم فإننا لا نمثل بهم بعد القتل، ولا نجدهم آذانهم وأنوفهم، ولا نبقر بطونهم، إلا أن يكونوا فعلوا ذلك بنا، فنفعل بهم مثل ما فعلوا، والترك أفضل، كما قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ^(٦) وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ ^(٦) قيل : إنها نزلت لما مثلن المشركون بحمزة وغيره من شهداء أحد ﷺ فقال النبي ﷺ : " لئن أظفرتني الله بهم لأمثلن

(١) أخرجه البخاري في الحدود، باب المحاربين من أهل الكفر ح (٦٨٠٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب

القسامة، باب حكم المحاربين والمتردين ح (١٦٧١) .

(٢) ينظر: الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار للحازمي، ص (٢٩٣-٢٩٧)، رسوخ الأخبار في منسوخ

الأخبار للجعبري ص (٢٤٩-٢٥١)، ناسخ الحديث ومنسوخه لابن شاهين ص (٤١٤-٤٢٤)، أصول

العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني، ص (١١٤١) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سورة المائدة، الآية : ٣٣ .

(٥) سبق تخريجه (٤٩٤) .

(٦) سورة النحل الآيتين : ١٢٦-١٢٧ .

الفصل الحادي عشر

حكم قسمة الغنائم ^(١) في دار الحرب

أباح الله ﷻ الغنيمة لهذه الأمة دون غيرها من الأمم السابقة، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، والإجماع .

فالدليل من الكتاب: قوله تعالى: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ أَمْنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤١) . ^(٢)

حيث دلت الآية بوضوح على مشروعية الغنيمة وإباحتها للغنمين، قال ابن كثير: " بين تعالى تفصيل ما شرعه مخصصاً لهذه الأمة الشريفة من بين سائر الأمم المتقدمة بإحلال الغنائم " ^(٣) .

وقوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٦٩) ^(٤) حيث أمر الله سبحانه عباده المؤمنين بالأكل من الغنيمة، وبين أنها حلال طيب لهم ، وهذا يدل على إباحتها لهم دون غيرهم، قال الشيخ ابن سعدي - رحمه الله - : " وهذا من لطفه تعالى بهذه الأمة أن أحل لها الغنائم ولم تحل لأمة قبلها " ^(٥) .

أما الدليل من السنة: فحديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا،

(١) الغنيمة في اللغة: الفوز والظفر والربح. ينظر: المعجم الوسيط (٦٦٤/٢) .

أما الغنيمة في الشرع فهي: كل ما أخذ من أموال الكفار المحاربين عنوةً، وقهراً، وحين القتال. ينظر: المبدع (٣٥٤/٣)، كشاف القناع (٧٧ / ٣) .

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣١٠/٢) .

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٩ .

(٥) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن (١٩١/٣) .

فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً " (١) .

والحديث ظاهر الدلالة في إباحة الغنيمة لهذه الأمة دون غيرها من الأمم؛ لقوله ﷺ: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي"، ثم ذكر منها إحلال الغنيمة، وما أحل له فهو لأُمته إلا ما خُصَّ به ﷺ .

أما الإجماع: فقد أجمعت الأمة على مشروعية الغنيمة (٢)، واتفق العلماء على جواز قسمة الغنيمة في دار الإسلام (٣) .

وكذلك اتفقوا على أنه يجوز للإمام أن يجتهد، ويبيع الغنيمة في دار الكفر الحربية إذا رأى أن المصلحة في ذلك (٤) .

لكنهم اختلفوا في حكم تقسيم الغنائم في دار الكفر الحربية على قولين:
القول الأول: عدم جواز قسمة الغنائم في دار الحرب، وهو قول فقهاء الحنفية ما عدا محمد بن الحسن (٥) .

القول الثاني: جواز قسمة الغنائم في دار الحرب، وهو مروى عن الأوزاعي وأبي ثور، وهو قول جمهور الفقهاء: المالكية، والشافعية، والحنابلة في الصحيح من المذهب، والظاهرية (٦) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التيمم، باب: قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴾ ح (٣٣٥) ،
ومسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح (٥٢١) .

(٢) ينظر: بدائع الصنائع (١٢١/٧)، المبدع (٣٥٤/٣) .

(٣) ينظر: المبسوط (١٨/١٠)، قوانين الأحكام الشرعية ص (١٦٨)، الأحكام السلطانية للماوردي ص (١٣٩)

(٤) ينظر: بدائع الصنائع (١٢١/٧)، الإفصاح لابن هبيرة (٤٣٤/٢) .

(٥) ينظر: المبسوط (١٨ - ١٧/١٠)، تبين الحقائق (١٢٥٠/٣)، فتح القدير (٢٢٤/٥ - ٢٢٥)، بدائع الصنائع (١٢١/٧)

(٦) ينظر: المدونة (١٢/٣)، المنتقى على الموطأ (١٧٦/٣)، الشرح الكبير للدردير (١٧٩/٢)، الأم

(٣٠٢/٧)، المهذب ٣١٣/٢، مغني المحتاج (١٠١/٣)، المغني (٤٢١/٨ ، ٤٤٧)، الإنصاف (١٦٣/٤)،

المبدع (٣٥٨/٣)، كشف القناع (٨٢/٣)، الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص (١٥٠)، المحلى (٣٤١/٧) .

الأدلة:

استدل أصحاب القول الأول الذين قالوا: بعدم جواز القسمة في دار الحرب بعدة أدلة من السنة:

الدليل الأول: حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -: " أن النبي ﷺ لم يقسم غنائم بدر إلا بعد مقدمه المدينة " ^(١)، فدل هذا الحديث على أن الغنيمة لا يجوز قسمتها في دار الحرب؛ لأن النبي ﷺ قسمها بعدما رجع إلى المدينة وهي دار الإسلام، ولم يقسمها في بدر؛ لأنها كانت دار حرب ^(٢)، ويدل على ذلك: أن الرسول ﷺ ضرب لعثمان وطلحة - رضي الله عنهما - بسهم، فقالا: وأجرنا، فقال: " وأجركما "، ولم يشهدا وقعة بدر ^(٣)، ويؤكد ذلك ما رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: إِنَّمَا تَغَيَّبَ عُثْمَانُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ مَرِيضَةً فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: " إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمُهُ " ^(٤)، وكذلك طلحة ﷺ بعثه رسول الله ﷺ ليتجسس على خبر عير قريش، فكان مشغولاً بعمل المسلمين، فجعله كمن شهد بدرًا؛ لأنه كان في طاعة الله ورسوله ﷺ ^(٥)، فإعطاء النبي ﷺ عثمان وطلحة - رضي الله عنهما - من غنيمة بدر مع كونهما لم يشهدا الغزوة دليل واضح على أن الغنيمة لم تقسم في بدر، وإنما قسمها النبي ﷺ في المدينة بعد رجوعه إليها من الغزوة .

الدليل الثاني: حديث أن النبي ﷺ نهي عن بيع الغنيمة في دار الحرب ^(٦) .

(١) لم أجد في الكتب المسندة، وذكره صاحب المبسوط (١٧/١٠) .

(٢) ينظر: المبسوط (١٧/١٠)، الرد على سير الأوزاعي ص (٩)، الخراج ص (١٧٦) .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤ / ٣٨٦٣) من طريق ابن قتيبة عن أبي عوانة عن عثمان بن عبد الله بن موهب عن عبد الله بن عمر . وليس فيه الضرب لطلحة .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فرض الخمس ، باب: إذا بعث الإمام رسولا في حاجة أو أمره بالمقام

ح (٣١٣٠) .

(٥) أخرجه البيهقي في سننه (٥٨/٩) ، من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير في تسمية من شهد بدرًا ولم يشهدا ، قال ابن عبد البر في التمهيد (٣٤٢/١٨) : " اجمع أهل السير والعلم أن النبي ﷺ ضرب لعثمان وطلحة وسعيد بن زيد بأسهمهم يوم بدر وهم غير حاضري القتال " .

(٦) ذكره الزيلعي في نصب الراية (٤٠٨/٣)، وقال: غريب جداً. وذكره السرخسي في المبسوط (١٨/١٠)، والموصلي في الاختيار (١٢٦/٤)، ولم أجد في كتب السنة المشهورة .

حيث دل على عدم جواز قسمة الغنيمة في دار الحرب؛ لأن فيها معنى البيع، لاشتمالها على المبادلة معنى، وبيع الغنيمة لا يجوز في دار الحرب فكذلك قسمتها^(١) .

الدليل الثالث: ما رواه الزهري ومكحول: عن رسول الله ﷺ أنه لم يقسم غنيمة في دار الحرب^(٢)، وهذا يدل على عدم جواز قسمتها في دار الحرب اقتداءً بفعله ﷺ؛ لأنه لا يقسمها إلا في دار الإسلام، ولم يقسمها في دار الحرب^(٣) .

الدليل الرابع: ما ذكره الكلبي: أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى بطن نخلة^(٤)، فأصاب هنالك عمرو بن الحضرمي، وأصاب أسيراً أو اثنين^(٥)، وأصاب ما كان معهم من أدم وزيت، وتجارة من تجارة أهل الطائف، فقدم بذلك إلى رسول الله ﷺ، ولم يقسم ذلك عبد الله بن جحش حتى قدم المدينة، وأنزل الله ﷻ في ذلك ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ النَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَثِيرٌ﴾^(٦)، فقبض رسول الله ﷺ المغنم وخمسه^(٧) .

وجه الدلالة من الحديث: أنه دل على عدم جواز قسمة الغنائم في دار الحرب؛ لأن عبد الله بن جحش رضي الله عنه لم يقسم الغنائم التي غنمها في طريقه إلا عندما قدم إلى المدينة دار الإسلام، ولم يقسمها في المكان الذي غنمها فيه؛ لأنه كان في دار حرب .

أما الحديث الذي ورد في النهي عن بيع الغنيمة قبل القسمة فأخرجه أحمد (٣٨٧/٢)، وأبو داود (٦٦٦/٣) كتاب البيوع، باب: تفسير العرايا، ونصه: عن أبي هريرة رضي الله عنه: " نهى رسول الله ﷺ عن بيع الغنائم حتى تقسم " .

(١) ينظر: تبين الحقائق (٢٥٠/٣)، فتح القدير (٢٢٥/٤)، البحر الرائق (٩٠/٥)، الغرة المنيفة ص (١٧٦)

(٢) ذكره أبو يوسف في الرد على سير الأوزاعي ص (١٠)، ولم أجده في كتب السنن المعروفة .

(٣) الرد على سير الأوزاعي ص (١٠)، الغرة المنيفة ص (١٧٦) .

(٤) بطن نخلة: قرية من قرى المدينة . ينظر: معجم البلدان (٤٥٠/١) .

(٥) الصحيح أنه أصاب أسيرين وهما: الحكم بن كيسان، وعثمان بن عبد الله، كما ذكر ذلك البيهقي في السنن

(٥٨/٩)، وابن إسحاق في السيرة النبوية (٦٠٣/١ - ٦٠٤) .

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢١٧ .

(٧) أخرجه البيهقي في سننه (٥٨/٩) مطولاً من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن

عروة بن الزبير قال : بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش إلى نخلة ...

الدليل الخامس: ما رواه مجالد بن سعيد عن الشعبي: أن عمر رضي الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: " قد أمددتك بقوم، فمن أتاك منهم قبل أن تتفقاً ^(١) القتلى فأشركه في الغنيمة " ^(٢) .

وجه الدلالة من الأثر: أن عمر رضي الله عنه كتب إلى سعد أن يشرك المدد في الغنيمة، وإشراكهم دليل على أن الغنيمة لا تحرز في أرض الحرب ^(٣) .

أما الجمهور القائلين بجواز قسمة الغنائم في دار الحرب : استدلووا من السنة: بفعله رضي الله عنه حيث كان يقسم الغنائم في دار الحرب قبل رجوعه إلى دار الإسلام، ومن ذلك ما كان في غزوة بني المصطلق، وحنين، وخيبر ^(٤) ، كما في الأحاديث التالية :

الحديث الأول: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ فَأَصَبْنَا سَبِيًّا ^(٥) مِنْ سَبْيِ الْعَرَبِ، فَاشْتَهَيْنَا النِّسَاءَ، فَاشْتَدَّتْ عَلَيْنَا الْعُزْبَةُ، وَأَحْبَبْنَا الْعَزْلَ ^(٦) ، فَسَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: " مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا، مَا مِنْ نَسَمَةٍ كَائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَهِيَ كَائِنَةٌ " ^(٧) .

(١) تتفقاً: الفقا عبارة عن التميز والتشقق، ومعناه: ما لم يتميز قتلى المشركين من قتلى المسلمين بالدفن، أو ما لم يتفقاً القتلى بتطاول الزمان. ينظر: المصباح المنير (٤٧٩/٢) ، الرد على الأوزاعي ص(١١) .

(٢) أخرجه البيهقي (٥٠/٩)، عن أبي عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالوا ثنا أبو العباس أنبا الربيع قال : قال الشافعي حكاية عن أبي يوسف عن المجالد عن عامر وزياد بن علاقة أن عمر رضي الله عنه ، وهو ضعيف لأنه مروي على سبيل الحكاية .

(٣) ينظر: فقه الأوزاعي (٥١٩/٢) .

(٤) ينظر: الأم (٣٢٣/٧)، المنتقى شرح الموطأ (١٧٦/٣)، المغني (٤٢١/٨ ، ٤٢٢) .

(٥) السبي: الأسرى من النساء والأطفال، ينظر: المعجم الوسيط (٤١٥/١) .

(٦) العزل هو: الإبعاد والتنحي. ينظر: المصباح المنير (٤٠٧/٢)، المعجم الوسيط (٥٩٩/٢)، والمراد به في الحديث: إنزال مني الرجل خارج فرج المرأة .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب: غزوة بني المصطلق ح (٤١٣٨) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب النكاح ، حكم العزل ح (١٤٣٨) .

وجه الدلالة من هذا الحديث: أن الصحابة رضي الله عنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن العزل عند وطاء السبايا من غنائم غزوة بني المصطلق، فلم ينكر الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم ذلك، وهذا دليل على أن الغنائم قد قسمت في دار الحرب .

الحديث الثاني: حديث أنس رضي الله عنه قال: " اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ، حيث قسم غنائم حنين ^(١) .

والحديث صريح الدلالة في جواز قسمة الغنائم في دار الحرب؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قسم غنائم حنين قبل رجوعه إلى دار الإسلام ^(٢)، قال البيهقي بعد أن ذكر الحديث: " وفي هذا دلالة على أنه صلى الله عليه وسلم قسم غنائم حنين بها " ^(٣) .

الدليل الثالث: حديث أنس رضي الله عنه قال: " صلى النبي صلى الله عليه وسلم الصبح قريباً من خير بغلس ^(٤) بغلس ^(٤) ثم قال: " الله أكبر، خربت خير إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، المنذرين، فخرجوا يسعون في السكك فقتل النبي صلى الله عليه وسلم المقاتلة، وسبى الذرية، وكان في السبي صفيّة فصارت إلى دحية الكلبي، ثم صارت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عتقها صداقها . ^(٥)

وجه الدلالة من الحديث: أنه دل على أن النبي صلى الله عليه وسلم قسم غنائم خير في طريقه قبل رجوعه إلى المدينة دار الإسلام، فوقوع صفيّة في سهم دحية ثم صيرورتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجه بها في الطريق بين خير والمدينة، دليل على أن الغنائم قسمت في دار الحرب قبل الوصول بها إلى دار الإسلام ^(٦) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب من قسم الغنيمة في غزوه وسفره ح (٣٠٦٧) ،

ومسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب بيان عدد عمر النبي صلى الله عليه وسلم ح (١٢٥٣) .

(٢) ينظر: فتح الباري (١٨٢/٦) .

(٣) السنن الكبرى (٥٦/٩) .

(٤) غلس: جمع أغلاس، وهو ظلمة آخر الليل. ينظر: معجم لغة الفقهاء ص (٣٣٣) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب: غزوة خير ، ح (٤٢٠٠) ، ومسلم في صحيحه ،

كتاب النكاح ، باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها ح (١٣٦٥) .

(٦) ينظر: فقه الأوزاعي (٥١٧/٢) .

الحديث الرابع: حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ أَنْ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَقَسَمَ لَنَا وَلَمْ يَقْسَمْ لِأَحَدٍ لَمْ يَشْهَدْ الْفَتْحَ غَيْرَنَا ^(١) .

وجه الدلالة من الحديث أنه دل على أن النبي ﷺ قسم غنائم خيبر فيها، وقد كانت دار حرب؛ لأنه قسم لأبي موسى رضي الله عنه ومن معه، ولم يقسم لمن لم يشهد الغزوة، وقسمه غنائم خيبر فيها دليل على جواز قسمة الغنائم في دار الحرب .

الرأي المختار :

بعد عرض آراء العلماء في قسمة الغنيمة في دار الحرب وأدلتهم ومناقشتها يظهر أن الأقرب جواز قسمة الغنائم في دار الحرب، وهو ما ذهب إليه الجمهور، لما يأتي:

أولاً: لقوة الأدلة التي استدلو بها، ومن ذلك قسمته ﷺ غنائم بدر وبني المصطلق وحنين وخيبر قبل وصول المدينة ، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة السابقة، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " لَوْ لَا آخِرُ الْمُسْلِمِينَ مَا فَتَحَتْ قَرْيَةً إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ أَهْلِهَا، كَمَا قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْبَرَ " ^(٢)، وقال الإمام الأوزاعي - رحمه الله -: " لم يقفل رسول الله ﷺ من غزوة أصاب فيها مغنماً إلا خمساً وقسمه قبل أن يقفل " ^(٣)، وقال الإمام الشافعي - رحمه الله -: " ما علمت للرسول ﷺ سرية قفلت من موضعها حتى تقسم ما ظهرت عليه "، وقال: " إن أهل المغازي لا يختلفون في أن رسول الله ﷺ قسم غير مغنم في بلاد الحرب " ^(٤)، وقال الإمام الباجي - رحمه الله -: " لم يزل الناس من لدن النبي ﷺ إلى زمن عمر وعثمان والخلفاء كلهم وجيوشهم في البر والبحر ما قسموا غنيمة قط إلا حيث غنموها، وهذا معروف عند أهل السير والمغازي " ^(٥)، وقال الخرشي -

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ح (٤٢٣٣) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل جعفر بن أبي طالب ح (٢٥٠٣) ، واللفظ للبخاري .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الغنيمة، باب الغنيمة لمن شهد الوقعة ح (٣١٢٥) ، وأبو داود في سننه ، كتاب الخراج ، باب ما جاء في حكم أرض خيبر ح (٣٠٢٠) من طريق زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه : ...

(٣) الرد على سير الأوزاعي ص (١) .

(٤) الأم (٣٣٥/٧) .

(٥) المنتقى شرح الموطأ (١٧٦/٣) .

رحمه الله - : " السُّنة الماضية التي فعلها النبي ﷺ والعمل الذي مضى عليه السلف أن الإمام يقسم الغنيمة في أرض العدو " (١) .

وأقوال العلماء هذه تؤكد لنا أن الثابت من فعل النبي ﷺ وأصحابه قسمة الغنيمة في دار الحرب.

ثانياً: لأن الأدلة التي استدلت بها الحنفية على عدم جواز قسمة الغنيمة في دار الحرب منها ما هو ضعيف ومنها ما هو صحيح، فالضعيف منها يسقط به الاستدلال، والصحيح منها لا دلالة لهم فيه، بل غاية ما دل عليه أن النبي ﷺ قسم الغنيمة في دار الإسلام، وهذا لا يمنع من قسمتها في دار الحرب، ويمكن حمله على أن النبي ﷺ أخر القسمة إلى دار الإسلام؛ لأن المصلحة تقتضي التأخير، وهذا لا خلاف فيه بين أهل العلم.

ثالثاً: أنه قد ينتج عن تأخيرها إلى دار الإسلام الحرج والمشقة؛ لأن المجاهدين قد لا يستطيعون حملها وهم في حاجة إليها، وهذا مما يوقعهم في الحرج والمشقة، وهما مرفوعان عن هذه الأمة بكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (٢)، وقال ﷺ: " إِنْ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ، إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ " (٣) .

رابعاً: أن الغنيمة بمجرد انتهاء القتال وهزيمة الأعداء وتفرق شملهم يتم الاستيلاء عليها، فتتعجل متى أحرزت؛ لأن الغنيمة حق من حقوق المجاهدين، وتعجيل الحق لصاحبه أولى من تأخيرها، حتى أن بعض الفقهاء كره تأخير قسمتها إلى دار الإسلام، قال النووي: " ويستحب في دار الحرب، ويكره تأخيرها إلى دار الإسلام من غير عذر " (٤) .

خامساً: قسمة الغنيمة في دار الحرب أنكى للعدو، وأطيب لقلوب المجاهدين، وأحفظ للغنيمة؛ لأنها ربما تعرضت للضياع أثناء حملها إلى دار الإسلام، وبناءً على هذا

(١) الخرشي شرح مختصر خليل (١٣٦/٣) .

(٢) سورة الحج الآية: ٧٨ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ح (٣٩) ، من حديث أبي هريرة ؓ .

(٤) ينظر: روضة الطالبين (٣٧٦/٦) .

الاختيار يتضح لنا أن اختلاف الدار لا أثر له في قسمة الغنيمة في دار الكفر الحربية، فتجوز قسمتها في دار الكفر كما تجوز قسمتها في دار الإسلام .

❖❖❖❖❖❖❖❖ ❖❖❖❖❖❖❖❖❖

الباب الثامن :

المعاهدات والصلح مع غير المسلمين

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مشروعية المعاهدات في الإسلام .

الفصل الثاني : حكم التزام المسلمين بمعاهداتهم مع غير المسلمين.

الفصل الثالث : متى تنتقض العهود مع غير المسلمين ؟

الفصل الأول

مشروعية المعاهدات في الإسلام

مشروعية المعاهدات مع غير المسلمين مبني على تحقيق مصلحة المسلمين والحفاظ على عزتهم وكرامتهم التي تتحقق من خلال القيام بنشر دينهم ، ولذلك يُميز بين حالتين يمنع في إحداها المعاهدات ويباح في الأخرى ، وإليك تفصيل هاتين الحالتين :

الحالة الأولى: إذا كان في المسلمين قوة وعزة، وليسوا بحاجة إلى المودعة فلا تشرع لهم ، خاصة إذا كان فيها إضعاف لجناب المسلمين ؛ لقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) ، ويقول : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَِّ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَ أَعْمَلَكُمْ ﴾ (٢) .

الحال الثانية : إن لم يكن بالمسلمين قوة على المشركين ، فلا بأس عندئذٍ بالمودعة ؛ لأن المودعة خير للمسلمين في هذه الحالة (٣) ، ويدل على مشروعية المودعة في هذه الحال ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ووقائع السيرة :

١ - فمن القرآن الكريم ، قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْعَلْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (٤) .
ففي الآية الكريمة دلالة على مشروعية المصالحة والمودعة إذا طلبها المشركون ومالوا إليها، وإذا كان في الصلح مصلحة فلا بأس أن يتدبئ به المسلمون إذا احتاجوا إليه (٥) .
وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ﴾ (٦) ،
﴿ (٦) ، والآية الكريمة في بيان ما يترتب على قتل رجل من الكفار المودعين الذين بيننا

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٣٩ .

(٢) سورة محمد ، الآية : ٣٥ .

(٣) ينظر: المبسوط (٨٦/١٠) ، تبين الحقائق (٢٤٥/٣ - ٢٤٦) .

(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٦١ .

(٥) ينظر : تفسير الطبري (٤٠/١٤) ، تفسير البغوي (٣٧٣/٣) ، أحكام القرآن للحصص (٦٩/٣ - ٧٠

فتح الباري (٢٧٥/٦) ، عمدة القارئ (٩٥/١٥) .

(٦) سورة النساء ، الآية : ٩٢ .

وبينهم عهد ، ففيها دليل على مشروعية الدخول في المودعة والمعاهدة التي سماها الله تعالى في هذه الآية ميثاقاً ؛ لأنها عهد وعقد مؤكد ^(١) .

أما أدلة السنة النبوية التي تدل على مشروعية المعاهدات، فكثيرة منها:

الدليل الأول: ما رواه محمد بن كعب القرظي : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وادعته يهودها كلها ، وكتب بينه وبينها كتاباً ، وألحق كل قوم بحلفائهم ، وكان فيما شرط عليهم ألا يظاهروا عليه عدواً ، ثم لما قدم المدينة بعد وقعت بدر بعت يهود ، وقطعت ما كان بينها وبين رسول الله ﷺ من العهد ، فأرسل إليهم فجمعهم وقال : " يا معشر يهود أسلموا تسلموا ، فوالله إنكم لتعلمون أني رسول الله " ، وفي رواية : " أسلموا قبل أن يوقع الله بينكم مثل وقعة قريش ببدر " ^(٢) .

فصار هذا أصلاً في جواز المودعة عند ضعف حال المسلمين ^(٣) .

الدليل الثاني: ما رواه الزهري: أن النبي ﷺ أرسل في غزوة الخندق إلى عيينة بن حصن ، وفي رواية: عيينة والحارث بن عوف وهما قائدا غطفان : " أرايت لو جعلت لك ثلث ثمار الأنصار ، أترجع بمن معك من غطفان وتحذل بين الأحزاب ؟ " ^(٤) .

(١) ينظر : تفسير البغوي (٢٦٣/٥) ، تفسير القرطبي (٣٢٥/٥) ، أحكام القرآن للحصاص (٢٣٩/٢) ، أحكام القرآن لابن العربي (٤٧٧/١) .

(٢) أخرج القطعة الأولى في مودعة يهود كلها : البلاذري في أنساب الأشراف (٢٨٦/١) ، وذكرها الشافعي في الأم (١٢٩/٤) ، وأبو عبيد في الأموال ص (٢٣٢) ، والطبري في التاريخ (٤٧٩/٢) ، وراجع بالتفصيل تخريجا لفقرات المعاهدة في مجموعة الوثائق السياسية د . محمد حميد الله ص (٥٧ - ٥٩) ، المجتمع النبوي في عهد النبوة د / أكرم ضياء العمري ، ص (١٠٧) وما بعدها .

وأما بغى يهود ثم ما تلاه من إخراجهم من المدينة فهو ثابت في الصحيحين ، أخرجه البخاري ، في صحيحه ، في كتاب الجزية ، باب : إخراج اليهود من جزيرة العرب ح (٣١٦٧) ، ومسلم في صحيحه ، في كتاب الجهاد والسير ، باب إجلاء اليهود من الحجاز ح (١٧٦٥) .

(٣) شرح السير الكبير للسرخسي ، الموضع السابق .

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٧٣/٢) ، وابن إسحاق في السيرة (٢٢٣/٢) ، وأبو يوسف في الخراج ص (٢٢٥) ، وعبد الرزاق في المصنف (٣٦٧/٥ - ٣٦٨) ، وأبو عبيد في الأموال ص (٨٩ - ١٩٠) ، وابن زنجويه في الأموال (٣٩٩/١) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٤٣٠/٤ - ٤٣١) ، والواقدي في المغازي (٤٧٧/٢ - ٤٧٩) من طرق عن الزهري مرسلًا .

وينظر : التلخيص الحبير (١٣١/٤) ، مجموعة الوثائق السياسية ص (٧٤ - ٧٥) .

وفي رواية : أرسل عيينة بن حصن إلى النبي ﷺ : تعطينا ثمر المدينة هذه السنة ونرجع عنك ، ونخلي بينك وبين قومك ؟ فقال رسول الله ﷺ : " لا " ، قال : فنصف الثمر ؟ فقال : " نعم " ، ثم أرسل رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد وهما سيدا الحيين - الأوس والخزرج - فاستشارهما ، وقد حضر عيينة وقال : اكتب بيننا كتاباً ، فدعا رسول الله ﷺ بصحيفة ودواة ليكتب بينهم - وفي رواية : فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المروضة - فقالا : يا رسول الله أوحى إليك في هذا ؟ فقال : " لا " ، ولكني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، فقلت أردهم عنكم " ، فقالا : يا رسول الله ، والله إنهم ليأكلون العلهز^(١) في الجاهلية من الجهد ، وما طمعوا منّا قط أن يأخذوا ثمرة إلا بشراء أو قرى ، فحين أكرمنا الله وهدانا بك وأيدنا بك نعطي الدنية ؟ لا نعطيهم إلا السيف ، فشق رسول الله ﷺ الصحيفة وقال : " اذهبوا ، لا نعطيكم إلا السيف " ^(٢) .

الدليل الثالث: ما رواه المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم: أن النبي ﷺ صالح أهل مكة عام الحديبية على أن وضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، وعلى أن بينهم عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلال^(٣) ، وعلى أن من جاءه منهم مسلماً ردّه إليهم ، ومن جاءهم من عنده لا يرثونه إليه^(٤) .

(١) العلهز : بكسر العين ، القراد الضخم ، وطعام من الدم والوبر كان يُتخذ في أيام المجاعة . ينظر: النهاية لابن الأثير (٥٦٣/٣).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٧٠) ح (١٢٠٣٨) من طريق علي بن الحسين قال حدثني أبي عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٥/٧) : " فيه علي بن الحسين وثقه النسائي وغيره ، وضعفه أبو حاتم " .

(٣) العيبة هي: ما يوضع فيه المتاع ، والمكفوفة : المشدودة بشرحها ، والمراد : أن بيننا صدوراً سليمة وعقائد صحيحة في المحافظة على عهد الذي عقدناه بيننا . وقوله : " لا إسلال ولا إغلال " أي : لا سرقة ولا خيانة ، والمراد : يأمن بعضنا بعضاً في نفسه وماله . ينظر : معالم السنن للخطابي (٨١/٤) ، المجازات النبوية للشريف الرضي ص (١٠٢ - ١٠٣) .

(٤) حديث صلح الحديبية أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ح (٢٧٣٤) ، ومسلم في الجهاد والسير (١٤٠٩/٣ - ١٤١٣) مختصراً ، ورواه الإمام أحمد في المسند (٣٢٢/٤ - ٣٢٦) مطولاً ، وذكر المدة عشر سنين : ابن إسحاق في السيرة (٣١٦/٢ - ٣١٧)

فهذه الأدلة تدل على مشروعية المعاهدات مع غير المسلمين إذا اشتملت على مصلحة تعود على الإسلام والمسلمين .



بإسناد رجاله ثقات ، وقد صرح فيه بالسماع ، وأبو داود في الجهاد ، باب الصلح (٨٠/٤ - ٨١) ، وجزم بهذه المدة ابن سعد في الطبقات (٩٧/٢) ، والبيهقي (٢٢٢/٩) ، والإمام أحمد في الموضع السابق .
ووقع في " مغازي ابن عائد " من حديث ابن عباس وغيره أن المدة كانت سنتين ، وكذلك عند موسى بن عقبة من حديث عروة مرسلاً والبيهقي في الموضع السابق . ويجمع بينهما : بأن ما قاله ابن إسحاق هي المدة التي وقع عليها الصلح والذي ذكره ابن عائد وغيره هي المدة التي انتهى إليها أمر الصلح حتى وقع نقضه على يد قريش . ينظر تحقيق المسند (٣٢٢/٤ - ٣٢٦) .

الفصل الثاني

حكم التزام المسلمين بمعاهداتهم مع غير المسلمين

نقض المعاهدات ليس من شأن المسلم أصلاً ، وهو دليل على عدم استقرار الدين في القلب ، قال الله تعالى واصفاً المؤمنين : ﴿ الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ ^(٢) ، وعن أنس رضي الله عنه قال : مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَّا قَالَ : " لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ " ^(٣) ، وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : " لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ " ^(٤) ، من هذا يظهر أن الإسلام اعتبر أن الشأن في العهود هو الوفاء لا الغدر ، والغدر من علامات النفاق ، قال رضي الله عنه : " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا : إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ " ^(٥) .

لهذا لم يلحظ في تاريخ المسلمين لاسيما إبان مجدهم أنهم نكثوا العهود والمواثيق مع غير المسلمين ، قال النووي : " اتفقوا على جواز خداع الكفار في الحرب ، كيفما أمكن إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز " ^(٦) .

(١) سورة الرعد ، الآية : ٢٠ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٧٧ .

(٣) أخرجه أحمد (١٣٥/٣) ح (١٢٤٠٦) ، والبيهقي في السنن (٢٣١/٩) ، من طريق أبي هلال عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجزية ، باب إثم الغادر للبر والفاجر ح (٣١٨٨) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب تحريم الغدر ح (١٧٣٥) ، وأخرجاه من حديث عبد الله بن مسعود : البخاري في صحيحه ، كتاب الجزية ، باب إثم الغادر ح (٣١٨٧) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب تحريم الغدر ح (١٧٣٦) ، وأخرجاه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : البخاري ح (٣١٨٧) ، ومسلم ح (١٧٣٧) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق ح (٣٤) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب

الإيمان ن باب بيان خصال المنافق ح (٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (٤٥/١٢) .

في ضوء هذا اعتبر مبدأ وجوب الوفاء بالعهد أمر متقرر في الإسلام غير أنه ليس معنى الوفاء بالعهود هو ترك مراقبة أحوال العدو، بل لابد من الحذر، قال تعالى: ﴿حُدُوا حِذْرَكُمْ﴾^(١) ، لأن العدو في الغالب لا يطمأن له كما قال تعالى : ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾^(٢) ، وقال أيضاً : ﴿فَقَتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾^(٣) ، وقال تعالى : ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾^(٤) .

وفي السيرة النبوية أمثلة عملية كثيرة تؤكد أهمية الوفاء بالمعاهدات في الإسلام ؛ لأن الإسلام دين الأمان، والأمان هو ما يصبو إليه العالم في الوقت الحاضر؛ لتوفير السلم الدائم، فالمعاهدات هي الوسيلة الفعالة لضمان السلم وتدعيم الأمن .

وقد نفذ ذلك المسلمون عملياً ، فقد كانوا يدعون أعداءهم إلى عقد المعاهدات إذا أبوا الدخول في الإسلام؛ لأن التعاقد طريق ميسور إذا قورن بطلب قبول الإسلام الذي قد يشق على النفس لأول وهلة .

ولهذا قال النبي ﷺ في شأن حلف الفضول الإنساني الذي حضره وهو شاب ، حينما عقده رؤساء القبائل في الجاهلية لنصرة المظلوم وحماية زائري مكة وحجاج البيت الحرام ، قال : " لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو ادعى به في الإسلام لأجبت " ^(٥) ، وقال ﷺ : " أَوْفُوا بِحِلْفِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُهُ - يَعْنِي الْإِسْلَامَ - إِلَّا شِدَّةً ، وَلَا تُحْدِثُوا حِلْفًا فِي الْإِسْلَامِ " ^(٦) .

(١) سورة النساء ، الآية : ١٠٢ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٧ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ١٢ .

(٤) سورة النساء الآية : ١٠٢ .

(٥) أخرجه البيهقي (٣٦٧/٦) من طريق ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ عن طلحة بن عبد الله بن عوف أن رسول الله ﷺ قال : ... وينظر : سيرة ابن هشام (١ / ١٣٤) ، البداية والنهاية (٢ / ٢٩١) .

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب السير عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في الحلف (١٥٨٥). عن حميد بن بن مسعدة حدثنا يزيد بن زريع ن حدثنا حسين المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن رسول الله ﷺ قال في خطبته .. وذكر الحديث ، قال الترمذي: " حديث حسن صحيح " .

وكانت بيعتنا العقبة الأولى والثانية بين الرسول ﷺ وأهل المدينة في بدء الدعوة سنة (١٢) - (١٣) من النبوة هما نواة الدولة الإسلامية بعد الهجرة ، فبهاتين المعاهدتين تمهد الطريق لنشر الدعوة في خارج مكة ^(١) .

وبعد أن هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة كتب عهداً بين المهاجرين والأنصار ، وفق فيه بين الأوس والخزرج على أساس حسن الجوار وتنظيم العلاقات الاقتصادية ، وتعاهد أيضاً مع اليهود ، فكانت هذه المعاهدة تعتبر أول معاهدة سياسية بالمعنى الصحيح بين المسلمين وقبائل المدينة واليهود، حرم فيها الاعتداء بين أطراف المعاهدة ، والتزموا بالتعاون والتضامن لدرء العدوان الخارجي والتحالف الدفاعي بدليل ما جاء في نصها : " وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، أموالهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ ^(٢) إلا نفسه وأهل بيته ... " ، ثم ذكر ذلك بالنسبة لبقية اليهود ^(٣) ، وهكذا في هذا العصر لا مانع أن يتعاهد المسلمون مع غيرهم على وفق هذه الاتفاقية التي تقرر حرمة الإنسان والحياة والمال .

وقد كان أول عمل سياسي عمله النبي ﷺ بعد الهجرة أن عاهد القبائل التي سكنت ما بين المدينة وساحل البحر مثل: جهينة وبني ضمرة وغفار ^(٤) ، وخرج النبي ﷺ زمن الحديبية في السنة السادسة للهجرة، حتى إذا كان ببعض الطريق قال : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا ^(٥) " ثم تم صلح الحديبية بين الرسول ﷺ وقريش ، فاعتبر هذا الصلح نموذجاً للمصالحات والمعاهدات، وهو دليل قاطع على مؤثرة النبي ﷺ السلم ، حيث قرّر أنه لا قتال ولا حرب.

(١) ينظر: سيرة ابن هشام (١/ ٤٣١ ، ٤٣٨) ، الحجة البالغة للدهلوي (٢/ ١٦٩) ، البداية والنهاية (٣/ ١٥٠ - ١٥٨) .

(٢) أي : يهلك ، ينظر: اللسان ، وتغ ، (٤٥٨/٨) .

(٣) ينظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٠٥) ، الأموال ، ص (٢٠٤) . وسأتي نص المعاهدة والكلام عليها.

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٥٩١) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشروط ، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ، ح (٢٧٣٤) .

وقد سار خلفاء النبي ﷺ على سيرته في عقد المعاهدات بحسب الحالة القائمة بينهم وبين أعدائهم، فلم يكن بينهم صلح دائم؛ لعدم توفر الاطمئنان من الطرفين، ولا استمرار الحروب ومتابعة الاستعدادات .

أما اليوم فمن الممكن القول بمشروعية معاهدة سلم طويلة بين المسلمين وغيرهم ، ما دام أن المقصد الأصلي للدعوة الإسلامية يتحقق في مجاله الطبيعي عن طريق الدعاة والمرشدين، لهذا نجد الفقهاء بعد عصر الاجتهاد في دوره الذهبي وبعد تحقق الاستقرار والأمان يقررون بأن الأصل في علاقة المسلمين غيرهم هو السلم ، وأنه يصح عقد صلح دائم ، بدليل قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعَارَ لَكُمْ فَلَمْ يُقَيِّلْكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَكِينًا ﴾^(١) ، وأيضاً فإن النبي ﷺ لم يؤقت عقد الصلح أو الهدنة بينه وبين اليهود لما قدم المدينة وإنما أطلقه من غير توقيت ما داموا كافين عنه غير محاربين له^(٢) ، وسبق بحث هذه المسألة في الفصل الأول من الباب السابع^(٣) .

ومما تقدم من الأدلة السابقة يتبين أنه لا مانع في الإسلام من أن تعقد اتفاقات متنوعة مع الأمم الأخرى ؛ لصيانة السلم والوفاء بالعهود، ولا مانع من المشاركة في أي ميثاق ما دام ميثاق يهدف إلى تحقيق الأمن والطمأنينة ، وتوفير الحريات العامة ، وإقامة مبادئ الحق والعدل والمساواة بين الناس ، وذلك يشبه حلف الفضول الذي أقره الإسلام وأجاز الارتباط به^(٤) .

إذاً فالمعاهدات أصلٌ عام ، مشروع في الإسلام حتى مع المشركين^(٥) ، وهي مطلوبة مطلوبة لتنظيم العلاقات السياسية بين المسلمين وغيرهم بناءً على الأصل الذي دعا إليه القرآن الكريم من أن العلاقات الإنسانية قائمة على المودة والتعارف والتآلف ، بل إن

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٠ .

(٢) زاد المعاد لابن القيم (٢ / ٧٤) .

(٣) ينظر : ص (٤٢٨) .

(٤) ينظر: الرسالة الخالدة للأستاذ : عبد الرحمن عزام ، ص (٨٠) .

(٥) ينظر: جاء في حاشية الطحطاوي على الدر المختار (٢ / ٤٣٧) : " شرط إباحة الجهاد شيئان : أحدهما : امتناع العدو عن قبول ما دعي إليه من الدين الحق ، وعدم الأمان ، وعدم العهد بيننا وبينه ، فالمعاهدات إذاً هي الأصل ، والجهاد شرع على خلاف الأصل " .

المعاهدات تقصد أصلاً إذا كان فيها نشر دعوة الإسلام أو الدخول في السلم بمعاهدة صلح ، فقد كان في صلح الحديبية مصالح عظيمة ، فإن الناس لما عرفوا المسلمين انكشفت محاسن الإسلام للذين كانوا بعداء عنه، لا يعقلون محاسنه إلا بعد أن قاربوا المسلمين وخالطوهم^(١) .

قال الشافعي - رحمه الله - : " كانت الهدنة بين الرسول ﷺ وقريش عشر سنين ، ونزل عليه في سفره ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾^(٢) ، وقال ابن شهاب الزهري - رحمه الله - : " فما كان في الإسلام فتح أعظم منه ... فلقد أسلم في سنين من تلك الهدنة أكثر ممن أسلم قبل ذلك " ^(٣) .

هذا يدلنا على أن الإسلام يهدف إلى نشر دعوته أصالة بطريق سلمي لا بطريق القتال ، فإنه لا يلجأ إليه إلا عند تعذر الوصول إلى نشر العقيدة بالوسائل السليمة . فالحرب إذاً ضرورة في ذاتها ، والضرورة تقدر بقدرها ، قال ﷺ : " لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ ، فَإِذَا لَقِيتُمْهُمْ فَأَصْبِرُوا " ^(٤) ، وهذا يدل على أن الحرب ضرورة ، وأن الإسلام دين أمن وسلام يكره إراقة الدماء، وإزهاق الأرواح ، والمعاهدات أصل عام ، تنظم العلاقات الحرة بين المسلمين وغيرهم بحسب ما تقتضيه مصلحة السلم العام التي هي هدف من أهداف الإسلام .



(١) ينظر: المدخل للفقهاء الإسلاميين ، للأستاذ : محمد سلام مذكور ، ص (٥٩) .

(٢) سورة الفتح ، الآية : ١ .

(٣) الأم (٤/ ١١٠) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد ، باب: كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس ح (٢٩٦٦)، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب: كراهية تمني لقاء العدو ح (١٧٤١) من حديث أبي هريرة ؓ .

الفصل الثالث

متى تنتقض العهود مع غير المسلمين ؟

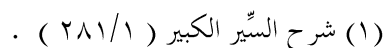
تنتقض العهود مع غير المسلمين إذا نكثوا أو خانوا ، وأخلّوا بالشروط التي بينهم وبين المسلمين ، وهذا ما قرره جماعة من أهل العلم، استدلالاً بفعل النبي ﷺ كما في حديث موسى بن جبير أن النبي ﷺ صالح ابنَي أبي الحقيق - من يهود خيبر - على حقن دمائهم ، ويخرجون من خيبر وأرضها ... وعلى الصفراء والبيضاء والحلقة .. قال : " وبرئت منكم الذمة إن كنتموني شيئاً " ، فصالحوه على ذلك ، ثم كتم ابن أبي الحقيق آنية من فضة ، ومالاً كثيراً، فقال النبي ﷺ : " أفأريتم إن وجدته عندكم أقتلكم ؟ " - وفي رواية : " برئت منكما ذمة الله وذمة رسوله إن كان عندكما ؟ " - قالوا : نعم . قال : " فكل ما أخذت من أموالكم فهو حلال لي ، ولا ذمة لكما ؟ " قالوا : نعم . فأشهد عليهما أبا بكر ، وعمر ، وعلياً ، والزبير ، وعشرة من يهود ، ثم أمر النبي ﷺ الزبير بن العوام أن يحفر خربة كان يتردد عليها كنانة بن أبي الحقيق كل غداة ، فوجد ذلك الكثر والمال ^(١) .

وموقف النبي ﷺ من بني قريظة حينما نكثوا دليل على بطلان العهد مع من نكثه ، وقد أنزلهم النبي ﷺ على حكم سعد بن معاذ كما في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ : " أَنْ أَنَاسًا نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ ، فَلَمَّا بَلَغَ قَرِيْبًا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " قُومُوا إِلَى خَيْرِكُمْ أَوْ سَيِّدِكُمْ " ، فَقَالَ : " يَا سَعْدُ إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ " قَالَ : فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ ، وَتُسَبَى ذَرَارِيُّهُمْ ، قَالَ : " حَكَمْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ أَوْ بِحُكْمِ " ^(٢) .

(١) أخرج القصة أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة، باب: ما جاء في حكم أرض خيبر ، ح (٣٠٠٦) ، وأبو عبيد في الأموال ص (١٩٥) ، والبيهقي في السنن (١٣٧/٩) ، وابن سعد في الطبقات (١١٢/٢) ، وابن هشام في السيرة (٣٢٦/٢ - ٢٣٧) ، والطبري في تاريخه (١٤/٣ - ١٥) ، من طريق نافع عن ابن عمر ﷺ بألفاظ مختلفة ، وأصل القصة ثابتة في صحيح البخاري .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب ، باب مناقب سعد بن معاذ ﷺ ح (٣٨٠٤) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب: جواز قتال من نقض العهد ح (١٧٦٨) .

ولهذه المراتب قال كثير من الفقهاء : إن عهدهم ينتقض بما يضر المسلمين من المخالفة دون مالا يضرهم ، وخص بعضهم ما يضرهم في دينهم دون ما يضرهم في دنياهم ، والطعن على الرسول أعظم المضرات في دينهم " . (٢)



(٢) ينظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول ص (٢١٢ - ٢١٣) ، وهو بنصه في أحكام أهل الذمة (٢/ ٧٩٣

الباب التاسع

التعامل مع غير المسلمين في القضية والشؤون الدينية

وفيه ستة فصول:

الفصل الأول : حكم القضاء لغير المسلمين .

الفصل الثاني : حكم استحلاف غير المسلمين .

الفصل الثالث : حكم الرواية عن أهل الكتاب ، والأخذ من كتبهم.

الفصل الرابع : حكم مرور غير المسلمين بين يدي المصلي .

الفصل الخامس : حكم السفر بالقرآن الكريم إلى أرض العدو .

الفصل السادس : حكم أطفال غير المسلمين ، وهل يلحقون بآبائهم أم يلحقون بالمسلمين ؟.

الفصل الأول

حكم القضاء لغير المسلمين

يقول الله تعالى : ﴿ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرَّكَ شَيْئًا ﴾^(١) ، ويقول الله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ يَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾^(٢) ، ويقول الله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَاؤُنْ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾^(٣)

وقد اختلف العلماء : هل يجب على الإمام إقامة حكم الله عليهم أم لا يجب إلا إذا جاءوا هم وطلبوا حكم الإسلام عليهم ؟

قال الحسن البصري - رحمه الله - : " خلوا بين أهل الكتاب وبين حكامهم ، فإن ارتفعوا إليكم فأقيموا عليهم ما في كتابكم "^(٤) ، ورجح الإمام الطحاوي - رحمه الله - أنه يجب على الإمام أن يقيم حكم الله عليهم إذا علم بجنايتهم ، واستدل على ذلك بحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - : " أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ وَامْرَأَةٍ زَنِيًا فَأَمَرَ بِهِمَا فَرُجِمَا قَرِيبًا مِنْ مَوْضِعِ الْجَنَائِزِ عِنْدَ الْمَسْجِدِ " ^(٥) ، فليس للإمام ترك الحكم بينهم إذا وصله ^(٦) .

ويتأكد القضاء بينهم بموجب أحكام الشريعة الإسلامية لا غيرها ، إلا في بعض القضايا الخاصة بهم : كشعائهم التعبدية ، وشربهم الخمر ، وبعض قوانين الأسرة ^(٧) .

(١) سورة المائدة الآية : ٤٢ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٤٩ .

(٣) سورة المائدة الآية : ٨ .

(٤) أخرجه البيهقي في السنن (٢٤٦/٨) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٤٩٩/٦) ، من طريق أبي أسامة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن وينظر : أهل الذمة والولايات ص (٢٥١) لنمر محمد .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب الصلاة على الجنائز في المصلى والمسجد ح (١٣٢٩) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الحدود ، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا ح (١٦٩٩) .

(٦) شرح معاني الآثار (١٤٢/٤) .

(٧) ينظر : أهل الذمة والولايات العامة ص (٢٤٧) ، أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي ، حسن الزين ص (١٠٠) .

وأما الأحاديث الواردة في ذلك فهي :

الحديث الأول : حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - موقوفاً عليه : قال : آيتان نسختا من سورة المائدة: آية القلائد ، وقوله تعالى: ﴿ فَأَحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ ^(١) ، قال: فكان رسول الله ﷺ مخيراً، إن شاء حكم بينهم، وإن شاء أعرض عنهم فردهم إلى حكامهم ، قال : ثم نزلت: ﴿ وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ يَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ ^(٢) ، قال : فأمر النبي ﷺ أن يحكم بينهم بما في كتابنا ^(٣).

الحديث الثاني : حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: كَانَ قُرَيْظَةُ وَالتَّضِيرُ ، وَكَانَ التَّضِيرُ أَشْرَفَ مِنْ قُرَيْظَةَ، فَكَانَ إِذَا قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْظَةَ رَجُلًا مِنْ التَّضِيرِ قُتِلَ بِهِ، وَإِذَا قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ التَّضِيرِ رَجُلًا مِنْ قُرَيْظَةَ فُودِيَ بِمَائَةٍ وَسَقَى مِنْ تَمْرٍ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ قَتَلَ رَجُلٌ مِنَ التَّضِيرِ رَجُلًا مِنْ قُرَيْظَةَ، فَقَالُوا: اذْفَعُوهُ إِلَيْنَا نَقْتُلُهُ فَقَالُوا: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَوْهُ فَنَزَلَتْ: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ﴾ ^(٤) ، وَالْقِسْطُ: النَّفْسُ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ ثُمَّ نَزَلَتْ: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ ^(٥) ^(٦) .

ولا يجوز للذمي تولي منصب القضاء على المسلمين أو غير المسلمين على الرأي الراجح ، وأباح الحنفية تولية قاضٍ منهم للحكم بينهم ^(٧) .

(١) سورة المائدة الآية : ٤٢ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٤٩ .

(٣) أخرجه الحاكم (٣١٢/٢) ، والبيهقي (٢٤٨/٨) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١٤٢/٤) من طريق الحكم بن عتيبة عن مجاهد عن ابن عباس ، قال الحاكم : " صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأفضية ، باب الحكم بين أهل الذمة ، ح (٣٥٩٠) من طريق يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس .

(٤) سورة المائدة الآية : ٤٢ .

(٥) سورة المائدة الآية : ٥٠ .

(٦) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الديات ، باب النفس بالنفس ح (٤٤٩٤) ، والنسائي (١٨/٨) ، والحاكم (٣٦٦/٤) ، وأحمد (٢٤٦/١) ، والبيهقي (٢٤/٨) ، والدارقطني (١٩٨/٣) ، وابن أبي شيبه (٤٣٣/٩) ، كلهم من طرق عن عكرمة عن ابن عباس ، وإسناده صحيح ، قال الحاكم في المستدرک (٤ / ٣٦٦) : " صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ، وصححه الألباني كما في صحيح أبي داود (٦٨٥/٢) .

(٧) ينظر : أهل الذمة والولايات العامة ص : (٢٢٩ - ٢٥٣) ، أحكام الذميين والمستأمنين (٥٨٧) .

الفصل الثاني

حكم استخلاف غير المسلمين

ذهب أهل العلم إلى أنه يجوز تحليف غير المسلم عند الحاجة إلى ذلك أمام القضاء الإسلامي ، كما يجوز أيضاً التغليظ عليه في ذلك بما يكون تغليظاً في دينه ، كأن يغلظ على النصراني ، ويستحلف بالله الذي أنزل الإنجيل على عيسى ^(١) ، وقد وردت بعض الأحاديث والآثار في هذا المعنى ومن ذلك :

الحديث الأول : عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا مُتَعَمِّدًا فَهُوَ كَمَا قَالَ ... " ^(٢) .

الحديث الثاني : حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " من حلف على يمين فهو كما قال ، إن قال : إني يهودي فهو يهودي ، وإن قال : إني نصراني فهو نصراني ، وإن قال : إني مجوسي فهو مجوسي " ^(٣) .

الحديث الثالث : حديث أبي موسى موقوفاً عليه ، رواه عنه الشعبي — رحمه الله — قال : إن أبا موسى حلف يهودياً بالله ، فقال عامر الشعبي : لو أدخلته الكنيسة ^(٤) .

(١) أحكام الذميين والمستأمنين ص (٥٨٣) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب ما جاء في قاتل النفس ح (١٣٦٤) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ح (١١٠) .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢٩٨/٤) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٠١/١٠) ح (٦٠٠١) ، وابن حبان في المجروحين (١٨٦/٢) ، من طريق عبيس بن ميمون قال : حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، وهو ضعيف ؛ لأنه من رواية عبيس بن ميمون ، وهو ضعيف ، كما في الكامل لابن عدي (٣٧٣/٥) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٠/٤) : " عبيس بن ميمون متروك " ، وقال الحاكم : " حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ، واعترض عليه الذهبي وقال : عبيس ضعفه ، والخبر منكر . " ينظر : التعليق على المستدرک (٢٩٨/٤) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٣١/٦) ، ح (١٠٢٣٦) ، (٣٦١/٨) ، ح (١٥٥٤٥) ، من طريق إسرائيل عن سماك بن حرب عن الشعبي ، ورجال هذا الإسناد ثقات ما عدا سماك ، فهو صدوق تغير بآخره ، وكان ربما تلقن كما قاله ابن حجر في التقريب ص (٢٥٥) وقال يعقوب بن شيبة : " روايته عن عكرمة خاصة مضطربة ، وهو في غير عكرمة صالح ، وليس من المثبتين " ينظر : تهذيب الكمال (١١٥/١٢) ، ولذا فالأقرب في إسناد هذا الأثر أنه حسن ؛ لأن رواية سماك هنا عن غير عكرمة .




- ۵۲۳ -

الفصل الثالث

حكم الرواية عن أهل الكتاب والأخذ من كتبهم

نُهي في أول الأمر عن الأخذ من أهل الكتاب والرواية عنهم ، والنظر في كتبهم ، ثم حصل التوسع بعد استقرار الأحكام الإسلامية ، والقواعد الدينية ، فوقع الإذن في سماع أخبارهم ، والاعتبار بها ^(١) ، ولهذا جاءت الأحاديث الواردة في ذلك مختلفة كما يلي :

أولاً : الأحاديث المبيحة للرواية عنهم :

الحديث الأول : حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ ، وَقُولُوا : ﴿ آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ " ^(٢) ^(٣) .

وقد جاء الحديث عن أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه وفيه : " فَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُ وَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُ " ^(٤) .

الحديث الثاني : حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : " بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " ^(٥) .

(١) ينظر: فتح الباري (٦/٤٩٨) ، عون المعبود (١٠/٩٦) .

(٢) سورة العنكبوت الآية: ٤٦ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب: قولوا : ﴿ آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم ﴾ ح (٤٤٨٥) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب ح (٣٦٤٤) ، وأحمد في مسنده (١٣٦/٤) ، والبيهقي في سننه (١٠/٢) ، وعبد الرزاق في مصنفه (١١١/٦) ، والدولابي في الأسماء والكنى (٥٨/٢) ، من طرق عن الزهري عن نملة بن أبي نملة عن أبيه ، ورجاله ثقات سوى نملة فهو مقبول الحديث ينظر: التقريب ص (٥٦٦) ، التهذيب (١٠/٤٧٥) ، وإسناد الحديث حسن .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل ح (٣٤٦١) ، والترمذي في جامعه ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل ح (٢٦٦٩) ، وقال: حديث صحيح .

الحديث الثالث: وعنه عليه السلام قال : كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنَا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى يُصْبِحَ مَا يَقُومُ إِلَّا إِلَى عَظْمِ صَلَاةٍ ^(١) .

الحديث الرابع: حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنَا عَامَّةً لَيْلِهِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا يَقُومُ إِلَّا إِلَى عَظْمِ صَلَاةٍ ^(٢) .

الحديث الخامس : حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ : جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالْثَرَى عَلَى إصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْزُهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ تَصْدِيقًا لَهُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ^(٣) ^(٤) .

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم ، باب الحديث عن بني إسرائيل ح (٣٦٦٣) ، وأحمد في مسنده (٤٣٧/٤) ، من طريق معاذ بن هشام عن أبيه عن أبي حسان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ، وإسناده صحيح .
(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٣٧/٤) ، وابن خزيمة في صحيحه ح (١٣٤٢) ، والحاكم في المستدرک (٣٧٩/٢) ، والطبراني في الكبير (٥١٠/١٨) ، من طريق أبي هلال الراسي عن قتادة عن أبي حسان الأعرج عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف ؛ لأنه من رواية أبي هلال محمد بن سليم الراسي ، قال الإمام أحمد : "أبو هلال الراسي يخالف في قتادة ، وهو مضطرب الحديث " . وقال الساجي : "روي عنه حديث منكر ، والأكثر على تضعيفه " التهذيب (١٩٦/٩) ، وقال البزار في مسنده ح (٣٥٩٦) : "لا نعلم يروى عن النبي ﷺ إلا برواية عمران وعبد الله بن عمرو ، واختلف في إسناده على قتادة ، فقال أبو هلال : عن قتادة عن أبي حسان عن عمران ، وقال هشام : عن قتادة عن أبي حسان عن عبد الله بن عمرو ، وهشام أحفظ من أبي هلال " والخلاصة : أن المحفوظ في الحديث أنه من رواية عبد الله بن عمرو كما يرويه قتادة عن أبي حسان عنه ، أما رواية أبي هلال عن أبي حسان عن عمران فهي رواية شاذة " . قوله : " عظم صلاة " قال السندي : " ضبط بضم فسكون ، وقيل : المراد إلا إلى فريضة ، فإن عظم الشيء أكبره ، والله تعالى أعظم " ، وقال ابن الأثير : " عظم الشيء أكبره ، كأنه أراد أن لا يقوم إلا إلى الفريضة " ، ينظر: النهاية (٥١١/٣) .

(٣) سورة الزمر الآية : ٦٧ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير، باب: ﴿وما قدرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ح (٤٨١١) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب ، ح (٢٧٨٦) .

الحديث السادس : حديث حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطاً من قریش بالمدينة، وذكر كعب الأحرار فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب^(١).

ثانياً : الأحاديث الناهية عن الرواية عن بني إسرائيل :

الحديث الأول : حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل أو تكذبوا بحق...."^(٢) ، وجاء هذا الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه ، وفي آخره: "فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم ، إما أن يحدثونكم بصدق فتكذبوهم ، أو بباطل فتصدقوهم"^(٣) ، وفي رواية : " إن كنتم سائلهم لا محالة فانظروا ما واطأ كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فدعوه"^(٤).

الحديث الثاني: حديث جابر رضي الله عنه : أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه النبي ﷺ فعضب فقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق

(١) أخرجه البخاري معلقاً (البخاري مع الفتح ٣٣٤/١٣) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، وفيه: " وقال أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن سمع معاوية يحدث رهطاً ... " ، قال الحافظ في تعليق التعليق (٣٢٨/٥) : " وقع في روايتنا من طريق أبي ذر: قال: أنا أبو اليمان فذكره ، وقال البخاري في التاريخ الصغير : حدثنا أبو اليمان فذكره".

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٣٨/٣) ، والبيهقي في سننه (١٠/١١) ، وفي الشعب (١٧٩) والبخاري في مسنده (١٢٤) كما في كشف الأستار من طريق حماد بن زيد عن مجالد بن سعيد عن عامر الشعبي عن جابر رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف ؛ لضعف مجالد بن سعيد ، قال أحمد: " مجالد عن الشعبي ، وغيره ضعيف " ، ينظر: تهذيب الكمال (٢١٩/٢٧) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١١/٦) ، والطبراني في الكبير (٣٥٤/٩) ح (٩٧٥٩) ، من طريق سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال في مجمع الزوائد (١٩٧/١) " رجال الطبراني موثقون " ، وقد رواه عبد الرزاق (٢١٢/١٠) ، من طريق عمارة بن عمير عن حريث بن ظهير عن عبد الله ، وإسناده ضعيف لجهالة حريث .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه في الموضع السابق فقال : قال الثوري : زاد معن عن القاسم عن عبد الله رضي الله عنه .

فَتَكْذِبُوا بِهِ، أَوْ بَاطِلٍ فَتَصَدَّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى عليه السلام كَانَ حَيًّا مَا وَسَعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي" ^(١) .

الحديث الثالث : حديث زيد بن أسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم " ^(٢) .

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٨٧/٣) ، عن سريح بن النعمان قال : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا مجالد عن الشعبي عن جابر رضي الله عنه . وإسناده ضعيف ؛ لضعف مجالد : وهو ابن سعيد. ونقل ابن حجر في ترجمة عبد الله بن ثابت في الإصابة (٣٠/٤) عن البخاري أنه قال : قال مجالد عن الشعبي عن جابر : أن عمر أتى بكتاب ، ولا يصح ، وقوله : " ولا يصح " لم يرد في المطبوع من التاريخ الكبير للبخاري (٣٩/٥) .

وأخرجه أبو عبيد في غريب الحديث (٢٨/٣-٢٩) ، وابن أبي شيبة (٧/٩) ، وابن أبي عاصم في السنة (٥٠) ، والبخاري (١٢٤) كشف الأستار ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٧٧) ، والبغوي في شرح السنة (١٢٦) ، وابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) ٤٢/٢ ، من طرق عن هشيم بن بشير بهذا الإسناد ، وتحرف هشيم في المطبوع من (مصنف ابن أبي شيبة) و (شرح السنة) إلى هشام .

وأخرجه بنحوه الدارمي (٤٣٥) من طريق ابن نمير عن مجالد به .

وأخرجه أحمد في المسند (٢٦٥/٤) ، من طريق جابر الجعفي ، عن عامر الشعبي ، عن عبد الله بن ثابت قال : جاء عمر بن الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ... فذكره نحوه ، وإسناده ضعيف ؛ لضعف جابر الجعفي ، وأخرج أبو عبيد في غريب الحديث (٢٩/٣) ، والبيهقي في الشعب (١٧٨) عن الحسن البصري : أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله : إن أهل الكتاب يحدثننا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا ، وقد هممنا أن نكتبها ، فقال : " يا ابن الخطاب : أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى ؟ أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولكني أعطيت جوامع الكلم " ، ورجاله ثقات ، إلا أنه من مراسيل الحسن البصري . وأخرج نحوه العقيلي في الضعفاء (٢١/٢) ، من طريق علي بن مسهر ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن خليفة بن قيس ، عن خالد بن عرفطة ، عن عمر بن الخطاب قال : انتسخت كتاباً من أهل الكتاب ... فذكره . وهذا إسناد ضعيف ، لأنه من رواية خليفة بن قيس ، قال البخاري في ترجمته من التاريخ (١٩٢/٣) : لم يصح حديثه . يعني هذا الحديث كما يُفهم من ترجمته عند العقيلي (٢١/٢) .

وفي الباب عن أبي الدرداء قال : جاء عمر بجوامع من التوراة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فذكره . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٤/١) ، وقال : رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو عامر القاسم بن محمد الأسدي ، ولم أرَ من ترجمه ، وبقية رجاله موثقون .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١٠/٦ ، ٣١١/١٠) ، عن أبي جريح قال : حدثت عن زيد بن أسلم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وإسناده ضعيف ؛ لإلحاق الواسطة بين ابن جريح وزيد بن أسلم ، وإرساله ، حيث أرسله زيد بن أسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم .

الحديث الرابع : حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : إن بني إسرائيل كتبوا كتاباً ، فاتبعوه ، وتركوا التوراة ^(١) .

الحديث الخامس : حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه - رضي الله عنهما - قال : يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتبكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرأونه لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب ، فقالوا : هو من عند الله ﷻ ليشتروا به ثمناً قليلاً ﴿﴾ أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟ ، ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم ^(٢) .

فهذه هي الأحاديث الواردة في هذا الباب ، وقد قسم أهل العلم الروايات عن أهل الكتاب على ثلاثة أقسام :

الأول : ما علمنا صحته ؛ لوجود ما يشهد له مما في الكتاب أو السنة ، فهو صحيح ، ولا مانع من التحدث به .

الثاني : ما تيقنا كذبه ؛ لوجود ما يعارضه في الكتاب أو السنة ، فهذا يطوى ولا يروى ، إلا في مقام الإبطال والرد .

الثالث : ما كان من المسكوت عنه ، فليس عندنا ما يكذبه ولا ما يصدقه ، فهذا لا نكذبه ولا نجزم بشبوته ، لكن لا مانع من التحدث به ، بيد أن القرآن لا يفسر به ^(٣) .

(١) أخرجه الدارمي في مسنده ، في كتاب العلم ح (٥٠٧) ، عن زكريا بن عدي ، عن عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى رضي الله عنه موقوفاً عليه .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٧/١) : "رجاله ثقات" ، والأثر فيه ضعف ؛ لأنه من رواية زكريا بن عدي ، قال عنه ابن معين : "ما له وللحديث ؟ ، ذلك بالتوراة أعلم" ، وقد كان أبوه يهودياً فأسلم " التهذيب " (٣٣١/٣)

وعبد الملك بن عمير : ثقة تغير حفظه ، وربما دلس ينظر : التهذيب (٤١١/٦) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشهادات ، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها ح (٢٦٨٥)

(٣) ينظر : صحيح البخاري الأحاديث رقم (٢٦٨٥ ، ٤٤٨٥ ، ٧٣٦٢ ، ٧٣٦٣ ، ٧٥٢٢ ، ٧٥٢٣ ، ٧٥٤٢) ،

فتح الباري (١٧٠/٨ ، ٢٩١/١٣ ، ٣٣٣ ، ٤٩٦ ، ٥١٦) ، مجموع الفتاوى (٣٦٦/٣ - ٣٦٧) ، تفسير ابن

كثير : (١ / ٣٦٠) (٣ / ٣٩٩) (٥ / ١٦٨) (٥ / ٢٧٩) (٥ / ٣٤٧) (٦ / ١٩٧) (٦ / ٢٨٤) (٧ / ٣٩٤) ،

تفسير القاسمي (٤٤/١) ، تفسير السعدي (٤٦/١) .

قال العلامة أحمد شاكر - رحمه الله -: " إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه شيء ، وذكر ذلك في تفسير القرآن، وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يعين فيها، أو في تفصيل ما أجمل فيها شيء آخر ، لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مُبَيَّنٌ لمعنى قول الله سبحانه، ومفصل لما أجمل فيه! وحاشا لله ولكتابه من ذلك . وإن رسول الله ﷺ إذ أذن بالتحدث عنهم أمرنا ألا نصدقهم ولا نكذبهم ، فأَيُّ تصديق لرواياتهم أقوى من أن نقرها بكتاب الله، ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟! " (١).

وقد كانت روايات الصحابة رضي الله عنهم عن أهل الكتاب على نوعين :

النوع الأول : أن يصرح الصحابي بالرواية عنهم، مثاله ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - : أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٢) ، قَالَ : فِي التَّوْرَةِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَحَرِّزًا لِلْأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ ، لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ، وَلَا سَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْنَفُحُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوَجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا ، وَأَذَانًا صُمًّا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا (٣) .

النوع الثاني : الرواية عن أهل الكتاب دون التصريح بالرواية عنهم، مثاله ما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال الله جل وعز لما دعا موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٤) ، قال : فدخلوا التيه (٥) ، فكل من دخل التيه ممن جاوز العشرين سنة مات في التيه ، قال :

(١) عمدة التفسير (١٤/١) ، وللتفصيل في مسألة الأخذ عن أهل الكتاب وأنواعه وأحكامه، ينظر : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير د/ محمد أبو شعبة ، الإسرائيليات في التفسير والحديث ، محمد حسين الذهبي .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٤٥ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ح (٤٨٣٨)

(٤) سورة المائدة الآية : ٢٦ .

(٥) التيه : هو موضع تاه فيه بنو إسرائيل ، لم يهتدوا للخروج منه ، بسبب دعاء موسى عليه السلام عليهم . ينظر :

تفسير ابن كثير (٧٩/٣) .

БИС БИС БИС БИС БИС БИС БИС БИС БИС БИС БИС БИС

- ۵۳. -

حكم مرور غير المسلم بين يدي المصلي

ذكر غير واحد من أهل العلم أنه يجب على المصلي أن يرد من مر بين يديه، قال البخاري - رحمه الله - في صحيحه: "باب يرد المصلي من مر بين يديه"، قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: "أي سواء كان آدميا أو غيره" ^(١)، والآدمي يشمل المسلم والكافر، ومما يدل على ذلك حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: أحسبه عن رسول الله ﷺ قال: "إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى غَيْرِ سُتْرَةٍ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ: الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ وَالْخَنْزِيرُ وَالْيَهُودِيُّ وَالْمَجُوسِيُّ وَالْمَرْأَةُ، وَيُجْزَى عَنْهُ إِذَا مَرُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى قَذْفَةٍ بِحَجَرٍ"، وهذا الحديث ضعيف ^(٢)، ولكن جاء ذكر الكلب والحمار والمرأة في أحاديث صحيحة كحديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ: الْحِمَارُ وَالْمَرْأَةُ وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ ... " ^(٣).



(١) ينظر: فتح الباري (١/٥٨١).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب: ما يقطع الصلاة (١/ ٢٤٥) ح (٧٠٤)، من طريق هشام عن يحيى عن عكرمة عن ابن عباس، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٢٧)، من طريق ابن عيينة عن عبد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس موقوفاً، وهو حديث ضعيف، ضعفه أبو داود في سننه بعد سبأقه وقال: " في نفسي من هذا الحديث شيء، كنت ذاكرته إبراهيم وغيره، فلم أرَ أحداً جاء به عن هشام ولا يعرفه، ولم أرَ أحداً يحدث به عن هشام، وأحسب الوهم من ابن أبي سميئة، والمنكر فيه ذكر الجوسي، وفيه " على قذفةٍ بحجر " وذكر الخنزير، وفيه نكارة، ثم قال: ولم أسمع هذا الحديث إلا من محمد بن إسماعيل، وأحسبه وهم ؛ لأنه كان يحدثنا من حفظه " .

وقال ابن القطان: "علته شك الراوي في رفعه، فإنه قال: عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، قال: أحسبه عن رسول الله ﷺ، فهذا رأي لا خير، ولم يجزم ابن عباس برفعه في الأصل". ينظر: تهذيب السنن (٣٤٦/١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب قدر سترة المصلي ح (٥١٠) ، والترمذي في جامعه ، كتاب الصلاة، باب: ما جاء أنه يقطع الصلاة ح (٣٣٨) ، وقال: " حديث حسن صحيح " .

الفصل الخامس

حكم السفر بالقرآن الكريم إلى أرض العدو

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ ^(١) .

دل هذا الحديث على النهي عن السفر بالمصحف إلى أرض العدو ، قال ابن عبد البر - رحمه الله - : " أجمع الفقهاء أن لا يسافر بالمصحف في السرايا والعسكر الصغير المخوف عليه، واختلفوا في الكبير المأمون عليه ... وقال بعضهم: واستدل به على منع بيع المصحف من الكافر ... واستدل به بعضهم على منع تعلم الكافر للقرآن العظيم " ^(٢) . وقال ابن القيم - رحمه الله - : " ينبغي أن يصاب القرآن عن تلقينهم إياه، فإن طلب أحد منهم أن يسمعه منهم، فإن له أن يسمعه إياه ، إقامة للحجة عليهم " ^(٣) . وقد ذهب الشافعية والحنابلة إلى أنه لا يجوز للكافر أن يشتري مصحفاً خوفاً من ابتذاله والاستهانة به، ويفسخ هذا الشراء، وحرم المالكية بيع المصحف من الكافر، وذهب الظاهرية إلى الجواز فيجوز عندهم بيع المصحف للكافر، ورجح عبد الكريم زيدان رأي الظاهرية ^(٤) ، والله أعلم .



(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير باب: كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو ح (٢٩٩٠) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإمامة ، باب: النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار ح (١٨٦٩) .

(٢) التمهيد (٢٥٤/١٥) ، وينظر: فتح الباري (١٣٤/٦) .

(٣) أحكام أهل الذمة (١٣٢٩/٣) .

(٤) ينظر: شرح الشروط العمرية ص (١١٩) .

الفصل السادس

حكم أطفال غير المسلمين ، وهل يلحقون بآبائهم أم يلحقون بالمسلمين؟^(١)

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٢) .

نُقل الإجماع على أن أطفال المسلمين في الجنة^(٣) ، أما أطفال الكفار فقد اختلف فيهم اختلافاً كبيراً، ووصلت الآراء فيهم إلى عشرة أقوال ذكرها ابن حجر - رحمه الله - وابن القيم - رحمه الله - في أحكام أهل الذمة^(٤) .

ورجح النووي وابن حجر والمناوي وغيرهم أنهم في الجنة، قال النووي - رحمه الله -:- "والصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة"، ثم ذكر الأدلة على ذلك^(٥) . ذلك^(٦) .

والأحاديث الواردة في ذلك مختلفة، فبعضها يدل على أنهم في الجنة، وبعضها على أنهم في النار، وبعضها على أن الله أعلم بما كانوا عاملين، وبعضها على أن الله يمتحنهم يوم القيامة، قياساً على غيرهم .

قال ابن حجر - رحمه الله - : " وصحت مسألة الامتحان في حق المجنون، ومن مات في الفترة من طرق صحيحة، وحكى البيهقي في كتاب الاعتقاد أنه المذهب الصحيح"^(٧) .

ونذكر هنا أن أطفال الكفار في المسائل الدنيوية يعاملون على حسب خير الأبوين ديناً، بمعنى أن الطفل يكون مسلماً إذا كان أحد أبويه أو كلاهما مسلماً، وهذا رأي

(١) أدخلت هذا الفصل في هذا الباب لأن الحكم على أطفال غير المسلمين سواء في الدنيا أو في الآخرة هو من الأحكام الدينية التي يترتب عليها تعامل وتبعية ظاهرة .

(٢) سورة الإسراء، الآية رقم: ١٥ .

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم (٢٠٧/١٦) ، فيض القدير (١/٥٣٨) .

(٤) فتح الباري (٣/٢٤٦) .

(٥) أحكام أهل الذمة (٢/٦١٩ - ٦٥٦) .

(٦) شرح النووي على مسلم (٢٠٨/١٦) .

(٧) ينظر: فتح الباري (٣/٢٤٦) .

جمهور الفقهاء من الحنفية، والشافعية، والحنابلة، والظاهرية وغيرهم، وقال الإمام مالك - رحمه الله - : " أن الطفل يتبع أباه فقط في الدين ولا يتبع أمه " (١) .

وهذه هي الأحاديث الواردة في أحكام أطفالهم:

أولاً: الأحاديث الدالة على كونهم مسلمين من أهل الجنة:

الحديث الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ " (٢) هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ " (٣) .

الحديث الثاني: عن الأسود بن سريع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث سرية يوم حنين، فقاتلوا المشركين، فأفضى بهم القتل إلى الذرية، فلما جاءوا قال رسول الله ﷺ: " مَا حَمَلَكُمْ عَلَى قَتْلِ الذَّرِيَّةِ ؟ " قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانُوا أَوْلَادَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: أَوَهْلَ خِيَارِكُمْ إِلَّا أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ ؟، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ نَسَمَةٍ تُولَدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُعْرَبَ عَنْهَا لِسَانُهَا " (٤) .

(١) ينظر: أحكام الذميين ص (٣٥٠)

(٢) البهيمه الجمعاء: السالمة من العيوب، والجدعاء: مقطوعة الأطراف ينظر: النهاية (٧٠٥/١)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين ح (١٣٨٥) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ح (٢٦٥٨)

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٣٥/٣) ، عن يونس قال: حدثنا أبان عن قتادة عن الحسن عن الأسود، ورجاله ثقات رجال الشيخين إلا أن الحسن - وهو البصري - لم يسمع من الأسود بن سريع فيما ذكره علي بن المديني في العلل ص (٥٩)، فقد سئل عن هذا الحديث فقال: إسناده منقطع ... والحسن عندنا لم يسمع من الأسود ؛ لأن الأسود خرج من البصرة أيام علي، وكان الحسن بالمدينة. وينظر: نصب الراية (٩٠/١) ، والمراسيل لابن أبي حاتم في المراسيل، فقد ذكره في جملة الصحابة الذين لم يسمع منهم الحسن ، وقد اختلف في سنة وفاة الأسود بن سريع، فقد ذكر علي بن المديني أنه قتل أيام الجمل يعني سنة (٣٦ هـ)، وتابعه علي ذلك ابن السكن، وأبو داود، وأبو حاتم، وأبو سليمان بن زبر، وابن حبان، قال بعضهم: قتل، وقال بعضهم: فقد فيما ذكر الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ، ونقل عن أحمد وابن معين أنه توفي سنة (٤٢ هـ)، وإليه ذهب البخاري في التاريخ الكبير، لكن قال: قال علي: قتل أيام الجمل. وقد نقل الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب عن الباوري قوله في معرفة الصحابة عن الحسن، قال: لما قتل عثمان ركب الأسود سفينة، وحمل معه أهله وعياله، فما رئي بعد. ثم عقب الحافظ بقوله: وكل هذا يدل على أن الحسن وأقرانه لم يلحقوه. قلنا: ويعكر على هذا أن الحسن قد صرح في بعض الأسانيد بسماحه من الأسود بن سريع، فقد أخرج النسائي

الحديث الثالث: عن أبي مالك رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين، قال: "هم خدم أهل الجنة" ^(١).

في الكبرى (٨٦١٦)، والحاكم (١٢٣/٢) من طريق هشيم، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، قال: حدثنا الأسود بن سريع، فذكر الحديث.

وأخرج الطحاوي في شرح مشكل الآثار الحديث من طريق السري بن يحيى، عن الحسن، قال: حديث الأسود بن سريع، ح (١٣٩٤، ١٣٩٥)، ومن طريق الأشعث بن عبد الملك عن الحسن أن الأسود بن سريع حدثهم ... فذكر الحديث، ح (١٣٩٦) وهو ما مال إليه الطحاوي في تصحيح سماع الحسن من الأسود.

وأورده البخاري في تاريخه الكبير (٤٤٥/١) من طريق السري بن يحيى عن الحسن قال: حدثنا الأسود بن سريع، فذكر الحديث. وسيأتي من طريق السري ح (١٦٣٠٣).

ولعل صيغة السماع التي وردت عند الطحاوي تؤيد ما ذهب إليه البزار فيما نقله عنه الزيلعي في نصب الراية (٩٠/١)، وذلك في تأويله لقول الحسن: حدثنا الأسود، فقال: وكذلك قال - يعني الحسن - : حدثنا الأسود ابن سريع، والأسود قدم يوم الجمل فلم يره، ولكن معناه حدث أهل البصرة.

وقد ذكر قريباً منها قول الحسن: خطبنا ابن عباس بالبصرة، فقد أنكر عليه؛ لأن ابن عباس كان بالبصرة أيام الجمل، وقدم الحسن أيام صفين، فلم يدركه بالبصرة، وتأول قوله: خطبنا أي: خطب أهل البصرة.

وقوله ﷺ: "ما من نسمة تولد إلا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها" يشهد له حديث أبي هريرة عند البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨)، ولفظه عند البخاري: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه".

قال السندي: قوله: "أهل خياركم إلا أولاد المشركين؟"، أي: أتقولون ذاك وترون أن أولاد المشركين مشركون مع أنهم من أختيار المسلمين، فإنهم مع إسلامهم ما أذنبوا قط. ويحتمل أن تكون اللفظة المذكورة "أو بمعنى بل"، قوله: "نسمة"، بفتحيتين، أي: نفس.

(١) أخرجه ابن منده في المعرفة (٢٦١/٢)، معلقاً عن إبراهيم بن المختار عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أبي مالك، وإسناده ضعيف؛ لتدليس ابن إسحاق، ولسوء حفظ إبراهيم بن المختار، ويشهد له ما أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٠٨/٦)، من طريق الطبراني بسنده عن الربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشي عن أنس، قال: سألت رسول الله ﷺ عن ذراري المشركين لم يكن لهم ذنوب يعاقبون بها فيدخلون النار، ولم تكن لهم حسنة يجزون بها فيكونون من ملوك الجنة؟ فقال النبي ﷺ: "هم خدم أهل الجنة".

ويشهد له أيضاً ما أخرجه البزار في مسنده (كما في الزوائد ٢٣٢) من طريق عباد بن منصور عن أبي رجاء عن سمرة بن جندب مرفوعاً به وقال: "تفرد به عباد"، وعباد بن منصور ضعيف. قال الهيثمي في الزوائد (٢١٩/٧)، فيه عباد بن منصور، وثقه يحيى القطان، وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥٣/٣)، بمجموع الطرق والشواهد.

الحديث الرابع: عن أسلم بن سليم رضي الله عنه قال: **قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَنْ فِي الْجَنَّةِ ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْوَيْدُ فِي الْجَنَّةِ**" (١)، وجاء هذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما (٢).

ثانياً: الأحاديث الدالة على أنهم في النار:

حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: سألت رسول الله ﷺ عن ولدان المؤمنين أين هم ؟ قال: " في الجنة يا عائشة " ، وسألته عن ولدان المشركين، قال: " إن شئت أسمعك تضاعفهم في النار" (٣).

ثالثاً: الأحاديث الدالة على أنهم يمتحنون في الآخرة:

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " الهالك في الفترة، والمعتوه، والمولود، قال: يقول الهالك في الفترة: لم يأتي كتاب ولا رسول، ثم تلا هذه الآية:

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الجهاد ، باب في فضل الشهادة (١٩/٢) ، ح (٢٥٢١) ، وأحمد في مسنده (٥٨/٥) ، وابن الجعد في مسنده ح (٣١٨٢) ، من طريق عوف بن أبي جميلة العبدى عن حسناء بنت معاوية الصبريمية عن عمها أسلم بن سليم رضي الله عنه ، وحسناء بنت معاوية مقبولة ينظر: التهذيب (٤٣٨/١٢) ، التقريب ص (٧٤٥) وعوف بن أبي جميلة: ثقة، رمي بالقدر والتشيع ينظر: التهذيب (١٦٦/٨) ، التقريب ص (٤٣٣) ، فالحديث لا بأس به، ويشهد له حديث ابن عباس بعده.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٠٣/٤) ، والبزار كما في مجمع الزوائد (٢١٩/٧) ، وليس في المطبوع من كشف الأستار وتمام في فوائده، وأبو بكر الشافعي في فوائده، كما قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٥١٥/١) (٢٨٧) ، من طريق خلف بن أبي خليفة عن أبي هاشم الرماني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو ضعيف لعلتين: تفرد أبي هاشم عن سعيد، قال أبو نعيم في الحلية (٣٠٣/٤) : " غريب من حديث سعيد، تفرد به عنه أبو هاشم " ، وأبو هاشم هو: يحيى بن دينار الواسطي ، ولأنه من رواية خلف بن أبي خليفة، فهو وإن كان صدوقاً في نفسه، إلا أنه قد اختلط، كما حكاه ابن كيال في الكواكب النيرات ص (١٥٥) ، وابن حجر في التهذيب (١٥٠٩/٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٨/٦) ، وابن الجعد في مسنده (١٠٦٦/٢) ، (٣٠٧٩) ، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٩٢٤/٢) ، (١٥٤١) ، من طريق علي بن أبي عقيل بن بمية عن عائشة، وهو ضعيف ؛ لأنه من رواية أبي عقيل يحيى بن المتوكل، وهو ضعيف ؛ ولجهالة بمية ، قال المناوي في فيض القدير (٥٣٨/١) : " هذا حديث ضعيف " ، وقال ابن حجر في الفتح (٢٤٦/٣) : " إسناده ضعيف جداً بسبب أبي عقيل مولى بمية " ، وينظر: العلل المتناهية (٩٢٤/٢) .

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾^(١)، ويقول المعتوه: لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً، ويقول المولود: ربّ لم أدرك الحلم، قال: فترفع لهم نار، فيقال: ردوها أو ادخلوها قال: فيردها أو يدخلها من كان في علم الله سعيداً لو أدرك العمل، قال: ويمسك عنها من كان في علم الله شقيماً لو أدرك العمل، قال: فيقول: إياي عصيتم فكيف برسلي بالغيب أتتكم".^(٢)، وجاء هذا الحديث أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه^(٣).

رابعاً: رد أمرهم إلى علم الله:

كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي ﷺ عَنْ ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: "اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ"^(٤)، وجاء هذا الحديث أيضاً من رواية ابن عباس رضي الله عنه^(٥). وفي رواية عنه قال: أتى عليّ زمانٌ، وأنا أقولُ: أولادُ المسلمينَ معَ المسلمينَ، وأولادُ المشركينَ معَ المشركينَ، حتّى حدّثني فلانٌ عن فلانٍ أنّ رسولَ الله ﷺ سئلَ عنهم فقال: "اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ"، قال: فلقيتُ الرجلَ فأخبرني فأمسكتُ عن

(١) سورة طه الآية: ١٣٤.

(٢) أخرجه ابن الجعد في مسنده (٧٩٣/٢)، (٢١٢٦)، والبخاري كما نقله الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٦/٧)، من طريق فضيل بن مرزوق عن عطية بن أبي سعيد، وهو ضعيف؛ لأنه من رواية عطية، وهو عطية بن سعد العوفي. قال أحمد: "هو ضعيف الحديث، بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي ويسأله عن التفسير، وكان يكتبه بأبي سعيد، فيقول: قال أبو سعيد، وكان هشيم يضعف حديث عطية". وقال ابن حبان: "لا يحل الاحتجاج به، ولا كتابة حديثه إلا على جهة التعجب" ينظر: تهذيب الكمال (١٤٥/٢٠)، المحروحين (ص: ١٧٦).

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٢٥/٧) ح (٤٢٢٤)، والبخاري كما نقله الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٦/٧)، من طريق ليث بن أبي سليم عن عبد الوارث عن أنس، وهو ضعيف؛ لحال ليث بن أبي سليم، قال ابن معين: "ليس حديثه بذلك، ضعيف"، وقال أبو حاتم وأبو زرعة: "لا يشتغل به، هو مضطرب الحديث"، ينظر: أحوال الرجال للحوزجاني ص (١٣٢)، تهذيب الكمال (٢٧٩/٢٤)، الميزان (٤٢٠/٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين ح (١٣٨٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ح (٢٦٥٩).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين ح (١٣٨٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ح (٢٦٦٠).

قَوْلِي ^(١) ، وفي رواية: " رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ هُوَ خَلَقَهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ، وَبِمَا كَانُوا عَامِلِينَ " ^(٢) .

وهذا القول هو أوجه الأقوال وأقواها دليلاً ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " أطفال الكفار أصح الأقوال فيهم: الله أعلم بما كانوا عاملين كما أجاب بذلك النبي ﷺ في الحديث الصحيح ، وطائفة من أهل الحديث وغيرهم قالوا إنهم كلهم في النار ... وطائفة جزموا بأنهم كلهم في الجنة ... والصواب أن يقال الله أعلم بما كانوا عاملين ولا نحكم لمعين منهم بجنة ولا نار " (٣) .



(١) أخرجه أحمد في مسنده (٧٣/٥) ، عن عفان عن حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس، وإسناده صحيح .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤١٠/٥) ح (٢٣٥٣١)، عن إسماعيل بن إبراهيم عن خالد الحذاء عن عمار بن أبي عمار قال: كنت أقول في أولاد المشركين هم منهم، فحدثني رجل عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، فلقيته قال: فحدثني عن النبي ﷺ ... فذكره، وإسناده ضعيف ؛ لإجماع الراوي الذي حدث عن الصحابي .

(۳) مجموع فتاویٰ ابن تیمیہ (۳۰۳/۴) .

الباب العاشر :
التعامل مع غير المسلمين
في المجال الطبي .

وفيه فصل واحد وهو :

حكم تداوي المسلم عند الطبيب غير المسلم.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : حكم تداوي المسلم عند الطبيب غير المسلم إذا كان ثقةً مأموناً .

المبحث الثاني : اشتراط أن يكون التداوي بشيء غير محرم في دين الإسلام .

المبحث الأول : حكم تداوي المسلم عند الطبيب غير المسلم إذا كان ثقة مأموناً.

تدل الأدلة من السنة النبوية على جواز التداوي عند الطبيب غير المسلم متى ما كان ثقة مأموناً ، وهي كما يلي :

الدليل الأول: أن النبي ﷺ استأجر عبد الله بن أريقط الديلي، دليلاً هادياً في رحلة الهجرة، وكان رجلاً مشركاً على دين قريش، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: استأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدليل، هادياً جريئاً ، وهو على دين كفار قريش فدفعاً إليه راحلتيهما ، وواعده غار ثور بعد ثلاث ليالٍ براحلتيهما صبح ثلاث^(١). ووجه الدلالة : هي ائتمان الكافر متى كان ثقة، سواء كان طبيباً، أو هادياً، أو غير ذلك من الأمور التي فيها خطورة على الحياة ونحوها .

قال ابن القيم - رحمه الله - : " في استئجار النبي ﷺ عبد الله بن أريقط هادياً، في وقت الهجرة، وهو كافر دليل على جواز الرجوع إلى الكافر في الطب، والأدوية، والحساب، والعيوب ونحوها، ما لم يكن ولاية تتضمن عدالة. ولا يلزم من كونه كافراً ألا يوثق به في شيء أصلاً، فإنه لا شيء أخطر من الدلالة في الطريق، ولا سيما في مثل طريق الهجرة" (٢) .

الدليل الثاني : أن خزاعة كانت عيبة^(٣) نصح لرسول الله ﷺ مسلمهم وكافرهم، وقد بعث بسر بن سفيان الخزاعي - وكان مشركاً آنذاك - عيناً له إلى مكة؛ ليأته بخبر أهلها كما جاء في حديث عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالوا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديث حتى إذا كانوا ببعض الطريق الحديث ، وفيه: " فبينما هم كذلك إذ جاء بدليل بن ورقاء

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإجارة ، باب: إذا استأجر أجيراً ليعمل له بعد ثلاثة أيام أو بعد شهر أو بعد سنة جاز ح (٢٢٦٤) .

(٢) بدائع الفوائد (٧٢٥/٣) .

(٣) العيبة كيس يحرز فيه الرجل النفائس، قال في لسان العرب (٦٣٤/١) : " والعبية وعاء من آدم، يكون فيها المتاع، والجمع: عياب، وعيب، ... والعبية أيضاً زبيل من آدم، ينقل فيه الزرع المحصود إلى الجرين في لغة همدان، والعبية: ما يجعل فيه الثياب " والمراد: أن خزاعة موضع السر والأمانة .

الْخَزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خَزَاعَةٍ وَكَانُوا عِيَّةَ نُصْحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تَهَامَةَ فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنِ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْيَةِ وَمَعَهُمُ الْعُودُ الْمَطَافِيلُ وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ " (١) .

قال أبو الخطاب الحنبلي - رحمه الله - : " إن قبوله خبر الخزاعي دليلٌ على جواز قبول المتطبب الكافر فيما يخبر به عن صفة العلّة، ووجه العلاج، إن كان غير متهم فيما يصفه " (٢) .

الدليل الثالث : ما رواه مجاهد عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال : مَرَضْتُ مَرَضًا أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِي فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا عَلَى فُؤَادِي فَقَالَ: " إِنَّكَ رَجُلٌ مَفُودٌ، أَتَتْ الْحَارِثَ بْنَ كَلْدَةَ أَخَا ثَقِيفٍ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ يَتَطَبَّبُ فَلْيَأْخُذْ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ فَلْيَجَاهُنَّ بَنَوَاهُنَّ ثُمَّ لِيَلِدْكَ بِهِنَّ " (٣) .

والشاهد من هذا الحديث : أن النبي ﷺ أمر بالتداوي عند الحارث بن كلدّة، وكان آنذاك مشركاً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " إذا كان اليهودي أو النصراني خبيراً بالطب، ثقةً عند الإنسان جاز له أن يستطبه، كما يجوز له أن يودعه المال، وأن يعامله، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ (٤) ، وفي الصحيح أن النبي ﷺ لما هاجر استأجر رجلاً مشركاً، هادياً خريّتاً - والخريت الماهر بالهداية - وأئتمنه على نفسه وماله، وكانت خزاعة عيبةً لرسول الله ﷺ مسلمهم وكافرهم، وقد روي أن النبي ﷺ أمر أن يستطبَّ الحارث بن كلدّة، وكان كافراً، وإذا أمكنه أن يستطبَّ مسلماً فهو كما لو أمكنه أن يودعه أو يعامله، فلا ينبغي أن يعدل عنه، وأما إذا احتاج إلى ائتمان الكتّابي، واستطبابه فله ذلك، ولم يكن من ولاية اليهود والنصارى المنهي عنه،

(١) أخرج البخاري في صحيحه ، كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد ح (٢٧٣٤) .

(٢) نقله عنه ابن مفلح في الآداب الشرعية (٤٤٢/٢) ، وينظر: مداواة الرجل للمرأة، ومداواة الكافر للمسلم، للدكتور محمد علي البار، ص (٣٣) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الطب ، باب في تمر العجوة ، ح (٣٨٧٥) ، وهذا إسناد ضعيف، قال ابن أبي حاتم في المراسيل ص (٢٠٥) : مجاهد لم يدرك سعد، إنما يروي عن مصعب بن سعد عن سعد .

(٤) سورة آل عمران الآية : ٧٥ .

وإذا خاطبه بالتي هي أحسن كان حسناً، فإنَّ الله تعالى يقول ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (١) " (٢) .

وخلاصة هذا المبحث جواز التداوي عند الكافر متى ما كان ثقةً، ولكن إذا أمكنه أن يستطبَّ مسلماً فهو كما لو أمكنه أن يودعه، أو يعامله، فلا ينبغي أن يعدل عنه، والأولى عدم الاستطباب عند الكافر متى وجد المسلم، إلا إذا كان الكافر حاذقاً في ذلك الفرع من الطب (٣) .



(١) سورة العنكبوت، الآية : ٤٦ .

(٢) مجموع الفتاوى (١١٤/٤) .

(٣) ينظر: الآداب الشرعية (٤٤١/٢) ، مجموع الفتاوى (١١٤/٤) .

المبحث الثاني : اشتراط أن يكون التداوي بشيء غير محرم في الإسلام .

ذهب جمهور أهل العلم إلى تحريم التداوي بالمحرمات؛ للنصوص الكثيرة التي الواردة في المنع من ذلك، ومن ذلك ما يلي :

الدليل الأول : قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ^(١) .

ففي هذه الآية دليل على تحريم التداوي بالخمير، من وجهين: الوجه الأول: الإخبار بأنها رجس، والرجس النجس، الوجه الثاني: الأمر باجتنابها، وهو عام في كل الأحوال ومنه التداوي ^(٢) .

الدليل الثاني : حديث طارق بن سويد الجعفي رضي الله عنه: أنه سأل النبي ﷺ عَنْ الْخَمْرِ فَهَاهُ أَوْ كَرِهَ أَنْ يَصْنَعَهَا فَقَالَ: إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ فَقَالَ: " إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ " ^(٣) . وفي رواية عند الإمام أحمد، وابن ماجه، عن طارق رضي الله عنه أنه قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بَارِضِنَا أَعْنَابًا نَعْتَصِرُهَا فَنَشْرَبُ مِنْهَا؟ ، قَالَ: " لَا " ، فَعَاوَدْتُهُ، فَقَالَ: " لَا " ، فَقُلْتُ: إِنَّا نَسْتَشْفِي بِهَا لِلْمَرِيضِ؟ فَقَالَ: " إِنْ ذَاكَ لَيْسَ شِفَاءً وَلَكِنَّهُ دَاءٌ " ^(٤) .

حيث صرح النبي ﷺ بأنَّ الخمر ليست بدواء، ولكنها داء، وفي هذا دلالة صريحة على تحريم التداوي بها .

قال النووي - رحمه الله - : " هذا دليلٌ لتحريم اتخاذ الخمر وتخليها، وفيه التصريح بأنها ليست بدواء، فيحرم التداوي بها؛ لأنها ليست بدواء، فكأنه يتناولها بلا سبب، وهذا هو الصحيح عند أصحابنا أنه يحرم التداوي بها، وكذا يحرم شربها للعطش، وأما إذا غصَّ

(١) سورة المائدة الآية: ٩٠ .

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٢٨٩/٦) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب: تحريم التداوي بالخمير ح (١٩٨٤)، وأبو داود في سننه، كتاب الطب، باب: في الأدوية المكروهة ح (٣٨٧٣)، والترمذي وصححه، في الطب، باب : في كراهية التداوي بالمسكر ح (٢٠٤٦) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣١١/٤)، وابن ماجه في الطب، باب النهي أن يتداوى بالخمير ح (٣٥٠٠) من طريق سماك بن حرب عن علقمة بن وائل، طارق بن سويد الحضرمي قال: قلت يا رسول الله

بلقمةٍ ولم يجد ما يسيغها به إلا خمرًا فيلزمه الإساعة بها؛ لأنَّ حصول الشفاء بها حينئذٍ مقطوع به، بخلاف التداوي؛ والله أعلم" (١) .

الدليل الثالث: حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال: رسول الله ﷺ : " إِنْ اللَّهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالِدَوَاءَ وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً فَتَدَاوَوْا وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ " (٢) .

الدليل الرابع : أثر ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال في السَّكْرِ: إِنْ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ (٣) .

وجه الاستدلال : أنه ﷺ بين مشروعية الدواء، وهو لا ينافي التوكل، ومع هذا نهى ﷺ عن التداوي بالمحرمات، والخمر محرمة، فالتداوي بها حرام بنص الحديث .

كما أنَّ قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يفيد تحريم التداوي بالخمر؛ لأنها محرمة، والله لم يجعل الشفاء فيما حرم علينا .

الدليل الخامس : حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الدَّوَاءِ الْخَبِيثِ يَعْنِي السُّمَّ (٤) .

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥٣/١٣) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الطب، باب: في الأدوية المكروهة ح (٣٨٧٤) ، من طريق إسماعيل بن عياش عن ثعلبة بن مسلم عن أبي عمران الأنصاري عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، وفي هذا الإسناد : إسماعيل ابن عياش، قال المنذري : فيه مقال، إذا حدث عن أهل الشام فهو ثقة، وإنما يضعف في الحجازيين، وهو هاهنا حدث عن ثعلبة ابن مسلم الخثعمي، وهو شامي " ينظر: التاريخ الكبير (٣٦٩/١) ، المعرفة والتاريخ (٣٨٢/٢) ، ضعفاء العقيلي (٨٨/١) الجرح والتعديل (١٩١/٢) ، المجروحين لابن حبان (١٢٤/١) ، الكامل لابن عدي (٢٨٨ / ١) ، شرح العلل لابن رجب (٦٠٩/٢) .

(٣) أخرجه البخاري معلقاً (البخاري مع الفتح ٧٨/١٠) ، كتاب الأشربة، باب: شرب الخلاء والغسل، وأحمد في كتاب الأشربة ح (١٣١) ، من طريق سفيان قال : حدثنا منصور ، عن أبي وائل قال : اشتكى رجل منا في بطنه يقال له الصفر ، وقال سفيان مرة : تسميه العرب الصفر فنعت له السكر، فأرسل إلى ابن مسعود رضي الله عنه ، فقال : " إِنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَجْعَلْ " وينظر: تغليق التعليق (٢٩/٥) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب: في الأدوية المكروهة ح (٣٨٧٠) ، والترمذي في جامعه ، كتاب الطب، باب ما جاء فيمن قتل نفسه بسم أو غيره ح (٢٠٤٥) ، وابن ماجه في سننه ح (٣٤٥٩) ، وأحمد في مسنده (٣٠٥/٢) ، والحاكم في المستدرک، كتاب الطب باب الدواء الخبيث الخمر (٤١٠/٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٨) ، من طريق يونس بن أبي إسحاق عن مجاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وإسناده حسن، قال الحاكم: " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " .

حيث نهى ﷺ عن الدواء الخبيث، والنهي يقتضي التحريم، فيكون كل دواءٍ خبيثٍ محرماً، والخمر خبيثة، بل هي أم الخبائث^(١) فتكون محرمة .

وقوله : عن الدواء الخبيث ، ظاهره تحريم التداوي بكل خبيث^(٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بعد ذكر الأدلة الدالة على تحريم التداوي بالخمر - : " فهذه النصوص وأمثالها صريحة في النهي عن التداوي بالخبائث، مصرحة بتحريم التداوي بالخمر، وهي أم الخبائث، وجماع كل إثم ... إلى أن قال : وأما قول الأطباء : إنه لا يبرأ من هذا المرض إلا لهذا الدواء المعين، فهذا قول جاهل لا يقوله من يعلم الطب أصلاً، فضلاً عما يعرف الله ورسوله، فإن الشفاء ليس في سبب معين يوجهه في العادة، كما للشعب سبب معين يوجهه في العادة، إذ من الناس من يشفيه الله بلا دواء، ومنهم من يشفيه الله بالأدوية الجثمانية حلالها وحرامها، وقد يستعمل ولا يحصل الشفاء؛ لفوات شرط، أو لوجود مانع، وهذا بخلاف الأكل؛ فإنه سبب للشعب، ولهذا أباح الله للمضطّر الخبائث أن يأكلها عند الاضطرار إليها في المخمصة، فإن الجوع يزول بها، ولا يزول بغيرها، بل يموت أو يمرض من الجوع، فلمّا تعينت طريقاً إلى المقصود أباحها الله، بخلاف الأدوية الخبيثة، بل قد قيل : من استشفى بالأدوية الخبيثة كان ذلك دليلاً على مرض في قلبه، وخلل في إيمانه؛ فإنه لو كان من أمة محمد المؤمنين لما جعل الله شفاءه فيما حرم عليه، ولهذا إذا اضطرّ إلى الميتة ونحوها وجب عليه الأكل في المشهور من مذاهب الأئمة الأربعة، أما التداوي فلا يجب عند أكثر العلماء بالحلال، وتنازعوا : هل الأفضل فعله، أو تركه على طريق التوكل؟ "^(٣) .

ومن مجموع ما سبق يتبين لنا أن الدواء لا يكون إلا في المباح دون المحرم، وبيان ذلك

من وجوه :

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٢٢٨/٣) ح (٥١٧٦) من طريق معمر عن الزهري عن أبي بكر بن عبد

الرحمن بن الحارث عن أبيه قال سمعت عثمان رضي الله عنه يقول: اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث

(٢) ينظر: نيل الأوطار (٢٣٠/٨) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧٣/٢٤ - ٢٧٥) .

الوجه الأول : أن الله هو الذي قدر الأمراض، وقدر لها الدواء، وهو المحيط بكل شيء علماً، فما أثبتته فهو المستحق أن يثبت، وما نفاه فهو المستحق أن ينفي، قولاً وعملاً واعتقاداً .

الوجه الثاني : أن الله شرع لإزالة الأمراض أسباباً شرعية، وأسباباً طبيعية وعادية، فالأسباب الشرعية مثل: قراءة القرآن، والأدعية، وقوة التوكل، ونحو ذلك .
وأما الطبيعية فمثل : ما يوجد عند المريض من قوة البدن التي تقاوم المرض حتى يزول.

وأما الأسباب العادية فمثل: الأدوية التي تركب من الأشياء المباحة، فكيف تجتنب الأسباب المشروعة، إلى أسباب يَأْثُم مرتكبها إذا كان عالماً بالحكم ؟
الوجه الثالث : أن أصل التداوي مشروع، وليس بواجب، فلا يجوز ارتكاب محظور من أجل فعلٍ جائز .

الوجه الرابع : أن زوال المرض مظنونٌ بالدواء المباح، وأما بالدواء المحرم فمتوهم، فكيف يرتكب الحرام لأمرٍ متوهم ؟!

الوجه الخامس : أنه ﷺ قال في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه : " وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ " فهذا نهي، والنهي يقتضي التحريم ^(١)، كما هو رأي جمهور العلماء، إلا أن يصرفه صارف، ولا صارف هنا ^(٢) .



(١) ينظر: فتح الباري (١٤٥/٣)، التبصرة (٩٩/١)، روضة الناظر (٢١٧/١)، نيل الأوطار (٤٠/١) .

(٢) ينظر: موقف الإسلام من الخمر ص (٥٩)، الاضطراب إلى الأطعمة والأدوية المحرمة ص (١٣٨) .

الباب الحادي عشر : المنهج النبوي في دعوة غير المسلمين

وفيه ستة فصول :

- الفصل الأول : عالمية الدعوة الإسلامية .
 - الفصل الثاني : حكم دعوة غير المسلمين .
 - الفصل الثالث : أصناف المدعوين من غير المسلمين .
 - الفصل الرابع : وسائل دعوة غير المسلمين .
 - الفصل الخامس : التسامح مع غير المسلمين، وأثره في تأليفهم ودعوتهم
- وفيه أربعة مباحث :

- المبحث الأول : التسامح مع غير المسلمين في السنة القولية .
 - المبحث الثاني : التسامح مع غير المسلمين في السنة الفعلية .
 - المبحث الثالث : أثر التسامح في دعوة غير المسلمين .
 - المبحث الرابع : شهادات غير المسلمين بأثر التسامح الإسلامي عليهم.
- الفصل السادس : تفنيد دعوى انتشار الإسلام بالسيف .

الفصل الأول

عالمية الدعوة الإسلامية

بما أن المكلفين من العالمين هم : الإنس والجن، فعالمية الدعوة الإسلامية تعني إن رسالة محمد ﷺ عامة لهما ، وأن الدعوة إلى هذه الرسالة متوجهة إليهما .

وقد وردت آيات كثيرة تدل على عالمية الدعوة الإسلامية فمن ذلك :

قول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) ، أي: " وما أرسلناك يا محمد بالشرائع والأحكام إلا رحمة لجميع الناس " ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ ^(٣) ، ومن أدلة شمول دعوته ﷺ للجن قوله تعالى : ﴿ يَنْقُومَنَّا إِلَيْجُيُودَا عَى اللَّهِ ﴾ ^(٤) .

أما من السنة : فقد وردت كثير من الأحاديث الدالة على عالمية الدعوة الإسلامية منها :

الحديث الأول: حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: " أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَعَائِنُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً " ^(٥) .

(١) سورة الأنبياء الآية: ١٠٧ .

(٢) فتح القدير (٦١٦/٣) .

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٥٨ .

(٤) سورة الأحقاف الآية: ٣١ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التيمم ، باب: قوله تعالى: ﴿ فلم تجدوا ماء فتيمموا ﴾ ، ح (٣٣٥) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح (٥٢١) .

الحديث الثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " فَضَّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَسْتُ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ " (١) .

الحديث الثالث: حديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ " (٢) .

الحديث الرابع: حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا فَقَالَ: " لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجَنِّ لَيْلَةَ الْجَنِّ ، فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿ فَإِنِّي إِلَٰهٌ رَبِّكُمْ ﴾ تُكَذِّبَانِ ۖ قَالُوا : لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمِكَ رَبَّنَا نَكْذِبُ فَلَكَ الْحَمْدُ " (٣) .

وفعله ﷺ كذلك يدل على عالمية الدعوة فقد أخذ يعرض نفسه على القبائل في أسواق العرب ، وفي المواسم ، فعن رجل من بني مالك بن كنانة قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَتَخَلَّلُهَا يَقُولُ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا " (٤) .

وفعل الصحابة رضي الله عنهم بعد النبي ﷺ يدل أيضاً على عالمية الدعوة فبعد وفاته ﷺ واستلام أبي بكر رضي الله عنه الخلافة وبعد قضائه على فتنة الردة في السنة الحادية عشر من الهجرة بدأ بالفتوحات الإسلامية نشرًا للدعوة ، حيث أرسل الجيوش إلى العراق، وإلى الشام ، ثم تابع ذلك من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومن بعده عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث امتدت الدولة الإسلامية من حدود الصين إلى طرابلس الغرب شرقاً وغرباً ، ومن أرمينية إلى اليمن شمالاً وجنوباً .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح (٥٢٣) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب: وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ح (١٥٣) .

(٣) أخرجه الترمذي ، في جامعه ، كتاب: تفسير القرآن ، تفسير سورة الرحمن ح (٣٢١٣) من طريق الوليد ابن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣٤١/٤) من طريق شيبان عن أشعث عن شيخ من بني مالك بن كنانة قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ ... الحديث .

وقد كان لهذا الدين العظيم عدة خصائص كانت سبباً في انتشار دعوته ، وهي :

أولاً: سلامته من التحريف بحفظ الكتاب والسنة :

فالإسلام دين محفوظ بحفظ الله سبحانه وتعالى ، فلم تدخله تحريفات البشر ، ولم يخالطه شيء من آرائهم ، فالقرآن بحمد الله قد نقل إلينا متواتراً ، والسنة النبوية نقلها الصحابة عن الرسول ﷺ وتلقاها عنهم التابعون حتى حفظت بمصادرها بالسند إلى رسول الله ﷺ ، حيث اهتم العلماء بجمعها ودراسة سند كل رواية منها، فتميز بذلك المقبول من المردود ، واطمأنت الأمة على هذا المصدر ، واستوثقت من عبث العابثين .

ثانياً: شموله الموضوعي والزماني والمكاني :

والمقصود بالشمول الموضوعي: أي وفاؤه بجميع حاجات الإنسان الاعتقادية والعملية، قال سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝﴾^(١) ، ودين الإسلام قد وفي كل الحاجات بتشريعاته وبشكل كامل متوازن لا عيب فيه ولا نقص ، كيف لا وهو من عند خالق الخلق سبحانه وتعالى، وكذلك الشمول الزماني واستمرارية صلاحية الدين الإسلامي للبشرية إلى قيام الساعة، والشمول المكاني وعدم اقتصار صلاحيته بإقليم معين أو بلد مخصوص، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأَتَذْكُرَكَ بِهِ ۝﴾^(٣)، أما المذاهب والقوانين الوضعية ، فإنها لا تتميز بخاصية الشمول الموضوعي إذ تهتم بجوانب وتهمل أخرى .

ثالثاً: الوسطية :

فإنها من أعظم خصائص الإسلام في شرائعه المختلفة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ۝﴾^(٤) ، قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : " والمسلمون وسط في التوحيد بين

(١) سورة المائدة الآية: ٣ .

(٢) سورة الأنبياء الآية: ١٠٧ .

(٣) سورة الأنعام الآية: ١٩ .

(٤) سورة البقرة الآية: ١٤٣ .

اليهود والنصارى ، فاليهود تصف الرب بصفات النقص التي يختص بها المخلوق كما قالوا: إنه بخيل وفقير ... والنصارى يصفون المخلوق بصفات الخالق التي يختص بها ... وكذلك في النبوات فاليهود تقتل بعض الأنبياء وتستكبر على أتباعهم ... والنصارى يجعلون من ليس بنبي ولا رسول نبياً ورسولاً ... فالنصارى تصدق بالباطل واليهود تكذب بالحق... " (١) ، ثم بين - رحمه الله - مظاهر هذه الوسطية في العبادات، فقال: " فالنصارى يعبدونه ببدع ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان ، واليهود معرضون عن العبادات حتى في يوم السبت الذي أمرهم الله أن يتفرغوا فيه لعبادته " (٢) . وهكذا في كل شرائع الإسلام تظهر هذه الوسطية بين جانبي الإفراط والتفريط رحمة من الله تعالى ؛ لتحقيق بهذا الدين مصالح العباد الدينية والدنيوية .

رابعاً: أنه دين الفطرة :

فالإسلام بتعاليمه السمحة ، متسق مع الفطرة السليمة ، وكل إنسان يولد مستعداً لقبول الإسلام مهياً له ، قال ﷺ : " مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ " (٣) .

فتعاليم الإسلام لا تصطدم بغرائز الإنسان التي جبله الله عليها ، بل إنها تذيبها وتوجهها الوجهة التي تحقق الهدف من وجود الإنسان على هذه الأرض ، مع تلبية حاجاته المختلفة وإشباع غرائزه وميوله الطبيعية التي جبله الله عليها (٤) .



(١) منهاج السنة (١٦٨/٥) .

(٢) منهاج السنة (١٧١/٥) .

(٣) أخرجه البخاري ، في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب: إذا أسلم الصبي ، فمات هل يصلى عليه ، ح (١٣٥٨) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ح (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة ؓ .

(٤) ينظر ما سبق في مقدمة هذا البحث عن هذا الموضوع ، وأيضاً كتاب " دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية " لـ : سليمان بن عبد الله بن صالح الرومي (٤٩/١ - ٦٢) .

الفصل الثاني حكم دعوة غير المسلمين

تبليغ هذا الدين ونشره بين العالمين واجب من واجبات الإسلام، ويدلّ على ذلك ما يلي :

الدليل الأول : قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(١) .

فأمر الله نبيه ﷺ بإبلاغ ما أنزله إليه من أحكام الدين جميعه إلى الناس كافة؛ ولم يخصّ بالبلاغ قوماً دون قوم، أو أناساً دون آخرين، وهذا مقتضى لعموم الرسالة الخالدة^(٢) .

الدليل الثاني : قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(٣) .
وجه الدلالة : أنه يلزم من عموم رسالة النبي ﷺ إلى الناس كافة: وجوب تبليغ أحكام هذا الدين إلى العرب والعجم، بكل وسيلة مستطاعة .
قال ابن جرير - رحمه الله - : " يقول - تعالى ذكره - لنبيه محمد ﷺ قل: يا محمد للناس كلهم إني رسول الله إليكم جميعاً، لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي

(١) سورة المائدة، الآية : ٦٧ .

(٢) قال الطبري (٣٠٧/٦) : " وهذا أمر من الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ بإبلاغ هؤلاء اليهود والنصارى من أهل الكتابين، الذين قصّ الله تعالى قصصهم في هذه السورة، وذكر فيها معانيهم، وخبث أديانهم، واجترأهم على ربهم، وتوثبهم على أنبيائهم، وتبدلهم كتابه، وتحريفهم إياه، ورداءة مطاعمهم، وماكلهم، وسائر المشركين غيرهم ما أنزل عليه فيهم من معانيهم، والإزراء عليهم، والتقصير بهم، والتهجين لهم، وما أمرهم به ونهاهم عنه، وأن لا يشعر نفسه حذراً منهم أن يصيبه في نفسه مكروه ما قام فيهم بأمر الله، ولا جزءاً من كثرة عددهم، وقلة عدد من معه، وأن لا يتقي أحداً في ذات الله؛ فإن الله تعالى كافيه كل أحد من خلقه، ودافع عنه مكروه كل من يتقي مكروهه، وأعلمه تعالى ذكره أنه إن قصر عن إبلاغ شيء مما أنزل إليه إليهم فهو في تركه تبليغ ذلك، وإن قل ما لم يبلغ منه فهو في عظيم ما ركب بذلك من الذنب بمثلته لو لم يبلغ من تزييله شيئاً " .

(٣) سورة الأعراف الآية : ١٥٨ .

من الرسل مرسلًا إلى بعض الناس دون بعض، فمن كان منهم أرسل كذلك فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض، ولكنها إلى جميعكم" (١) .

الدليل الثالث : قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

وجه الدلالة : ما ذكره ابن جرير - رحمه الله - قائلاً : " ذكر من قال ذلك، حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾، قال : أرسل الله محمداً إلى العرب والعجم، فأكرمهم على الله أطوعهم له، ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال : " أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وبلال سابق الحبشة، وسلمان سابق فارس " (٣) .

الدليل الرابع : قول الله تعالى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤)

ومعنى الآية الكريمة : ولتكن منكم أيها المؤمنون أمة، أي: جماعة يدعون الناس إلى الخير، يعني إلى الإسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده، ويأمرون بالمعروف، أي : يأمرون الناس باتباع محمد ﷺ ودينه الذي جاء به من عند الله، وينهون عن المنكر، يعني وينهون عن الكفر بالله، والتكذيب بمحمد، وبما جاء به من عند الله، بجهادهم بالأيدي، والجوارح، حتى ينقادوا لكم بالطاعة (٥) .

وما ذكر في هذه الآية الكريمة من الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو من فروض الكفاية، إذا قام بها بعض أفراد الأمة المسلمة سقط الإثم عن الباقيين، وإن لم يقم بها أحدٌ أثم الجميع (٦) .

(١) تفسير الطبري (٨٦/٩) .

(٢) سورة سبأ، الآية : ٢٨ .

(٣) أخرجه الطبري (٩٦/٢٢)، وابن أبي شبة في المصنف ح (٣١٧٢٩)، من طريق: محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ؓ .

(٤) سورة آل عمران، الآية : ١٠٤ .

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٣٨/٤)، مجموع الفتاوى (٨/٢٠)، فتح القدير (٣٦٩/١) .

(٦) ينظر: إعانة الطالبين (٢٨٨/١)، مجموع الفتاوى (٩٧/١٩) .

الدليل الخامس : قوله ﷺ " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " (١) .

وجه الدلالة : أن الأمر بالتبليغ ورد مطلقاً، ولم يقيد بطائفة، ولا بجنس معين، وهذا دليل العموم، كما هو مقتضى عموم رسالة الإسلام (٢) .

الدليل السادس : قوله ﷺ " أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي، ... وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعثَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً " (٣)

وجه الدلالة : أن عموم الرسالة خاصٌّ به ﷺ (٤) وإذا كانت رسالته عامّة إلى أهل الأرض قاطبة، لزم من ذلك أمته التبليغ، كما لزمه هو ﷺ ، والله أعلم .

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : " الدعوة إلى الله تجب على كل مسلم، لكنها فرض على الكفاية، وإنما يجب على الرجل المعين من ذلك ما يقدر عليه، إذا لم يقم به غيره، وهذا شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبليغ ما جاء به الرسول، والجهاد في سبيل الله، وتعليم الإيمان والقرآن ... " (٥) .

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - : " وصرّح العلماء أن الدعوة إلى الله ﷻ فرض كفاية، إذا قام بها من يكفي بالنسبة إلى الأقطار التي يقوم فيها الدعاة، فإن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل ح (٣٤٦١) ، والترمذي في جامعه ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل ح (٢٦٦٩) ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - ، قال الترمذي: " حديث صحيح " .

(٢) قال الطبري (١٦٢/٧) : " ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول " يا أيها الناس بلغوا ولو آية من كتاب الله فإنه من بلغه آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله أخذه أو تركه " وسنده ضعيف لانقطاعه، وينظر: شرح معاني الآثار للطحاوي (١٢٨/٤) ، الاستذكار لابن عبد البر (٤١٨/٥) ، تحفة الأحوذى (٣٦٠/٧) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التيمم ، باب: قوله تعالى : ﴿ فلم تجدوا ماء فتيمموا ﴾ ح (٣٣٥) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ح (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - .

(٤) قال الصنعاني في سبل السلام (٩٤/١) : " فأما نوح فإنه بعث إلى قومه خاصة، نعم صار بعد إغراق من كذب به مبعوثاً إلى أهل الأرض؛ لأنه لم يبق إلا من كان مؤمناً به، ولكن ليس العموم في أصل البعثة، وقيل غير ذلك، وبهذا عرفت أنه ﷺ مختص بكل واحدة من هذه الخمس، لا أنه مختص بالجميع، وأما الأفراد فقد شاركه غيره فيها كما قيل، فإنه قول مردود، وفي الحديث فوائد جلية مبينة في الكتب المطولة " .

(٥) مجموع الفتاوى (١٦٦/١٥) .

كلّ قطرٍ وكل إقليمٍ يحتاج إلى الدعوة، وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية، إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقي ذلك الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقي سنة مؤكدة، وعملاً صالحاً جليلاً ، وإذا لم يقيم أهل الإقليم، أو أهل القطر المعين بالدعوة على التمام صار الإثم عاماً، وصار الواجب على الجميع، وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكانه، أما بالنظر إلى عموم البلاد، فالواجب أن يوجد طائفة منتصبة، تقوم بالدعوة إلى الله - جل وعلا - في أرجاء المعمورة، تبلغ رسالات الله، وتبين أمر الله ﷻ بالطرق الممكنة" (١) .



(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - (٣٣٤/٢ - ٣٣٥)، وينظر مكانة الدعوة إلى الله وأسس دعوة غير المسلمين، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص (١٨) .

الفصل الثالث

أصناف المدعويين من غير المسلمين

ينقسم غير المسلمين إلى أقسام متعددة، وأنواع متنوعة متباينة، وبيانهم كما يلي :

القسم الأول : الملاحدة وهم الذين ينكرون وجود الله، ويحدونه، كالدهريين قديماً، الذين ذكر الله عنهم في القرآن أنهم قالوا : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (١) ، وكالشيوعيين حديثاً، الذين شعارهم: أن لا إله والحياة مادة، فأنكروا وجود الله وجميع الأمور الغيبية، كالبعث، والحساب، والجنة، والنار، ونحو ذلك .

القسم الثاني: المشركون، وهم أهل الأوثان والأصنام، الذين عبدوا مع الله غيره، وأشركوا معه سواه من الأنداد والوسطاء، يحبونهم كحب الله، ويصرفون لهم من الخضوع، والذل، والعبادة ما لا يصرف إلا لله، يقول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ (٢) ، ويقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (٣) ، وهؤلاء لا ينكرون وجود الله وخلقهم للأشياء، بل يؤمنون بأنه الخالق، الرازق، المنعم المدبر، لكن جعلوا بينهم وبينه وسطاء، يدعونهم ويسألونهم ويستغيثون بهم، ويصرفون لهم أنواع العبادة، (٤) ، كما قال سبحانه ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (٥) .

القسم الثالث : المرتدون، وهم الذين دخلوا في هذا الدين، وأذعنوا لشرع رب العالمين، ثم نكصوا على أعقابهم، وكفروا بعد إيمانهم، وارتدوا بعد إسلامهم، وفي هذا القسم يقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتَ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي

(١) سورة الجاثية، الآية : ٢٤ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٦٥ .

(٣) سورة الزمر، الآية : ٣ .

(٤) ينظر: مكانة الدعوة إلى الله وأسس دعوة غير المسلمين، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص (٢٧)

(٥) سورة يونس، الآية : ١٨ .

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ^(١) ، ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ^(٢) .

والمرتدون في الجملة صنفان :

- ١ - صنف ارتدوا عن الدين، وناذبوا الملَّة، وانتقلوا إلى الكفر .
 - ٢ - وصنف آخر، فرَّقوا بين أحكام الدين، فأمنوا ببعض، وكفروا ببعض، كالذين فرقوا بين الصلاة والزكاة ^(٣) .
- والارتداد عن الدين، والخروج منه يكون بأمور عديدة، عقد لها أهل العلم أبواباً خاصةً في كتب الأحكام، وأطلقوا عليها " أحكام المرتدين " .
- وللردة أسباب عديدة، ودوافع متنوعة، منها اتباع الأهواء، والجهل بالدين، والطمع في الدنيا، ودعاة السوء ^(٤) .

القسم الرابع : أهل الكتاب، وهم الذين لم يؤمنوا برسالة محمد ﷺ من أهل الديانات السماوية السابقة، كاليهود والنصارى، وسما أهل الكتاب؛ لكونهم منتسبين إلى كتبهم السابقة، مع ما اعترأها من تحريفٍ وتغييرٍ وتبديل، فمن لم يؤمن بنبوَّة محمد ﷺ ويتبعه من هؤلاء فهو كافر؛ لأنَّ رسالة محمد ﷺ ناسخة للشرائع السابقة، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ، يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ " ^(٥) .

القسم الخامس : المنافقون، وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون في قلوبهم الكفر والفسوق والعصيان، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾ ^(٦) ، وهذا الصنف هم أغلظ الكفار كفراً، وأعظمهم عقوبة؛ ولذا

(١) سورة البقرة، الآية : ٢١٧ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٠٨ .

(٣) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٢٠٢/١)، مكانة الدعوة إلى الله وأسس دعوة غير المسلمين ص(٢٨)

(٤) المصدرين السابقين .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ح (١٥٣) من

حديث أبي هريرة ؓ .

(٦) سورة البقرة، آية : ١٤ .

ولذا فإنَّ الله تعالى جعل عقوبات هؤلاء في النار أشدَّ العقوبات؛ فجعلهم في أسفل دركاتهما، وأحطَّ منازلها، فقال في شأنهم - جلَّ وعلا - ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾^(١) ، كما أنَّ المنافقين أشدُّ الأصناف على المسلمين خطراً؛ ولذلك قال الله تعالى عنهم بعد أن ذكر عدداً من صفاتهم ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يُحَسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنُكَلِّهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾^(٢) .

فجميع هؤلاء الكفار على اختلاف أصنافهم مخاطبون بالدعوة الإسلامية، مطالبون بالدخول في الدين الإسلامي؛ لينقذوا أنفسهم من النار يوم القيامة، وليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة، وليسلموا من الخزي العظيم والخسران المبين، ويجب على المسلمين أن يبلغوهم رسالة الإسلام، وأن يبينوا لهم هذا الدين، ولا سيما في وقتنا الحاضر .

وينبغي عند دعوة هؤلاء أن تراعى أحوالهم، وأن يعرف الداعية نوع كفرهم، وما لديهم من شبه فيه، ثم يخاطب كل قوم بالأسلوب المناسب لهم، وكل فئة بالطريقة المؤثرة فيها، ولا ريب أنَّ طريقة إبلاغ الدعوة للملحد مختلفة عن إبلاغها للمشرك، وطريقة إبلاغها للمشرك مختلفة عن طريقة إبلاغها للكتابي، وهكذا، كما ينبغي أيضاً أن تراعى نفسياتهم، وأحوالهم، ومواقفهم من الدين، فمنهم الراغب في الخير، ولكنه غافل قليل البصيرة، ومنهم المعرض عن الحق، المشتغل بغيره، ومنهم المعاند المجادل، ولكلِّ صنفٍ من هؤلاء أسلوب يناسبه عند دعوته .

وهذا هو مقتضى الحكمة التي أمر الله بها في قوله : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾^(٤) .



(١) سورة النساء، الآية : ١٤٥ .

(٢) سورة المنافقون، الآية : ٤ .

(٣) سورة النحل الآية: ١٢٥

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٦٩ .

الفصل الرابع

وسائل دعوة غير المسلمين

وسائل دعوة غير المسلمين كثيرةٌ متعدّدة، وبيّناها كالتالي :

الوسيلة الأولى : مراسلتهم بالدعوة إلى الدخول في الإسلام .

وقد راسل النبي ﷺ عدداً من الناس يدعوهم فيها إلى الإسلام، ومن تلك المراسلات ما يلي :

١- رسالته إلى النجاشي .

فقد وجّه النبي ﷺ إلى النجاشي رسائل عديدة، يهمننا منها هذا الخطاب الذي يدعو فيه النبي ﷺ ملك الحبشة النجاشي لاعتناق الإسلام، وقد جاء في تلك الرسالة العظيمة قوله ﷺ : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله، إلى النجاشي عظيم الحبشة، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد : فإني أحمد إليك، الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول، الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالة على طاعته، وأن تتبعني، وتوقن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله ﷻ، وقد بلغت ونصحت، ما قبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى " (١) .

فردّ عليه النجاشي ﷺ بقوله : " بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله، من أصحمة (٢) النجاشي، سلام عليك يا نبي الله، من الله ورحمة الله وبركاته، الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد : فقد بلغني كتابك يا رسول الله، فما ذكرت من أمر عيسى فو ربّ

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه (٢٩٤/٢) من طريق ابن حميد قال : حدثنا سلمة قال حدثنا ابن إسحاق قال بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتابا ، وينظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي ص (١٠٢) .

(٢) وأصحمة بالنبطية : اسم رجل، والمراد بها هنا " ملك الحبشة " كما في لسان العرب (٣٣٣/١٢)، القاموس المحيط، ص (٧٨٣)، وقيل : إنّ هذه الكلمة اسم النجاشي، كما في المصباح المنير (٥٩٤/٢) .

السماء والأرض أن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تفريقاً^(١) وأنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، وأشهد أنك رسول الله صادقاً مصداً، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين " (٢).

٢- رسالته إلى هرقل ملك الروم .

كان نصُّ الرسالة النبوية إلى هرقل^(٣): " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ (٤)، ﴿قُلْ يَتَّهَلَّ أَلْكُتَبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٥) .

٣- رسالته إلى كسرى ملك الفرس :

وقد حملها إليه عبد الله بن حذافة رضي الله عنه ، وكان نصها : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فأني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإنَّ إثم الجوس عليك " (٦) .

(١) التفريق: علاقة ما بين النواة والقمع، ينظر: لسان العرب (١٠ / ٣٤)، وكأن المراد: إلغاء الفارق بين قول النبي ﷺ وبين قول عيسى عليه السلام.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (٢٩٤/٢) ، وينظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي ص (١٠٢) .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ح (٧) ،
ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: كتاب النبي إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ح (١٧٧٣) .
(٤) المعنى : أن أهل السواد كانوا أهل فلاحه، وهم رعية كسرى، وكان دينهم المجوسية، فأعلم النبي ﷺ كسرى أنه إن لم يؤمن - وهو من أهل الكتاب - فإنَّ عليه إثم الجوس، وهم الذين لا كتاب لهم، ينظر الفائق في غريب الحديث (٣٦/١)، غريب الحديث للخطابي (٥٠٠/١)، النهاية لابن الأثير (٧٩/١) .
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٦٤ .

(٦) أخرجه الطبري في تاريخه (٢٩٦/٢) من طريق ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن حبيب قال: وبعث ﷺ عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه وأصلها في صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك

٤ - رسالته إلى المقوقس ملك القبط :

وقد كانت وثيقة الدعوة الموجهة إلى المقوقس ملك القبط، التي حملها حاطب بن أبي بلتعة، على النحو التالي : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم القبط، ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَمْ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١) (٢) .

٥ - خطاب النبي ﷺ إلى ملك البحرين :

وقد حملها إلى المنذر بن ساوى أمير البحرين العلاء بن عبد الله الحضرمي، وكان نصها: " من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلامٌ عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد : فإني أذكرك الله ﷻ، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، إنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية (٣) .

ولقد صحب هذه الرسائل الخمس خطابات مماثلة إلى جهات أخرى، من أمثال اليمامة، وعمان، واليمن، والجولان .

الأرض ح (١٧٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوه إلى الله تعالى، وينظر السيرة الحلبية (٣٦٨/٢ - ٣٦٩)، مجموعة الوثائق السياسية لعهد النبي ص (١٣٩) معاملة غير المسلمين في الإسلام - المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية - ص (٥٤٥) .

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤ .

(٢) لم أجدها مسندة، ولكن ذكرها ابن خلدون في تاريخه (٤٤٩/٢)، وينظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي ص (١٣٧) .

(٣) لم أجدها مسندة، ينظر: صبح الأعشى للقلقشندي (٣٧٧/٦)، السيرة الحلبية للحلي (٣٧٤/٢) .

الوسيلة الثانية : الرفق بهم لترغيبهم في الإسلام .

يشرع في حق غير المسلمين - لاسيما أهل الذمة - : أن يعاملوا معاملةً حسنة، لا أذى فيها ولا غلظة، ودون سبٍّ وشتم، أو قهرٍ ونهر، أو إذلالٍ وإهانة؛ لأنَّ فيه إلحاقاً للأذى بهم، والدين لا يبيح أذيتهم بحال .

وقد جاءت السنة النبوية بالوصية بأهل الذمة عموماً، والأقباط منهم خصوصاً في أحاديث عديدة منها :

الحديث الأول : عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذَكَّرُ فِيهَا الْفَيْرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا ، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا " ^(١) .

وجاء الحديث عن كعب بن مالك رضي الله عنه بلفظ : " إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً " ^(٢) .

قال النووي - رحمه الله - : " وأما الذمة، فهي الحرمة والحق، وهي هنا بمعنى الدمام، وأما الرحم، فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصهر، فلكون مارية أم إبراهيم منهم " ^(٣) .

الحديث الثاني : عن أم سلمة - رضي الله عنها - : أنه ﷺ أوصى عند وفاته فقال : " الله الله في قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم ويكونوا لكم عدة وأعواناً في سبيل الله " ^(٤) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة، باب: وصية النبي بأهل مصر ح (٢٥٤٣)، وأحمد في مسنده (١٧٣/٥) ح (٢١٥٦٠) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥٨/٦) ح (٩٩٩٦)، والحاكم في مستدركه (٥٥٣/٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٢٤/٣)، والطبراني (١١١/١٩ ، ١١٢)، والبيهقي في الدلائل (٣٢٢/٦)، من طريق معمر عن الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه، قال الهيثمي الجمع (٦٦/١٠) : " رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح " ، وقال الحاكم في المستدرک (٥٥٣/٢) : " حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه " ، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة (٣٦٢/٣) .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٩٧/١٦) .

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٦٥/٢٣) ح (٥٦١)، من طريق جرير عن يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي سلمة، قال الهيثمي في الجمع (٦٦/١٠) : " رجاله رجال الصحيح " .

الحديث الثالث : عن أبي عبد الرحمن الحبلي وعمرو بن حريث يقولان : إن رسول الله ﷺ قال : " إنكم ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم فاستوصوا بهم، فإنه قوة لكم، وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله "، يعني : قبط مصر ^(١) .

الحديث الرابع : عن عائشة - رضي الله عنها - : أن النبي ﷺ كان لا يقاتل عن أحد من أهل الشرك إلا عن أهل الذمة ^(٢) .

الحديث الخامس: عن هشام بن حكيم رضي الله عنه : أنه مرَّ على أناسٍ من الأنباط ^(٣) بالشَّامَ قَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ، فَقَالَ: مَا شَأْنُهُمْ ؟ قَالُوا: حُبِسُوا فِي الْجَزْيَةِ ^(٤) ، فَقَالَ هِشَامُ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا " ^(٥) . وإلحاق الأذى بهم يزهدهم في الإسلام ويرغبهم عنه، وتسوء نظرهم إلى الإسلام، وقد تحجبهم عن الدخول فيه ، مع أن الإسلام لم يحقن دماءهم، ويكتفٍ منهم بأخذ

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان ح (٦٦٧٧)، وأبو يعلى في مسنده ح (١٤٧٣)، ومن طريقه أورده ابن الأثير في أسد الغابة (٢١٤/٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦٤/١٠)، من طريق حيوة قال : حدثنا أبو هانئ حميد بن هانئ عن أبي عبد الرحمن الحبلي وعمرو بن حريث، وأخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر وأخبارها ص (٤)، من طريق ابن وهب عن أبي هانئ، والحديث مرسل، وأبو عبد الرحمن الحبلي تابعي، وعمرو بن حريث مصري، روايته عن النبي ﷺ مرسل، قال البخاري في تاريخه (٣٢١/٦) : " عمرو بن حريث عن النبي ﷺ مرسل "، وقال يحيى بن معين في تاريخه ص (٤٤١) : " عمرو بن حريث الذي يروي عنه أبو هانئ " استوصو بالقبط خيراً " هو عمرو بن حريث، ولم يسمع من النبي ﷺ شيئاً، إنما هو رجل من مصر" (٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٢٧٢/٢) ح (١٦٨٤)، والدارقطني في سننه (١٤٨/٤)، مرسلًا من طريق رشدين بن سعد عن عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة، وهو ضعيف ؛ لأنه من رواية رشدين بن سعد وهو ضعيف، ينظر : التقريب ص (٢٠٩) .

وأما حديث " لهم ما لنا، وعليهم ما علينا " أي : أهل الذمة فقد ضعفه الزيلعي في نصب الراية (٥٥/٤)، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٢٢/٣) : " باطل لا أصل له " .

(٣) قال في المغرب (٢٨٤/٢) : " النبط جيلٌ من الناس بسواد العراق " قال في كتاب العين : سموا به لأنهم أول من استنبت الأرض، والنسبة إليهم نبطيٌّ، وهم قومٌ يتزلون سواد العراق، والجمع : الأنباط " ولعل المراد بهم الفلاحون، الذين يستخرجون الماء من الأرض، ويحرثون ويزرعون من العجم .

(٤) قوله : " في الجزية " أي بسبب الجزية، والمعنى : أنهم يعجزون عن أدائها، فيحبسون عند ذلك، ينظر : الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، ص (٢٥) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة ، باب: الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق ، ح (٢٦١٣) .

الجزية إلاّ من أجل أن تكون لهم فسحة وقتٍ للتأمل والنظر في هذا الدين، فيدخلوا في دين الله عن رضا واقتناع .

من هنا نعلم أن الإسلام يدعو إلى حسن معاملتهم، والتأدب معهم، والرفق بهم، وأدلة هذا متضاربة، أذكر منها الأدلة الآتية :

الدليل الأول : قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١) ، قال الإمام الطبري - رحمه الله - عند هذه الآية : " قوله ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ، أي بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حججه، وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ ، أي الذين امتنعوا عن أداء الجزية، ونصبوا دونها الحرب " ^(٢) .

الدليل الثاني : حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ^(٣) ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهَّمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَهَلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ " ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قُلْتُ : "وَعَلَيْكُمْ"^(٤) .

هكذا كانت معاملة رسول الله ﷺ لغير المسلمين، ولنا فيه أسوة حسنة.

الدليل الثالث : ما ذكر ابن إسحاق في مغازيه: أن وفد نصارى نجران لما وفدوا على النبي ﷺ دخلوا عليه في مسجده بعد صلاة العصر، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ : دعوهم، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم^(٥) .

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٦ .

(٢) تفسير الطبري (٣٢/٢١) .

(٣) السام : الموت ، ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة (٣٥٧/١) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب، باب: الرفق في الأمر كله ح (٦٠٢٤) ، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام ، باب : النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ح (٢١٦٥) من حديث عائشة - رضي الله عنها - .

(٥) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٥٧ / ١) ، سيرة ابن هشام (٢٣٩/٢ - ٢٤٠) ، زاد المعاد (٦٢٩/٣) ، وسيرة ابن كثير (١٠٨/٤) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : " فيها جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين ، وفيها تمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين ، وفي مساجدهم أيضاً ، إذا كان ذلك عارضاً ، ولا يمكنون من اعتياد ذلك " (١) .

تلك وصايا الإسلام حول أهل الذمة ونحوهم ، وقد اختصرها الإمام القرافي - رحمه الله - بقوله : " الرفق بضعيفهم ، وسدُّ خلة فقيرهم ، وإطعام جائعهم ، وإكساء عاريهم ، ولين القول لهم على سبيل التلطف لهم والرحمة ، لا على سبيل الخوف والذلة ، واحتمال إذايتهم في الجوار مع القدرة على إزالتهن لطفاً منّا بهم ، لا خوفاً وتعظيماً ، والدعاء لهم بالهداية ، وأن يجعلوا من أهل السعادة ، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم ، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم ، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم ، وجميع حقوقهم ومصالحهم ، وأن يعانون على دفع الظلم عنهم ، وإيصالهم لجميع حقوقهم " (٢) .

تلك هي وصايا الإسلام التي تنبئ عن رفق وتسامح كبير يرغب غير المسلمين في الدخول في دين الله ، واعتناقه عن رغبة وقناعة تامة لا تتبدل ولا تزول .

الوسيلة الثالثة من وسائل دعوة غير المسلمين : تعلم لغتهم .

وليس خاف اليوم على لب أن الأمم ودول العالم اليوم تُسابق غيرها في نشر لغتها ، وتسعى جاهدة في فرض لغتها لتكون سائدة على بقية اللغات ، ورائدة قبل غيرها في الذبوع والشهرة والانتشار ؛ لأن اللغة هي السبيل إلى نشر الثقافة والقيم والعادات والأخلاق ، وهي ذراع متين للانتصار والفوز في صراع الحضارات ، وعلامة قوية من علائم القوة والغلبة للآخرين ، وهذا ما نجده جلياً في أشهر لغات العالم اليوم ، حيث فرضت هذه اللغة على بقية الدول ، وصارت لغة التعامل والتخاطب بين الدول ، بينما تلاشت وانقرضت بعض اللغات ؛ بسبب ضعفها وضعف أربابها ، في خضم قوة اللغات الغازية الشهيرة ، ولكن دعاة الإسلام يختلفون عن غيرهم في اتخاذ المواقف تجاه اللغات القوية الذائعة ، حين يجعلونها وسيلة إلى الدعوة إلى هدى الإسلام ونوره ، ويقلبون الحنة

(١) ينظر: زاد المعاد (٣/ ٦٣٨) ، أحكام أهل الذمة لابن القيم (١/ ١٩١) .

(٢) الفروق (٣/ ١٥) .

إلى منحة، وإلى مكتسب رائع وكبير، لنشر دعوة الحق، وهداية الناس، وإخراجهم من ظلمات الكفر وجهالات الضلال، إلى أنوار الإسلام، وهدى الإيمان .

إنما مكتسب كبير حينما تكون وسيلة لمعرفة الآخر واتقائه، والأمن من كيده وضرره، وفي هذا يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه : أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ، قَالَ: " إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي "، قَالَ: فَمَا مَرَّ بِي نَصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ قَالَ: فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ ^(١) .

وقول زيد رضي الله عنه : " فكنت أكتب له إذا كتب، وأقرأ له إذا كتب إليه " دليل على الاهتمام بلغة غير المسلمين من أجل الدعوة إلى الله، وإيصال رسالة الإسلام إليهم، فاللغة وسيلة جليلة لتحقيق أهداف عدة :

١- إبلاغ رسالة الإسلام إلى الآخرين .

٢- فهم ما لديهم، ومعرفة حججهم، وما يثيرونه عن الإسلام من أباطيل ؛ لأجل تفنيد ذلك وإحقاق الحق .

٣- الأمن من مكرهم وخداعهم للمسلمين .

(١) أخرجه البخاري معلقاً ، كتاب الأحكام ، باب ترجمة الحكام ، (البخاري مع الفتح ١٨٦/١٣) قال: وقال خارجة بن زيد بن ثابت عن زيد بن ثابت: أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود، حتى كتبت للنبي ﷺ كتبه، وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه ، وأخرجه أبو داود في سننه ، كتاب العلم ، باب رواية حديث أهل الكتاب ح (٣٦٤٥)، والترمذي في جامعه، كتاب الاستئذان والأدب ، باب ما جاء في تعلم السريانية ح (٢٧١٥)، وأحمد في مسنده (١٨٢/٥)، والبيهقي في سننه (١٢٧/١٠)، والحاكم في مستدركه (٤٢٢/٣)، وابن سعد في الطبقات (٣٥٨/٢)، وعبد بن حميد كما في المنتخب ص (١٠٨)، ح (٢٣٤) من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه، قال الترمذي: " حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن زيد بن ثابت "، وصححه الحاكم في مستدركه (٤٢٢/٣)، وقال ابن حجر في الفتح (١٨٦/١٣) : " ورواه إسحاق وأبو بكر بن داود في كتاب المصاحف وأبو يعلى، وعبد الرحمن بن أبي الزناد مختلف فيه، والراجح أن حديثه حسن "، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣١٤/١) .

وأما حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " لا تعلموا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا عليهم في كنائسهم في عيدهم، فإن السخطة تنزل عليهم " ^(١) .

فهذا محمول على اعتيادها اعتياداً يجعلها عادة للمسلمين، تحل عندهم محل لغة القرآن الكريم كما هو واقع عند طوائف من المسلمين اليوم .

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : " يكره اعتياد الخطاب بغير اللغة العربية التي هي شعار الإسلام، ولغة القرآن الكريم، حتى يكون ذلك عادة للمصر وأهله، أو لأهل الدار، أو لأهل السوق، فإن ذلك من التشبه بالأعاجم " ^(٢) .

الوسيلة الرابعة من وسائل دعوة غير المسلمين : بعث الرسل والدعاة إليهم .

زحرت السنة النبوية بالكثير من الأمثلة العملية في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، بيعت الهداة والدعاة الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يرسلهم إلى بعض الأقطار لتبليغ رسالة الإسلام والدعوة إليه، وهداية الناس بمثله وتعاليمه، مما كان له بالغ الصدى في تلك الأقطار التي وصلوا إليها، ومن ذلك :

الحديث الأول : حديث ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ : " إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَكَلِيلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ " ^(٣) .

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤١١/١) ، والبيهقي في سننه (٢٣٤/٩)، من طريق ثور بن يزيد عن عطاء بن دينار عن عمر رضي الله عنه، وإسناده صحيح، وقد صحح إسناده ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (٤٥٥/١)، وابن القيم في شرح الشروط العمرية ص (٦٧) .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٤٦٩/١) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وترد على الفقراء حيث كانوا ح (١٤٩٦)، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ح (١٩) .

الحديث الثاني : حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ ^(١) صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تَفْعَلْ فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعِنَا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالَا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا ، فَقَالَ: " لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ " ، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: " قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ " ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ " ^(٢) .

هذان نموذجان للرسول الذين كان يبعثهم النبي ﷺ للدعوة إلى الإسلام، وغيرهما من نماذج كثيرة، كان لها جليل الأثر في نشر دعوة الإسلام في أصقاع المعمورة .
وقد سبق ذكر جم من الكتب التي كتبها رسول الله ﷺ إلى ملوك عصره ، يدعوهم فيها إلى دين الإسلام .



(١) العاقب : اسمه عبد المسيح كان صاحب مشورتهم، والسيد : اسمه الأيهم، كان رئيسهم، قال ابن سعد : دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن فامتنعوا . ينظر: فتح الباري (٩٤/٨) .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: قصة أهل نجران ح (٤٣٨٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل أبي عبيدة ح (٢٤٢٠) .

الفصل الخامس

التسامح مع غير المسلمين وأثره في تأليفهم ودعوتهم

المبحث الأول : التسامح مع غير المسلمين في السنة القولية :

في نصوص السنة النبوية جملة من الأحاديث التي تنمي روح التسامح مع غير المسلمين، وتشعر بأن هؤلاء الذين لم يسلموا وإن كانوا كفرة بالله وبرسوله ﷺ، فإن لهم حق التواصل؛ من أجل تعريفهم بدين الله، وتحذيرهم من طريق الغي، وهم وإن لم يستجيبوا أول مرة، فقد تكون تلك الاستجابة تنتظر كلمة طيبة أو عفواً وتسامحاً وسلوكاً جميلاً وخلقاً حسناً، له وقعه وأثره الحسن في تغيير ما في النفس، وتنقية ما في القلب، وكثير ممن استجاب بعد عنتٍ ومشقة، كانت استجابته تأثراً بعبارة لطيفة أو سلوك جميل أو عفو وتسامح . والتاريخ شاهد بالعديد من المواقف سواء في عهد الرسول ﷺ أو بعده^(١).

ولعلنا نستعرض هنا جملة من الأحاديث التي تتضمن معاني التواصل والتسامح مع الآخرين وتكرينهم، والسعي إلى التعامل الطيب معهم رجاء الهداية، كما هي وظيفة النبي ﷺ وأتباعه، قال تعالى : ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٣) .

الحديث الأول: مرت جنازة على النبي ﷺ فوقف لها، فقيل له : إنها جنازة يهودي فقال ﷺ : "أليست نفساً ؟"^(٤) ، فكرامة الإنسان ثابتة من إنسانيته، حياً وميتاً، فهذا يهودي مات على يهوديته، ومع ذلك حفظ له الرسول ﷺ حق التكريم في قوله ﷺ : " أليست نفساً ؟"، فكل نفس جديرة بالتقدير والتكريم ولو كانت نفساً غير مسلمة:

(١) ينظر: التسامح في الإسلام ص (٧٩) .

(٢) سورة إبراهيم، الآية : ١ .

(٣) سورة إبراهيم، الآية : ٤ .

(٤) سبق تخريجه ص (٢٧٣) .

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (١) .

وهذا الموقف العادل من النبي الكريم ﷺ يؤكد معنى هذه الآية، ويوجب تكريم النفس الإنسانية في حال الحياة، وفي حال الممات .

الحديث الثاني: حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال، قال لي رسول الله ﷺ : " اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلقٍ حسن " (٢) ، فالأمر هنا بالخلق الحسن شامل للخلق القولي والفعلية مع جميع الناس .

الحديث الثالث: حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه ومعاذاً إلى اليمن فقال: " يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا " (٣) ، وهذا الحديث أصل في التسامح مع غير المسلمين حين دعوتهم ؛ لأن ذلك أدعى لقبولهم واستجابتهم .

كما أن رحمتهم والشفقة عليهم لها الأثر البالغ عليهم ، ولهذا تتابعت وصايا الرسول ﷺ للمسلمين بالرحمة المطلقة، التي تشمل المسلمين وغيرهم :

أ- قال رسول الله ﷺ : " مَنْ لَا يَرْحَمْ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ " (٤) .

(١) سورة الإسراء، الآية : ٧٠ .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب البر والصلة ، باب: ما جاء في معاشرته الناس ح (١٩٨٧) ، (٣٥٥/٤) ، وأحمد في المسند (١٥٣/٥) ، والحاكم المستدرک (١٢١/١) ، من طريق الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن أبي ذر، وجاء الحديث أيضاً عن ميمون عن معاذ رضي الله عنه ، وأخرجه الترمذي في الموضوع السابق، وذكر عن شيخه محمود بن غيلان أنه قال : حديث أبي ذر أصح، قال ابن رجب في جامع العلوم ص (٢٤١) : " فهذا الحديث قد اختلف في إسناده، فقليل فيه : عن حبيب عن ميمون أن النبي ﷺ وصى بذلك مرسلاً، ورجح الدار قطني هذا المرسل، وقد حسن الترمذي هذا الحديث، وما وقع في بعض النسخ من تصحيحه فبعيد، ولكن الحاكم أخرجه وقال : صحيح على شرط الشيخين، ثم تعقبه على ذلك، وبين أنه وهم منه، ولعل الأقرب في هذا الحديث أنه : حسن ، والله أعلم .

(٣) أخرجه البخاري كتاب الجهاد باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب ح (٣٠٣٨) ومسلم كتاب الجهاد والسير، باب: في الأمر بالتيسير وترك التنفير ح (١٧٣٣) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ح (٦٠١٣) ، مسلم كتاب الفضائل ، باب: رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك ح (٢٣١٩) من حديث جرير بن عبد الله .

- ب- وقال ﷺ : " لَا تُنَزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ " (١) .
- ج- وقال رسول الله ﷺ : " الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ ... " (٢) .
- د- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل : يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ : " إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعْنًا ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً " (٣) .

وهنا نلاحظ أن هذه النصوص اعتنت بالرحمة دون ذات الشخص المرحوم ليشمل ذلك كل إنسانٍ مستحق لهذه الرحمة، والرحمة المطلوبة لا تفرق بين شخص وآخر، بل هي رحمة عامة بالناس كلهم، قال ابن حجر - رحمه الله - عند شرح حديث: " مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ " (٤) : " قال ابن بطال : فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل فيه المؤمن والكافر، والبهائم، والمملوك وغير المملوك " (٥) .

ثم إن من المعلوم أن الجزاء من جنس العمل، فمن يرحم يُرحم، ونزع الرحمة من قلب علامة على شقائه، والمسلم مطالب بأن يتصف بالرحمة في كل تصرفاته ليس مع الناس فقط، بل مع الخلق كلهم، حتى الحيوانات يشرع للمسلم أن يرحمها ويرفق بها، لكي يتأصل خلق الرحمة في نفسه دائماً دون نظيرٍ إلى ذات من يرحم، وهو هنا موعود بالثواب، وقد قص الرسول ﷺ قصة مؤثرة، كما هو شأنه دائماً في القضايا التربوية التي يريد أن ينشأ أصحابه عليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : " بَيْنَا رَجُلٌ بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بئراً فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في الرحمة ح (٤٢٩١) ، والترمذي في جامعه ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في رحمة الناس ح (١٩٢٣) ، من طريق أبي عثمان مولى المغيرة بن شعبة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وأبو عثمان مولى المغيرة، غير معروف، قال الترمذي عقبه : " أبو عثمان الذي روى عن أبي هريرة لا نعرف اسمه " .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في الرحمة ح (٤٢٩٠) ، الترمذي في جامعه ح (١٩٢٤) ، من طريق سفيان بن عمرو بن دينار عن أبي قابوس عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال الترمذي : " حديث حسن صحيح " .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة الآداب ، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها، ح (٢٥٩٩)

(٤) سبق تخريجه ص (٣٨٤) .

(٥) ينظر فتح الباري (٤٤٠/١٠) .

الشَّرى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي ، فَتَزَلَّ الْبُئْرُ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً ، فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ" (١) .

لقد غفر الله له لما رحم كلباً عطشاً، ودفعته هذه الرحمة إلى السلوك الحسن، والعمل الجميل (٢) .

هذه الرحمة يتسع مداها لتشمل حتى أعداء المسلمين في أثناء الحرب، حيث كان النبي ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَعْلُوا وَلَا تَعْدِرُوا، وَلَا تَمْتَلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا... (٣) .

هذا هو الإسلام الحق، دين العدل والرحمة، وهذا هو رسول الإسلام الذي قال عنه ربه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٧) (٤)، وهذه هي وصية الرسول ﷺ لجيشه في التعامل مع المحاربين، ملؤها الرحمة والعدل، وفيها البراءة من الظلم، والمنع من الغدر بالمحارب، أو التمثيل بجثته، وإنه لأمر عجب أن يتسع صدر هذا الرسول ﷺ ليشمل محارباً يتميز غيضاً على المسلمين، ويحمل سلاحه ليقاتلهم، لقد بلغ التسامح هنا مبلغاً فريداً، وسما بالمسلم لا ليحمله يتخلق بالتسامح السلوكي بل بما هو أعمق من ذلك، مطلوب منه أن يرحم الإنسان بصفته إنساناً، وأن تتأصل فيه هذه الصفة، ويرحم كل من كان في موقف ضعيف كالحیوان الفاقد للماء في لحظة عطش .

إن خلق الرحمة عندما يتأصل في النفس لن يثمر إلاّ تسامحاً وعفواً وصفحاً ورفقاً وخيراً (٥) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب ، باب : رحمة الناس والبهائم ح (٦٠٠٩) ، ومسلم في

صحيحه ، كتاب السلام ، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها ح (٢٢٤٤) .

(٢) التسامح في الإسلام، ص (٨٣ - ٨٤) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب

الغزو وغيره ح (١٧٣١) .

(٤) سورة الأنبياء، الآية : ١٠٧ .

(٥) التسامح في الإسلام ص (٨٥) .

كما أن الإسلام يقرر بكل وضوح الدعوة إلى الرفق ونبد العنف، وإن من أهم مكونات الرفق التسامح، وهذه أقوال الرسول ﷺ التي تصرح بالتأكيد على منزلة الرفق مرة بعد أخرى :

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ " (١) .
وعنها - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ : " إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ " (٢) .

وهذه النصوص تؤكد مكانة الرفق، والذي يعني عدم التشدد أو الغلظة أو الجفوة، وإنما إرضاءً ولين وتسامح وحسن تعامل، وكلها يجمعها الرفق، ذلك الأسلوب الجميل المؤثر .

ومن حُرْم الرفق فقد حُرْم الخير كله، ومن حُرْم الخير فلم يبق له إلا الشر، بل إن القاعدة الأساسية في الإسلام : الرفق بالناس جميعاً حتى من غير المسلمين، وترك ما ينفرهم ويشق عليهم، وقد جاءت السنة بحفظ حقوقهم والتغليظ على من أهدرها ، فعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: " مَنْ قَتَلَ مُعَاهِداً لَمْ يَرْحُ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَاماً " (٣) ، وقال ﷺ كما في حديث صفوان بن سليم: " مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِداً أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئاً بَغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَاجِيحُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (٤) .

وقد سبق في الباب الرابع التفصيل في هذا الموضوع.

ومن الصور الرائعة في التسامح وصيته ﷺ بالأسارى خيراً، فقد روى أبو عزيز بن عمير أن رسول الله ﷺ قال : " استوصوا بالأسارى خيراً " (٥) ، من هم هؤلاء الأسارى؟

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب استتابة المرتدين ، باب: إذا عرض الذمي وغيره بسبب النبي ﷺ ح

(٢٩٢٧) ، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب: فضل الرفق ح (٢٥٩٣) .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة ، باب: فضل الرفق ح (٢٥٩٤) .

(٣) سبق تخريجه ص (٣١) .

(٤) سبق تخريجه ص (٢٦٥) .

(٥) سبق تخريجه ص (٤٥٥) .

الأسارى؟ إنهم الكفار الذين كانوا يحاربون الرسول ﷺ يوم بدر، فلما هزم الكفار أسر الرسول ﷺ منهم سبعين رجلاً، فقال الرسول ﷺ وصيته تلك، وهي وصية بحربي بذل قصارى جهده في محاربة الرسول ﷺ، ورفع السيف في وجهه، وسعى في قتله وقتل الصحابة رضي الله عنهم، بل ربما يكون منهم من شارك فعلاً في قتل بعض الصحابة الذين استشهدوا في بدر، ومع ذلك كله: " استوصوا بالأسارى خيراً "، وكلمة " خيراً " نكرة، فهي كلمة جامعة لكل أنواع الخير، والأسير الحربي فما دونه من الكفار أولى بالمعاملة الحسنة .

ولذلك أذن لهم الإسلام بممارسة عقائدهم، وشعائر دينهم في أماكنهم الخاصة دون المجاهرة بذلك، مثل : تعليق الصليب داخل الكنائس، وضرب الناقوس .
وكذلك ما يرون حله في دينهم، وإن كان محرماً عند المسلمين، فلا يمنعهم الإسلام منه في أماكنهم الخاصة، وذلك مثل شرب الخمر، وأكل الخنزير، والأكل في رمضان، وهذه أعلى صور التسامح الديني التي عرفها التاريخ .

وكما أوجب الإسلام إطعام الذميين وكسوتهم على المسلمين في حال عجزهم عن تلك النفقات، فقد اعتنى الإسلام بحقوقهم بعد موتهم، فأوجب تحمل بيت مال المسلمين تكاليف تكفين الذمي ودفنه إذا لم يكن للذمي مال يغطي تلك التكاليف، ولو تعذر على بيت المال وجب على المسلمين^(١) .

كما دلت السنة على مشروعية التواصل بالمعروف والصلة للقريب غير المسلم فعن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - قالت : " قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي ؟ قَالَ: " نَعَمْ صِلِي أُمَّكَ " ^(٢) .

(١) ينظر: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (٣٤٨/١)، والتسامح في الإسلام ص (٩٠) .

(٢) سبق تخريجه ص (٣٨٤) .

وهذا يدل على تسامح الإسلام في تعامله مع غير المسلمين خصوصاً الأقارب، وفي مقدمتهم وعلى رأسهم الوالدان، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ ﴾^(١) .

وفي بداية البعثة النبوية جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله قائلاً : بَأَيِّ شَيْءٍ أُرْسِلَكَ رَبِّكَ قَالَ: " أُرْسِلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ ، وَكَسْرِ الْأَوْتَانِ ، وَأَنْ يُوحَدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ"^(٢) .

فأول أمر ذكره الرسول ﷺ هنا صلة الرحم ولم يخصها بالقريب المسلم، وبالتالي فالقريب المسلم وغير المسلم تشريع صلته مادياً ومعنوياً^(٣) .

وفي تأكيد للتواصل مع القريب ولو كان غير مسلم قال رسول الله ﷺ : " استوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمّةً ورحماً " قال : " ورحمهم أن أم إسماعيل بن إبراهيم منهم، وأم إبراهيم بن النبي ﷺ منهم "^(٤) ، فالرسول ﷺ هنا يوصينا بالأقباط – وهم نصارى – خيراً لوجود هذه القرابة معهم .

هذا التواصل المطلوب في الإسلام مع القريب غير المسلم يُوجد الثقة، ويُفَعِّلُ القرابة، وينمي التعاون، ويبني جسور التسامح، ويعطي الصورة الحسنة عن هذا الدين، ويهيئ الفرص للإصغاء والحوار والنقاش، وكلها خير تخدم مصلحة الدعوة إلى الله، وإبلاغ هذه الرسالة البلاغ المبين .

(١) سورة لقمان، الآية: ١٥ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافر وقصرها، باب: إسلام عمرو بن عبسة ح (٨٣٢)، من حديث عمرو بن عبسة .

(٣) ينظر: فتح الباري (٢٣٤/٥) .

(٤) أخرجه ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢١٤/٨)، والحاكم، المستدرک (٦٠٣/٢)، من طريق الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه مرفوعاً، وقال الحاكم : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٣/١٠): " رواه الطبراني بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح "، وفي صحيح مسلم ١٩٧٠/٤ عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمّةً ورحماً أو قال : ذمّةً وصهرًا "، وقد سبق الكلام على هذه الأحاديث .

وفي حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: " مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ " ^(١) ، لاحظ أنه لم يقل الجار المسلم وإنما قال: " الجار "، فكل جارٍ فإن الإسلام يوصي به، بل تتكرر الوصية على الرسول ﷺ حتى إنه من كثرة وصية جبريل ﷺ له ظن أنه سيجعل الجار وارثاً لجاره إذا مات، والرسول ﷺ حينما ينقل مثل هذه الوصية ويؤكد عليها إنما يريد من أمته أن تستشعر مكانة الجار، وحقه الخاص فتحسن معاملته ومجاورته، سواء أكان الجار مسلماً أم غير مسلم، والإحسان إليه متعين امتثالاً لهذه الوصايا المتكررة.

قال القرطبي - رحمه الله -: " وعلى هذا فالوصاة بالجار مأمور بها مندوبٌ إليها، مسلماً كان أو كافراً، وهو الصحيح، والإحسان قد يكون بمعنى المواساة، وقد يكون بمعنى حسن العشرة، وكف الأذى، والمحاماة دونه " ^(٢) ، وقال ابن حجر - رحمه الله -: " واسم الجار يشمل الجار المسلم، والكافر، والعابد، والفاسق، والصديق، والعدو " ^(٣) .

ويقول الشيخ ابن باز - رحمه الله - عن الجار الكافر: " فإذا كان جار لك تحسن إليه، ولا يؤذى في جواره، وتتصدق عليه إن كان فقيراً أو تهدي إليه إن كان غنياً، وتنصح له فيما ينفعه ؛ لأن هذا مما يسبب رغبته في الإسلام، ودخوله فيه " ^(٤) .

والخلاصة: تضافر النصوص النبوية القولية في الوصية بالرفق والتسامح مع غير المسلمين رفقاً وتسامحاً يبين عظمة هذا الدين، وسمو مبادئه وأخلاقه، وجلال هديته وأحكامه .

وهذه النصوص منها ما يقرر احترام النفس الإنسانية " أليست نفساً ؟ "، يقولها الرسول ﷺ عن يهودي ميت .

ومنها : ما يقرر الخلق الحسن مع الناس أجمعين ؟.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب: الوصية بالجار ، ح (٦٠١٤) ، ومسلم في صحيحه ،

كتاب البر والصلة والآداب ، باب: الوصية بالجار والإحسان إليه ح (٢٦٢٤) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨٣/٥ - ١٨٤) .

(٣) فتح الباري (٥٤١/١٠) .

(٤) مجموع الفتاوى، جمع محمد بن سعد الشويعر (٢٦٧/٤) .

ومنها : ما يوصي بالتيسير والسماحة في المعاملات، وبخاصة تلك التعاملات التي تعطي صورة عن المسلم وتعامله، وتقدم شهادة لهذا الدين العظيم .

ومنها : ما يؤكد على الرحمة التي من ثمراتها الحرص على نفع الآخرين، " ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء " ^(١) .

ثم تأتي نصوصٌ أخصّ توصي بالمعاهد، والذمي، والأسير، والقريب، والجار، وكل هذه الوصايا تبين لنا أن الإسلام حريص على التعايش المثمر، راغب في توجيه المسلم نحو التعامل مع من لم يسلم بأحسن ما يمكن من رفقٍ ورحمةٍ وتيسيرٍ وتسامح، ثم تترقى إلى أعلى من ذلك، إذا كان هذا الشخص غير المسلم قريباً أو جاراً أو له حق خاص زائد عن حق الإنسان العام .

هذه النصوص النبوية تزكي التسامح، وتنمي في النفوس، وتبعد كل ما ينشئ الكراهية والأحقاد، أو ينميها مع عدم الغفلة عن الهدف من ذلك، وهو التعريف بهذا الدين والدعوة إليه، والتأكيد على أن يكون كل سلوك أو تصرف يتجه نحو تحقيق هذه الغاية الكبيرة^(٢).

وقد جاءت أفعال الرسول ﷺ متوائمة مع أقواله، مؤكدة عليها، مبنية كيفية تطبيقها، وأثر هذا التطبيق، وفي المبحث التالي نعرض لعدد من المواقف العملية في السيرة السنة التي تضمنت تسامحه ﷺ وطيب تعامله مع غير المسلمين .



(۱) سبق تخریجہ ص (۵۷۱) .

(٢) ينظر: التسامح في الإسلام ص (٩٣ - ٩٤)، حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي لشوكت عليان ص (٢١٢).

المبحث الثاني : التسامح مع غير المسلمين في السنة الفعلية .

اشتملت السنة النبوية الفعلية على نماذج رائعة في التسامح مع غير المسلمين، هي بمثابة الترجمة لما جاء في السنة القولية، وقد كان ﷺ أول الناس مسارعة لتطبيق ما يأمر به.

وثمة جملة من مواقفه الفعلية في التسامح منها :

الموقف الأول: عن عائشة زوج النبي ﷺ - رضي الله عنها - أنها قالت لرسول الله ﷺ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قَالَ : " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ فَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، فَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ ^(١) ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا " ^(٢) .

هؤلاء الكفار آذوا الرسول ﷺ أذى يهون عنده ما أصابه يوم أحد، مع أنه قد استشهد يوم أحد عمه حمزة سيد الشهداء، كما استشهد فيها سبعون صحابياً، ومع ذلك فإن الذي ناله يوم العقبة من كفار قريش كان أشد عليه، مع ذلك كله فقد تعامل مع الموقف تعاملًا راقياً حينما نزل إليه جبريل ومعه ملك الجبال، وعرض عليه أن يطبق الأخشبين على هؤلاء الكفار، فكان جواب الرسول ﷺ جواب التسامح والقدوة الذي يفكر في ذراري هؤلاء لعل الله أن يخرج منهم من يستجيب لدعوته .

(١) الأخشبان: هما بفتح الهمزة وبالحاء والشين المعجمتين، وهما جبلا مكة، أبو قبيس والجبل الذي يقابله . ينظر:

شرح النووي على صحيح مسلم (١٢ / ١٥٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب: بدء الخلق باب: ذكر الملائكة ح (٣٢٣١) ، ومسلم في صحيحه ،

كتاب الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي من أذى المشركين ح (١٧٩٥) .

الموقف الثاني : من مواقفه الفعلية المشهودة في التسامح: أنه ﷺ لما وصل إلى المدينة كتب وثيقة بين المهاجرين والأنصار ﷺ واليهود في المدينة تضمنت عددا من البنود التي تنظم العلاقة مع اليهود، وفيها يتضح مدى التسامح في التعامل الذي كان يرغب الرسول ﷺ في تطبيقه مع اليهود .

" ... إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وأثم، فإنه لا يوتع ^(١) إلا نفسه وأهل بيته ، وإن لليهود بني النجار مثل ما لليهود بني عوف ، وأن لليهود بني الحارث مثل ما لليهود بني عوف، وأن لليهود بين ساعدة مثل ما لليهود بني عوف، وأن لليهود بني جشم مثل ما لليهود بني عوف، وأن لليهود بني الأوس مثل ما لليهود بني عوف ، وأن لليهود بني ثعلبة مثل ما لليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتع إلا نفسه وأهل بيته ، وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم

النصح والنصيحة والبر دون الإثم ... " ^(٢) .

وهذا نموذج عملي يؤكد الوصايا النظرية السابقة بالتسامح مع الآخرين .

ونلاحظ هنا أن الرسول ﷺ ما إن وصل المدينة إلا وبادر إلى التعامل الحسن مع يهود المدينة، وكتب هذه الوثيقة التي تبرهن عملياً أن التسامح في الإسلام لم يكن مبادئ نظرية، وإنما هو سلوك وتعامل، ويلاحظ في نهاية هذه الصحيفة النص على النصح والنصيحة، والبر دون الإثم الذي يرغب الرسول ﷺ في توثيقه مع اليهود في المدينة، وقد صالح الرسول ﷺ نصارى نجران، وكتب معهم وثيقة شبيهة بوثيقة المدينة، بيّن فيها احترامه ﷺ لدمائهم وأموالهم، وإقرارهم على بيعهم، ورهبانيتهم، وأساقفتهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وإليك جزء من نص الكتاب الذي نقله أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه (الأموال) :

(١) أي : لا يهلك .

(٢) لم أجد سندا لهذه الصحيفة ، وقد ذكرها ابن هشام في السيرة النبوية (١٠٣/٢)، وأكرم ضياء العمري في السيرة النبوية الصحيحة (٢٨٤/١) .

ولنجران وحاشيتها ^(١) ذمة الله، وذمة رسوله على دمائهم، وأمواهم، وملتهم، وبيعهم، ورهبانيتهم، وأسافقتهم، وشاهدهم، وغائبهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وعلى أن لا يغيروا أسقفاً من سقيفاه، ولا وافهاً من وفيهاه ^(٢) ولا راهباً من رهبانيتها ^(٣) .

وهذا من أقوى الأدلة على مبدأ التسامح في التعامل مع غير المسلمين .

الموقف الثالث: ما جاء عن أبي قتادة - رحمه الله - قال : قدم وفد النجاشي على النبي ﷺ فكان يخدمهم، فقال له أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله ، قال : " إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وإني أحبُّ أن أكافأهم " ^(٤) .

إنها صورة حية من تواضع وتسامح القدوة ﷺ وهو يتولى استقبال هذا الوفد النصراني، ويترلمهم في أكرم منزل عنده، بل لا يكتفي أن يوكل أمر ضيافتهم إلى أحدٍ من أصحابه، وإنما يتولاه بنفسه، وهو بهذا يقدم الأسوة لمن بعده في الوفاء، مع من له سابق إحسان، وفي حفظ المعروف والتسامح مع المخالفين ، الذي يرجو منه تأليفهم وترغيبهم في الإسلام .

إنها صورة عملية تغني عن الكثير من النصوص، وتبرز معنىً جلياً كبيراً من التسامح الذي يربي الرسول ﷺ أصحابه عملياً عليه ^(٥) .

(١) أي : ما يتبعها من القرى .

(٢) الوافه : القيم على البيت الذي فيه صليب النصراني، بلغة أهل الجزيرة ينظر: لسان العرب (٥٦١/١٣) .
(٣) أخرجه بهذا اللفظ أبو عبيد في الأموال ص (٢٤٤ - ٢٤٥)، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب : الخراج، والإمارة، والفيء، باب : في أخذ الجزية . ح (٣٤١) (١٦٧/٣) من طريق أسباط بن نصر الهمداني عن إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي عن ابن عباس أن النبي ﷺ صالح أهل نجران على ألفي حلة ... وفيه : أن لا تخدم لهم بيعة، ولا يخرج لهم قس، ولا يفتنوا عن دينهم ما لم يحدثوا حدثاً أو يأكلوا الربا، والحديث من رواية أسباط بن نصر، وقد تكلم فيه، قال حرب بن إسماعيل : قلت لأحمد : كيف حديثه ؟ قال : ما أدري، وكأنه يضعفه ، ينظر: الجرح والتعديل (٣٣٢/٢)، تهذيب الكمال (٣٥٧/٢)، ومن رواية إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي السدي، ضعفه ابن معين وابن مهدي، والجوزجاني والعقيلي ، ينظر: الجرح والتعديل (١٨٤/٢)، الكامل لابن عدي (٨١/٢)، ثقات العجلي ص (٦٦) .

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩١٢٥/٦) من طريق: يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن قتادة .

(٥) ينظر : التسامح في الإسلام ص (١٠٠) ، التعايش السلمي لسور هدايات ص (٤٨) .

الموقف الرابع من المواقف العملية الراقية التي تعطي صورة عملية زاهية يعسر وصفها؛ ما ذكره الواقدي أن خالد بن هشام بن المغيرة دخل هو وأمية ابن أبي حذيفة بن المغيرة - وكانا من أسرى غزوة بدر^(١) - في منزل أم سلمة - رضي الله عنها - وكانوا من أقاربها - فلما علمت بخبرهم ذهبت تبحث عن الرسول ﷺ فوجدته في بيت عائشة - رضي الله عنها - ، فقالت : يا رسول الله : إن بني عمي طلبوا أن يدخل بهم علي، فأضيفهم وأدهن رؤوسهم، وألم شعثهم، ولم أحب أن أفعل ذلك حتى أستأمرك ؟ فقال رسول الله ﷺ : لست أكره شيئاً من ذلك ! فافعلي من ذلك ما بدا لك^(٢) .

عجيب هذا التسامح مع الأسرى، الذي وصل إلى حد معاملتهم كضيوف، وهل هناك معاملة إنسانية لأسير في حرب تداني هذا ؟ ! .

وما هو الأثر المتوقع على هؤلاء بعد عودتهم ؟ وماذا سيقولون عن المسلمين ؟ إن أمثال هذه المواقف توجد رجالاً إن لم يستجيبوا للإسلام فسيكونون من المدافعين عنه بما يروونه من مواقف، وقد تكون سبب استجابة غيرهم^(٣) .

وقد سبقت الإفاضة في الأحاديث الواردة في التعامل مع الأسير في الإسلام في الباب السابع.

الموقف الخامس من المواقف العملية المؤثرة في باب التسامح أنه لما بُعث رسول الله ﷺ في مكة، ودعا قريشاً إلى الإسلام لم يستجب له أكثرهم، ولم يكتفوا بالإعراض، وإنما حاولوا منع من يستجيب، وأذوا الرسول ﷺ إيذاءً بدنياً ومعنوياً، فقد ضربوه وألقوا سلا الجزور على ظهره وهو ساجد، وسخروا منه، ووصفوه بأنه ساحر، وكذاب، ومفتري، وانتهى بهم الأمر إلى أن أخرجوه وأصحابه من بلده مكة، فخرج إلى المدينة مهاجراً واستوطنها، فلم يتركوه هناك آمناً، بل خرجوا إليه محاربين له، فحاصروه في المدينة، وجمعوا عليه قبائل العرب لمحاربتة، ولو تمكنوا منه لقتلوه، ولكن الله نصره، ثم بعد ثماني سنوات من خروجه من مكة وحيداً ليس معه إلا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يعود إلى مكة

(١) ذكره الشامي في سبل الهدى والرشاد (١١٨/٤)، ولم يسنده .

(٢) ذكرها الواقدي في المغازي (١١٨/١)، ولم يذكر لها سنداً .

(٣) ينظر: التسامح في الإسلام ص (١٠١) .

فاتحاً منتصراً، فدخلها بجيشٍ قوامه عشرة آلاف مقاتل ، فماذا كان موقفه من أولئك الذين ألقوا سلا الجزور عليه، وسخروا منه، وآذوه، وحاربوه ؟ .

قال ابن إسحاق - رحمه الله - يصف دخول الرسول ﷺ مكة فاتحاً :

" إن رسول الله ﷺ لما نزل مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له، فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان، فكسرها بيده ثم طرحها ثم قام على باب الكعبة فقال : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له . صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده . ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج . يا معشر قريش : إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب "، ثم تلا هذه الآية :

﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ^(١) ، ثم قال : " يا معشر قريش: ما تروني أفي فاعل فيكم ؟ " قالوا : خيراً، أخٌ كريمٌ وابن أخٍ كريمٍ . قال : " اذهبوا فأنتم الطلقاء .. " ^(٢) لقد كان هذا التصرف من الرسول ﷺ في هذا الموقف - موقف الانتصار على العدو المحارب، الذي طالما آذاه وتآمر عليه وقاتله - درساً في التسامح، وتأكيداً بأنه رسول التسامح، فلم يكن ﷺ قائداً يسعى لطلب مجد، يسخر انتصاراته في الانتقام ممن خالفه، بل كانت سيرته سيرة من يحلم في أشد الأوقات حرجاً، ولا ينسى مبادئه في أعظم المواقف انتصاراً، فلا يغفل عن ذلك المبدأ العظيم، مبدأ التسامح، يعمل به ويربي أصحابه وأتباعه عليه ^(٣) .

(١) سورة الحجرات، الآية : ١٣ .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، جامع أبواب السير، باب : فتح مكة، ح (١٨٠٥٥) (١١٨/٩) ، وأورده ابن كثير في السيرة النبوية (٥ / ٧٣) ، من طريق ابن إسحاق قال حدثني محمد بن جعفر ابن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن صفية، وذكره ابن حجر في فتح الباري (١٨/٨) عن صفية بنت شيبه رضي الله عنها، وحسن إسناده .

(٣) ينظر : التسامح في الإسلام ص (١٠٣) ، التسامح الإسلامي ، علي جمعة، مقال في مجلة التقوى، بيروت، عدد (١٣٥) .

الموقف السادس : من مواقف التسامح الجليلة التي سطرها التاريخ بمداد الذهب ما رواه عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : إن الله لما أراد هدي زيد بن سعة قال زيد : لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفت في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت إلى إلا اثنين لم أخبرهما منه . يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما . قال : فكنت أتلف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله . فذكر قصة إسلافه للنبي صلى الله عليه وسلم مالا في ثمرة قال : فلما حل الأجل أتيت فأخذت بمجامع قميصه وردائه وهو في جنازة مع أصحابه، ونظرت إليه بوجه غليظ . وقلت : يا محمد ألا تقضييني حقي ؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب لمُطلُ !!! قال : فنظر إليَّ عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير . ثم قال : يا عدو الله . أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع، وتفعل ما أرى ؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك . ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم . ثم قال : أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر . أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فاقضه حقه، وزد عشرين صاعاً من تمر، فأسلم اليهودي لما رأى هذا الموقف من الرسول صلى الله عليه وسلم ^(١) .

الموقف السابع : من هذه المواقف الكبيرة في التسامح مع غير المسلمين، وحسن تأليفهم ما ذكره عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه وحديثه على شر القوم يتألفه بذلك ... " ^(٢) ، وهذا الوصف من عمرو رضي الله عنه توصيف دقيق لخلق النبي صلى الله عليه وسلم، وتسامحه العظيم مع أشرار الناس الذين يرجو صلى الله عليه وسلم إسلامهم، وقد تحقق هذا بإسلام بعض زعماء الكفر في زمانه، كأبي سفيان بن حرب وغيره رضي الله عنه .

الموقف الثامن : من مواقف العظيمة في حسن التعامل والتسامح ، ما ذكره سعيد بن المسيب - رحمه الله - : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدق بصدقة على أهل بيت من اليهود . فاستمرت تجري عليهم هذه الصدقة حتى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم " ^(٣) ، فقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم عن

(١) أخرجه ابن حبان (٢٨٨/١) من طريق: الوليد بن مسلم قال : حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله

بن سلام عن أبيه عن جده قال : قال عبد الله بن سلام: وذكر القصة .

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥/٩)، وقال : رواه الطبراني، وإسناده حسن .

(٣) أخرجه أبو عبيد في الأموال، ص (٧٢٨)، من طريق ابن لهيعة عن زهرة بن معبد به .

حاجة هذه الأسرة للمال فأعطاهما صدقة واستمر يرسل إليهم هذه الصدقة، فلما مات استمر الخلفاء من بعده على هذه العطية لهذه الأسرة اليهودية ، أليس هذا الموقف يعبر بجلاء عن التسامح الذي ينطوي عليه الإسلام تجاه الآخرين ؟ ، فالمصطفى ﷺ بنفسه - وهو القدوة الأولى للأمة الإسلامية - يتفقد حاجات غير المسلمين، ويسعى لسد خلاتهم، ويتواصل مع من كان منهم جاراً، ويعلم الأمة الإسلامية عملياً هذا المنهج المتسامح، ومثله أيضاً ما جاء عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : **تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ** ^(١) .

فقد كان الرسول ﷺ يقترض من اليهود المال ويهرنهم المتاع، ولم يكن ذلك عجزاً من أصحابه رضي الله عنهم عن إقراضه، بل إن بعضهم كان ثرياً، ويتلهّف لخدمة الرسول ﷺ ولو على سبيل الإقراض، لكن لعل ذلك تعليماً عملياً من الرسول ﷺ للأمة لما يدعو إليه هذا الدين من التعامل الحسن مع غير المسلمين .

ومعنى هذا أن الإسلام لا يفرق في الأصل في موضوع مكارم الأخلاق بين مسلم وغيره، فالكل في نظره سواء ^(٢) .

وقد سبق تفصيل ذلك في الباب السادس " التعامل مع غير المسلمين في جوانب الأخلاق والآداب " .

وأخيراً يتبين لنا من مجموع ما سبق أهمية التأكيد على العوامل الإنسانية التي تقرب بين الناس، وتوصل في نفس المسلم المكانة الرفيعة لحسن الخلق، والتي بمجموعها تؤكد أن الأمة الإسلامية أمة راقية تسعى إلى التعريف بهذا الدين من خلال التسامح، وتحرص على بناء التواصل مع الآخرين عن طريق بناء جسور من الأخلاق الحسنة والسلوك الجميل، وتقدم الأسوة الحسنة في التعامل الفذ والتسامح الجميل؛ لتكون قدوة لأبناء الإسلام في تعاملهم مع غير المسلمين، خاصة وقد تضاعفت جداً مكونات التواصل، وزادت كثيراً سبل التلاقي مع هؤلاء، بل أصبح اليوم هذا التلاقي جزءاً من الحياة اليومية التي يعيشها

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب : الجهاد والسير ، باب : ما قيل في درع النبي ﷺ وقميصه في الحرب ح

(٢٩١٦) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب المساقاة ، باب : الرهن وجوازه في الحضر كالسفر ح (١٦٠٣) .

(٢) ينظر : روح الدين الإسلامي ص (٢٨٦) ، لعبد الفتاح طبارة، التسامح في الإسلام ص (١٠٥) .

المسلم، وقلَّ أن تجد اليوم مسلماً لا يقابل غير مسلمين في حياته اليومية المعتادة ^(١) ، وقد آن الأوان اليوم لتصحيح الصورة الملتبسة عند كثير من شعوب العالم عن الإسلام ، ووجب علينا كمسلمين وجوباً مؤكداً لا مندوحة عنه في بث هذه المواقف العظيمة في التسامح ونشرها بين تلك الشعوب؛ ليعلم العالم عظمة هذا الدين وعظمة رسولنا الأمين ﷺ الذي يمثل بحق الصورة المثالية السامية في التعامل والتسامح .



(١) ينظر: التسامح في الإسلام ص (١٠٨) .

المبحث الثالث : أثر التسامح في دعوة غير المسلمين .

زحرت السنة النبوية بالعديد من المواقف التي عفا فيها الرسول ﷺ بصورة جماعية أو فردية، فكان لذلك أثره على الطرف الآخر استجابة لهذا الدين ودخولاً فيه، أو إعجاباً بهذا الدين وأهله، وهذه المواقف لا تعدو أن تكون نماذج لما تحفل به السنة من مواقف مليئة بالتسامح الذي كان لها الأثر الحمود في اعتناق هذا الدين، ودونك بعض هذه النماذج .

النموذج الأول : عفو الرسول ﷺ يوم فتح مكة عن كفار قريش وأثره في نفوسهم :

بعد نقض قريش العهد الذي بينهم وبين الرسول ﷺ، في السنة الثامنة من الهجرة، سار ﷺ إلى مكة، ومعه عشرة آلاف جندي ففتحها، فاجتمع أهل مكة عند الكعبة، ومعهم الذين كانوا آذوا رسول الله ﷺ، وحاربوه وطرده، فما كان منه ﷺ في هذا اليوم الذي أصبح أعداؤه بين يديه، إلا أن قال : " يا معشر قريش، يا أهل مكة ما ترون أي فاعل بكم ؟ " قالوا : خيراً، أخٌ كريمٌ، وابن أخٍ كريمٍ، فقال : " اذهبوا فأنتم الطلقاء "، وقال : " أقول كما قال يوسف : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ^(١) ^(٢) .

فماذا كان أثر هذا التسامح على كفار قريش ؟

قال الطبري - رحمه الله - : " ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام " ^(٣) .

وقال البيهقي - رحمه الله - : " فخرجوا من المسجد كأنما أحيوا من جديد، فدخلوا في الإسلام " ^(٤) .

(١) سورة يوسف الآية: ٩٢ .

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (٧٤/٥)، والطبري في تاريخه (١٦١/٢)، وابن كثير في تفسيره

(٣/٤) (١١٤/٤) والبيهقي في السنن (١١٨/٩)، وقد سبق الكلام عليه .

(٣) تاريخ الطبري (١٦١/٢) .

(٤) سنن البيهقي (١١٨/٩) .

وقال ابن كثير - رحمه الله - : " وكانوا قريباً من ألفي رجل، ثم هداهم الله بعد إلى الإسلام التام"^(١) .

وهذه الكلمات الجميلة من كبار علماء الأمة ومؤرخيها حول أثر التسامح على كفار قريش بالمبادرة إلى الإسلام بهذا العدد الكبير، تعطي دلالة على أثر التسامح في الدعوة إلى الله، وفي تحويل النفس من ثائرة غاضبة إلى نفس محبة مسالمة، فينبغي للمسلم أن ينظر إلى الغاية الكبيرة التي تتحقق من تعامله مع الناس بالتسامح وحسن الخلق والصبر والتحمل؛ ليتحقق له أسمى هدف يرمي إليه، وهو تحويل القلب النافر إلى قلب مقبل مستجيب لدعوة الإسلام عن حب وقناعة وإيمان .

ولا شك أن تحمل العدو والصبر عليه وعدم الانتقام منه، بل معاملته بالعفو والصفح لا يلقاها إلا ذو حظٍ عظيمٍ من العقل والرشد والفقہ والخير كله في الدنيا والآخرة^(٢) .

النموذج الثاني : تسامح الرسول ﷺ مع المنافقين :

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : " كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ^(٣) رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ فَعَلُوهَا: أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبُ عَنْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " دَعُهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ " ^(٤) .

(١) تفسير ابن كثير (١١٤/٤) .

(٢) ينظر: التسامح في الإسلام ص (١٦٨ - ١٦٩) ، سماحة الإسلام ، بحث منشور ، في مجلة المجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر عام ١٤١٩هـ، العدد الأول .

(٣) كسع رجل رجلاً: أي ضرب دبره بيده . ينظر: النهاية (٣١٣/٤) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : التفسير ، باب : قوله : سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر ح (٤٩٠٥) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ح (٢٥٨٤) .

هنا نلاحظ كيف أن الرسول ﷺ تسامح مع رأس النفاق مع أنه آذى الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ ، ولم يقتص منه، بل صبر عليه وتحمل تجاوزاته، وبين أن هذا التسامح يحقق مصلحة عظيمة، وقد تحققت تلك المصلحة من هذا التسامح، فقد مرت الأيام وأثبت هذا التسامح أثره، فما هي إلا أيام قليلة إلا ويأتي أهل البيوت الذين فيهم منافقون يستأذنون النبي ﷺ في قتل منافقيهم، وعندها قال الرسول ﷺ : " أين عمر ؟ لو قتلنا هؤلاء يوم طلب عمر لأرعدت لهم أنوف، تريد اليوم قتلهم " (١) .

هذا التسامح أكسب المسلمين كثيراً من الأصدقاء، وهذا هو الذي ينبغي أن يسعى إليه المسلمون اليوم مع أولئك الذين يقيمون معنا من غير المسلمين، فهم إن لم يستجيبوا كانوا من المدافعين عن الإسلام ضد تشويه الأعداء والأفاكين .

النموذج الثالث : عفو الرسول ﷺ عن ثمامة بن أثال ﷺ :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : " مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ " ، فَقَالَ : عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدٌ إِنْ تَقْتُلَنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ ، وَإِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ ، فَتَرَكَ حَتَّى كَانَ الْعَدُوُّ ثُمَّ قَالَ لَهُ : " مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ " ، قَالَ : مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْعَدُوِّ فَقَالَ : " مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ " ، فَقَالَ : عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ ، فَقَالَ : أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ " ، فَاَنْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ ، وَإِنْ خَيْلُكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى ؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ :

(١) ذكره الطبري في تفسيره (٧٦/٢٨) ، وابن هشام في السيرة النبوية (٣٣٧/٣) ، من طريق : ابن إسحاق عن

عاصم بن عمر بن قتادة ، وذكرها ابن حجر في فتح الباري (٦٥٠/٨) .

صَبَوْتَ ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ (١) .

وليتفطن في هذا الموقف إلى أن ثمامة بن أثال آنذاك كان زعيم قبيلة بني حنيفة، وزعماء القبائل عند العرب لهم مكانة مرموقة في قلوب الناس، وإذا ارتأوا شيئاً وتوجهوا إليه فإن وراءهم مئات الأتباع الذين يأتمرون بأمرهم، ويأخذون بقولهم، وهذا ما تفتن له النبي ﷺ حينما أحسن معاملة ثمامة وأكرمه؛ ليرى عظمة الإسلام عن قرب وكتب، ولذا كان أول شيء بدأ به ثمامة أن اغتسل وأعلن إسلامه ليكون بعد ذلك داعية قومه، وكل هذا الخير الذي تحقق له ولقومه كان بسبب طيب التعامل والتسامح الذي رآه من معلم البشرية ﷺ (٢) .

النموذج الرابع : عفو الرسول ﷺ عن سهيل بن عمرو ؓ :

اشتهر سهيل بن عمرو بالخطابة ، وكان من زعماء قريش، ولما علم بخروج الرسول ﷺ للاستيلاء على قافلة قريش قبيل غزوة بدر، قام فيهم خطيباً يرغبهم في الخروج لمواجهة الرسول ﷺ، فلما التقى الجيشان في بدر، أسره المسلمون، فقال عمر بن الخطاب ؓ : يا رسول الله : انزع ثنيتيه - أي أسنانه - فلا يقوم عليك خطيباً أبداً . فقال : "دعهما، فلعلها أن تسرك يوماً"، فأسلم سهيل بعد ذلك، وكان له موقف محمود يوم مات الرسول ﷺ وارتدت العرب عن الإسلام ؛ فقام خطيباً في أهل مكة يشبتهم على الإسلام، وقال ﷺ ما قاله أبو بكر الصديق ؓ في خطبته يوم مات الرسول ﷺ : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت (٣) .

وهكذا يكون أثر التسامح والعفو ، فإنه ﷺ عفا عن هذا الخطيب البليغ ، وأمّل أن يكون في يوم من الأيام خطيباً للمسلمين يقويهم ويشبتهم ، وقد تحقق له ﷺ ما تمنى .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي ، باب: وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال ح (٤٣٧٢) ،

ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد، باب: ربط الأسر وحبسه ح (١٧٦٤) .

(٢) ينظر: التسامح في الإسلام ص (١٧١) .

(٣) لم أجد للقصة سنداً وقد ذكرها الواقدي في المغازي (١٠٧/١)، والشامي في سبل الهدى (١٠٧/٤)،

وابن حجر في الإصابة (١٤٦/٣) .

النموذج الخامس : إكرام الرسول لوالد عمران بن الحصين، والتوسعة له في المجلس :

وذلك في قصة قريش مع والد عمران بن حصين ، وكان رجلاً معظماً عندهم ، فقالوا له : كلم لنا هذا الرجل، فإنه يذكر آهتنا، ويسبهم، فجاؤوا معه حتى جلسوا قريباً من باب النبي ﷺ، ودخل الحصين، فلما رآه النبي ﷺ قال : " أوسعوا للشيخ " - وعمران وأصحابه متوافرون - فقال حصين : ما هذا الذي بلغنا عنك، إنك تشتم آهتنا، وتذكرهم، وقد كان أبوك جفنة وخبزاً ؟ . فقال : " يا حصين إن أبي وأباك في النار . يا حصين كم من إلهٍ تعبد اليوم ؟ " ، قال : سبعة في الأرض، وإله في السماء . قال : " فإذا أصابك الضر من تدعو ؟ " ، قال : الذي في السماء . قال : " فإذا هلك المال من تدعو ؟ " قال : الذي في السماء ، قال : " فيستجيب لك وحده، وتشركهم معه !! أرضيته في الشكر أم تخاف أن يغلب عليك ؟ " ، قال : ولا واحدة من هاتين، قال : " يا حصين : أسلم تسلم " قال : إن لي قوماً وعشيرة فماذا أقول ؟ قال : " قل اللهم إني أستهديك لأرشد أمري، وزدني علماً ينفعني " ، فقالها حصين، فلم يقم حتى أسلم ^(١) . فتأمل كيف جاءوا بهذا الرجل ليدافع عنهم، ولكنه لما قابل الرسول ﷺ ووجد منه التسامح والطف لم يقم من مجلسه إلا وقد أسلم، وأصبح من صحابة الرسول ﷺ وأتباعه.

(١) أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد، وإثبات صفة الرب ﷻ ٢٧٧/١، من طريق عمران بن خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين عن أبيه عن جده، وإسناده ضعيف، وأخرجه أحمد في مسنده ح (١٩٩٩٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة ح (٩٩٤)، وابن أبي شيبة (٢٦٧/١٠)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار ح (٢٥٢٥)، والقضاعي في مسند الشهاب ح : (١٤٨٠) من طريق منصور بن المعتمر عن ربعي ابن حراش عن عمران بن حصين بسياق أحصر من سياق ابن خزيمة، وإسناده صحيح، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ح (٩٩٣) وابن حبان في صحيحه ح (٨٩٩) والحاكم في المستدرک (٥١٠/١)، والطحاوي في شرح المشكل ح : (٢٥٢٦) من طرق عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن الحراش عن عمران عن أبيه به، فجعلوه من مسند حصين، والد عمران، وهذا أيضاً إسناده صحيح .

النموذج السادس : عفو الرسول ﷺ عن الأعرابي الذي حاول قتله :

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ نَجْدٍ فَلَمَّا أَدْرَكَتُهُ الْقَائِلَةُ ، وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاءِ فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا ، وَعَلَّقَ سَيْفَهُ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجِئْنَا فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ : " إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ ، فَاخْتَرَطَ سَيْفِي فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُخْتَرِطٌ صَلْتًا قَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ : اللَّهُ ، فَشَامَهُ ^(١) ثُمَّ قَعَدَ فَهُوَ هَذَا " ، قَالَ : وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ^(٢) ، وفي رواية أخرى أنه عرض عليه الإسلام ، وقال له : " أتشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ؟ " ، قال : لا ، ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ، ولا أكون مع قومٍ يقاتلونك ، فخلى سبيله ، فأتى أصحابه وقال : جئتمكم من عند خير الناس ^(٣) ، بل ذكرت أنه أسلم ، وأن هذه القصة كانت سبب إسلامه ، قال نور الدين القاري : " وكان ذلك سبباً لإسلامه " ^(٤) . وهكذا يكون أثر التسامح مع الناس ، فهذا عدو حاقده جاء يريد الفتك برسول الله ﷺ ، ولم يتحقق له ما يريد ، ولما تمكن منه الرسول ﷺ لم يعاقبه ، بل تسامح معه ، وعامله برفق وعفو ، وعرض عليه الإسلام ، فكانت النتيجة الفورية أن عاد إلى قومه يحمل نظرة جميلة ، وذكرًا حسنًا ، يقول لهم : جئتمكم من عند خير الناس ، وهذا الذي نريد أن يقوله الناس عنا ، ممن يعود منهم إلى بلاده بعد أن يعيش معنا مدة من الزمن ، ولم نتمكن من إقناعه بالدخول في الإسلام ، فلا أقل من أن يعود إلى بلده ليقول : جئتمكم من عند خير الناس ^(٥) .

(١) معنى فشامه : أي جعله في غمده ، أي : جعل الأعرابي السيف في غمده . ومعنى لم يعاقبه : أي عفى الرسول ﷺ عنه ، ينظر : فتح الباري (٤٢٧/٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : المغازي ، باب : غزوة بني المصطلق ح (٤١٣٩) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : صلاة الخوف ح (٨٤٣) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣/٣٩٠) ، من طريق أبي عوانة قال حدثنا أبو بشر عن سليمان بن قيس عن جابر .

(٤) ينظر : شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفاء ، لنور الدين القاري (٢/٢٥) ، وينظر : ما يدل على أنه أسلم ، الإصابة (١٩٢/٥) .

(٥) ينظر : التسامح في الإسلام ص (١٧٥) .

النموذج السابع : تسامح الرسول ﷺ مع أعرابي أساء إليه أمام الصحابة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ يستعينه في شيء - قيل في دم - فأعطاه رسول الله ﷺ شيئاً ثم قال : " أحسنت إليك ؟ " ، قال الأعرابي : لا ، ولا أجملت ، فغضب بعض المسلمين ، فهموا أن يقوموا إليه ، فأشار النبي ﷺ إليهم أن كفوا ، فلما قام النبي ﷺ وبلغ منزله دعا الأعرابي إلى البيت فقال له : " إنك جئتنا فسألتنا ، فأعطيناك فقلت ما قلت " ، فزاده رسول الله ﷺ شيئاً ، فقال : " أحسنت إليك ؟ " فقال الأعرابي : نعم ، فجزاك الله من أهلٍ وعشيرةٍ خيراً ! . فقال له النبي ﷺ : " إنك كنت جئتنا فأعطيناك ، فقلت ما قلت ، وفي نفس أصحابي عليك من ذلك شيء ، فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي ، حتى يذهب عن صدورهم " قال : فلما جاء الأعرابي قال رسول الله ﷺ : " إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه فقال ما قال ، وإننا قد دعونا فأعطيناه فزعم أنه قد رضي ، أكذاك ؟ " قال الأعرابي : نعم ، فجزاك الله من أهلٍ وعشيرةٍ خيراً ! ، قال أبو هريرة : فقال النبي ﷺ : " إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثله رجل كانت له ناقة فشردت عليه فاتبعها الناس ، فلم يزيدها إلا نفوراً ، فقال صاحب الناقة : خلوا بيني وبين ناقتي ، فأنا أرفق بها وأعلم بها ! ، فتوجه إليها صاحب الناقة فأخذ لها من قشام الأرض ودعاها حتى جاءت واستجابت ، وشد عليها رحلها ، واستوى عليها . ولو أني أطعتم حيث قال ما قال دخل النار " ^(١) .

إن من يتأمل هذا الموقف من الرسول ﷺ مع هذا الأعرابي يدرك حكمة النبي ﷺ وسماحته وتأثيره في دخائل النفوس ، قد ضرب مثلاً سامياً في التعامل مع جفاة الأعراب ، واستجلاب رضاهم ، وعودتهم إلى ديارهم مدهوشين بما رأوه من المصطفى ﷺ من تسامح ، وطيب تعامل ، كما قدم الرسول ﷺ مع هذا الدرس العملي للصحابة رضي الله عنهم مثلاً جميلاً من واقعهم ، يرسخ هذا التعامل في نفوسهم ، ويقيه حاضراً في أذهانهم ، كي

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥/٩ - ١٦) ، وقال الهيثمي : " رواه البزار ، وفيه إبراهيم بن الحكم بن إبان ، وهو متروك " .

يتعاملوا به فيما يواجهونه من الأعراب الجفأة ؛ ليحققوا تلك النتيجة التي حققها الرسول ﷺ، فعاد القادح مثنيًا، والذام مادحاً^(١) .

النموذج الثامن : تسامح الرسول ﷺ مع يهودي :

أراد أحد كبار اليهود أن يختبر النبي ﷺ، ويعرف مدى حلمه وتسامحه، وقال : لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفت في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما منه . يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، قال : فكنت أتلف له لأن أخالطه، فأعرف حلمه وجهله، فذكر قصة إسلافه للنبي ﷺ مالا في ثمرة قال : فلما حل الأجل أتيت فأخذت بمجامع قميصه وردائه وهو في جنازة مع أصحابه، ونظرت إليه بوجه غليظ . وقلت : يا محمد ألا تقضييني حقي ؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب لمطل !!! قال : فنظر إليَّ عمر وعيناها تدوران في وجهه كالفلك المستدير . ثم قال : يا عدو الله : أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى ؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك . ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم . ثم قال : أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر . أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فاقضه حقه، وزد عشرين صاعاً من تمر " (٢) .

وبهذا التعامل الراقي ، والتسامح واللفظ استطاع ﷺ أن يستوعب هذا اليهودي ، ويكون ذلك سبباً في إسلامه^(٣) ، قال القاضي عياض - رحمه الله - عن هذا الموقف : " فكان سبب إسلامه " (٤) .

وهكذا كانت هذه المواقف الجليلة المليئة بالحلم والصفح وحسن الملاحظة ورقى التعامل سبباً رئيساً في تجسيد الصورة المثلى عن الإسلام لدى خصومه ، بل كانت في كثير منها طريقاً لمخالطة الإيمان بشاشة قلوبهم واعتناقه عن صدق ورسوخ وثقة تامة ، وقناعة كاملة بأنه الدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده .

(١) ينظر: التسامح في الإسلام ص (١٧٦) .

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٨٨/١) من طريق الوليد بن مسلم قال : حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال : قال عبد الله بن سلام.. . .

(٣) البداية والنهاية، تحقيق عبد الله التركي (٥٠٧/٣) .

(٤) ينظر: الشفا في شمائل المصطفى، للقاضي عياض، المطبوع مع شرح الشفا، للملا على القاري (٣٤/٢) .

المبحث الرابع : شهادات غير المسلمين بأثر التسامح الإسلامي عليهم .

منذ سطع فجر الإسلام كانت شهادة أعدائه ظاهرة بينة، لأنهم شاهدوا من سماحة هذا الدين ما بهر عقولهم وأخذ بألبابهم، ورأوا من سلوك أهله ما دعاهم إليه، فاعترفت نفوس بعظمته وإن لم يؤمنوا به، فدوّن التاريخ شهادتهم مسطراً بحروف الإنصاف وكلمات العدل :

ومن ذلك ما يلي :

أولاً: ما كتبه نصارى الشام في صدر الإسلام إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يقولون: " يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا " (١) .

ثانياً: قال المستشرق الانجليزي توماس آرنولد يحكي واقع عيش النصارى في بلاد المسلمين: " إن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح " (٢) ، ويقول أيضاً: " لما كان المسيحيون يعيشون في مجتمعهم آمنين على حياتهم وممتلكاتهم ناعمين بمثل هذا التسامح الذي منحهم حرية التفكير الديني تمتعوا وخاصة في المدن بحالة من الرفاهية والرخاء في الأيام الأولى من الخلافة " (٣) .

ثالثاً: تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: " العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فالمسيحيون والزرادشتية واليهود لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفضعها، سمح لهم جميعاً دون أي عائق بمنعهم بممارسة شعائر دينهم، وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسه بمسوهم بأذى، أوليس هذا منتهى التسامح ؟ ، أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال ومتى ؟ ومن ذا الذي لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ، وبعد فضائع الأسبان، واضطهاد اليهود . إن السادة والحكام المسلمين الجدد لم يزجوا أنفسهم في

(١) فتوح البلدان، للبلاذري، ص (١٣٩) .

(٢) الدعوة إلى الإسلام، توماس آرنولد، ص (٧٠)، سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، د . عبد الله

الليحيان، ص (٣٥) .

(٣) ينظر : المصدرين السابقين .

شؤون تلك الشعوب الداخلية . فبطريك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع لأخيه بطريك القسطنطينية عن العرب : إنهم يمتازون بالعدل، ولا يظلموننا البتة، وهم لا يستخدمون معنا أي عنف " (١) .

رابعاً: يقول غوستاف لوبون : " فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم " (٢) ، ويتحدث عن صور من معاملة المسلمين لغير المسلمين فيقول : " وكان عرب أسبانيا خلال تسامحهم العظيم يتصفون بالفروسية المثالية، فيرحمون الضعفاء، ويرفقون بالمغلوبين، ويقفون عند شروطهم، وما إلى ذلك من خلال التي اقتبستها الأمم النصرانية بأوروبا منهم مؤخراً " (٣) .

خامساً: يقول هنري دي شامبون مدير مجلة (ريفي بار لمنتيز) الفرنسية: " لولا انتصار جيش شارل مارتل الهمجي على العرب المسلمين في فرنسا لما وقعت بلادنا في ظلمات القرون الوسطى، ولما أصيبت بفضائعها، ولا كابدت المذابح الأهلية التي دفع إليها التعصب الديني المذهبي، لولا ذلك الانتصار الوحشي على المسلمين في بواتييه لظلت أسبانيا تنعم بسماحة الإسلام، ولنجت من وصمت محاكم التفتيش، ولما تأخر سير المدينة ثمانية قرون، ومهما اختلفت المشاعر والآراء حول انتصارنا ذاك فنحن مدينون للمسلمين بكل محامد حضارتنا في العلم والفن والصناعة مدعوون لأن نعترف بأنهم كانوا مثال الكمال البشري في الوقت الذي كُتِّب فيه مثال الهمجية " (٤) .

سادساً: يقول المستشرق دوزي : " إن تسامح ومعاملة المسلمين الطيبة لأهل الذمة أدى إلى إقبالهم على الإسلام، وأنهم رأوا في اليسر والبساطة ما لم يألفوه في دياناتهم السابقة " (٥) .

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، زيجريد هونكه ص (٣٦٤) نقلاً عن سماحة الإسلام، د . اللحيدان ص (٣٥) .

(٢) ينظر : حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص (٧٢) .

(٣) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص (٣٤٤)، وينظر: السلوك وأثره في الدعوة إلى الله، فضل إلهي، ص (١٦٤) .

(٤) نظر : صور من حياة التابعين، عبد الرحمن الباشا ص (٤٢٠) .

(٥) ينظر : تاريخ أهل الذمة في العراق، توفيق سلطان ص (٧٠) .

سابعاً: يقول المستشرق بارتولد : " إن النصارى كانوا أحسن حالاً تحت حكم المسلمين، إذ أن المسلمين اتبعوا في معاملاتهم الدينية والاقتصادية لأهل الذمة مبدأ الرعاية والتساهل" ^(١) .

ثامناً: يقول المستشرق ديورانت : " لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام " ^(٢) .

تاسعاً: يقول أحد الكتاب الأمريكيين المعاصرين وهو : آندرو باترسون : " إن العنف باسم الإسلام ليس من الإسلام في شيء، بل إنه نقيض لهذا الدين الذي يعني : السلام لا العنف " ^(٣) .

عاشراً: يقول بول فندلي، - وهو عضو سابق في الكونغرس الأمريكي - : " على المسلمين الإعلان جهراً عن هويتهم الإسلامية، والبحث عن وسائل تمكنهم من عرض حقيقة دينهم على غير المسلمين ... ولا يجدر بهم انتظار حدوث أزمة كي يعلموا الآخرين بحقيقة دينهم ... لا بد للمسلمين أن يجاهرُوا بإسلامهم بجاهرة يكون سلوكهم الحسن معها، وإنجازاتهم المجدية سبيلاً للتعرف على الإسلام " ^(٤) .

الحادي عشر: وكانت سماحة الإسلام سبباً في إسلام الشاعر الأمريكي رونالد ركويل، حيث قال بعد أن أشهر إسلامه : " لقد راعني حقاً تلك السماحة التي يعامل بها الإسلام مخالفيه، سماحة في السلم وسماحة في الحرب، والجانب الإنساني في الإسلام واضح في كل وصاياه " ^(٥) .

إن عظمة هذا الدين لا تخفى إلاً على من جهل حقيقة الإسلام أو عميت بصيرته عنه، أو كان به لوثة من هوى أو حقد مقيت، وإلاً فإن سماحة الإسلام في المعاملة

(١) ينظر : المصدر السابق ص (١٢٤)

(٢) المصدر السابق.

(٣) لا سكوت بعد اليوم، فندلي ص (٩١) .

(٤) لا سكوت بعد اليوم، بول فندلي ص (٣٤٤) .

(٥) ينظر : معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، إدوار غالي الذهبي ص (٤٩) .

ଭୁବ ଭୁବ ଭୁବ ଭୁବ ଭୁବ ଭୁବ ଭୁବ ଭୁବ ଭୁବ ଭୁବ ଭୁବ ଭୁବ

- 097 -

الفصل السادس

تفنيد دعوى انتشار الإسلام بالسيف

من أقدم الشبه التي أثارها أعداء الإسلام وما زالوا يثيرونها انتشاره بالسيف ، وتاريخ الأمة المديد خير شاهد وبرهان على أن الإسلام انتشر وذاع في الآفاق بالحجة والإقناع ، وأن خصائصه ومزاياه وعظمة تشريعاته هي التي ساهمت مساهمة مباشرة في امتداده ومخالطته بشاشة قلوب من آمن به، أما شرعية القتال فيه فقد كانت لأغراض سامية ، ودوافع شريفة هي :

أ- رد اعتداء المعتدين على المسلمين ، لقوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ^(١) .

ب- إزالة الحجب والحواجز والعراقيل التي تقف أمام طريق الإسلام، وتمنع وصوله إلى الناس ، كما قال سبحانه : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ ^(٢) .

ج - حراسة الدين وحمایته من أهل الباطل، لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبِيعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ ^(٣) .

د- تأديب ناكثي العهد من المعاهدين، لقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَثُرُوا أَتَمَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ ^(٤) .

هـ - إغاثة المظلومين والمستضعفين من المسلمين، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ ^(٥) .

(١) سورة البقرة الآية: ١٩٠ .

(٢) سورة البقرة الآية: ١٩٣ .

(٣) سورة الحج الآية: ٤٠ .

(٤) سورة التوبة الآية: ١٢ .

(٥) سورة النساء الآية: ٧٥ .

إذن فالقتال في الإسلام كان لغاية شريفة ، تهدف لإعلاء كلمة الحق ، وإيصالها كل من يمكن أن تصل إليه ، وليس من أجل صراع على مناطق نفوذ ، أو نزاع على ثروات اقتصادية ، أو لأهداف سياسية أو انتقامية يقصد منها التشفي من الآخرين غير ذلك كما هو شأن الحروب في كثير من بلاد العالم .

ثم إن الجهاد في الإسلام تطلله الرحمة ، ولذلك كان له أخلاقياته المنبثقة من روح الإسلام ، فكان من وصايا رسول الله ﷺ للجيوش الإسلامية : " اغزُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَعْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيُّنَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ... " الحديث^(١) .

هذه هي أبرز أهداف الجهاد في الإسلام ، أهداف سامية ليست إلا في مصلحة الإنسانية عموماً ، خلافاً لما تزعمه بعض المفتريين على الإسلام بأنه دين قهر وإرغام ، قال أحد قساوسة النصارى في رسالة له إلى أبي عبيدة الخزرجي - في عصر الحروب الصليبية - : " ودين الصليب فشا في الأرض دون سيف ولا قهر، ودينكم إنما ظهر بالسيف والقهر في الأرض " ^(٢) .

وقد تصدى علماء المسلمين بالرد على هذه الدعوى ، وقد كان هذا الرد من عدة وجوه منها:

الوجه الأول: بيان أن انتشار النصرانية ما كان إلا بسبب القتال ، ولولا ذلك لما بقي منها أثر .

قال الخزرجي حول ذلك - في رده على أحد قساوسة النصارى - : " فكأنك قد غفلت عما كتبه مؤرخوكم وغيرهم من أن ابتداء دينكم إنما كان بأسباب القتال مع

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيره ح (١٧٣١) .

(٢) مقامع الصلبان ومراتب أهل الإيمان ص (١١٥) .

اليهود ، وكنتم تحرقوهم بالنيران ، وتغرقوهم في البحار ، وتعملون فيهم جميع أنواع الذل والهوان ، ولولا ذلك لم تُبق لكم اليهود أثراً " (١) .

الوجه الثاني : أن النصارى في واقع أمرهم مخالفون لشريعتهم التي تحثهم على الصلح ، والمسالمة ، وعدم القتال ، والابتعاد عن المنازعة إلى أن تقوم الساعة . وقد أورد الخزرجي نصوصاً من الإنجيل تبين ذلك منها :

- ١- " لا تقاموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً " .
- ٢- " ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ، ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين ... أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيك " (٢) .

ثم عقب الخزرجي على ذلك بقوله : " ومع ذلك فإننا نراكم - أي النصارى - أشد الناس تكالفاً وحرصاً على القتل والقتال وبسط الأيدي بالاعتساف في أقطار الأرض، تقتلون النفوس ، وتسلبون الأموال ... مع تحريم إنجيلكم ذلك عليكم ، وإيجابه الاستسلام لأعدائكم ، ومن استحل حرمت الله تعالى فهو أشد الناس كفراً بالله وكتبه وأحكامه " (٣) .

وقريباً من ذلك ما ذكره الإمام القرطبي - رحمه الله - حيث قال : " وأعجب من ذلك - أي دعواهم انتشار الإسلام بالسيف - تلبسهم بالقتال ، والإكثار منه أبد الدهر إلى اليوم ، وهم مع ذلك يدعون أن القتال غير مشروع لهم ويذمون الشريعة التي جاءت به ، فهم قد ناقضت أفعالهم أقوالهم ، وشهدت على كذبهم أحوالهم ... " (٤) .

الوجه الثالث: أن الجهاد في الإسلام من أسباب حماية الدعوة ، وقد ظل النبي ﷺ في قومه زمناً يدعوهم إلى عبادة الله وحده ونبد الشرك وعبادة الأصنام ، فحاربه قومه وآذوه وضيقوا عليه، فكان الجهاد رافعاً لهذا الأذى، ودافعاً للظلم، وممكناً لدعوة الحق .

(١) مقامع الصليبان ومراتع أهل الإيمان ص (٢٨٥) .

(٢) مقامع الصليبان ومراتع أهل الإيمان ص (٢٨٦) .

(٣) مقامع الصليبان ومراتع أهل الإيمان ص (٢٨٧) .

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص (٤٥٢) .

৳৳৳৳৳৳৳৳৳ ৳৳৳৳৳৳৳৳৳

الباب الثاني عشر

التعامل مع غير المسلمين بعد الموت .

وفيه عشرة فصول :

الفصل الأول : عيادة المسلم غير المسلم المريض .

الفصل الثاني : تغسيل غير المسلم وتكفينه .

الفصل الثالث : اتباع جنازة غير المسلم ودفنه

الفصل الرابع : هل يدفن غير المسلم مع المسلمين؟

الفصل الخامس : القيام لجنازة غير المسلم .

الفصل السادس : زيارة قبر غير المسلم .

الفصل السابع: حكم الصلاة على غير المسلم و الاستغفار له والترحم عليه .

الفصل الثامن : حكم التوارث بين المسلم وغير المسلم .

الفصل التاسع : وصية المسلم لغير المسلم .

الفصل العاشر : حكم ميراث المرتد .

لم يكن تعامل الإسلام الرائع مع غير المسلمين مخصوصاً في حال حياتهم ، بل لقد شمل الإسلام بجلال روعة تعامله غير المسلمين بعد مماتهم ، ونظم هذا التعامل تنظيمًا عادلاً ينتظم سائر شؤون الميت من غير المسلمين سيما من كان منهم قريباً أو تجمعنا به وشيجة من وشائج الحياة المتنوعة ، فقد جلى الإسلام الصورة المثلى في كيفية هذا التعامل، يتضح ذلك من خلال الفصول التالية .

الفصل الأول

عيادة المسلم غير المسلم المريض

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال : كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرَضَ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمَ ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ ، وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطْعَمَ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ " (١) .

وهذا الحديث دليلٌ على أمور :

الأمر الأول : رافة الإسلام بكلِّ مخلوق، حتى بالكفار، حيث قام النبي ﷺ بزيارة اليهودي ودعوته إلى الإسلام، وهذا أعظم خيرٍ يقدمه الشخص إلى الغير، لأنه يتعلّق بسعادته في الدنيا والآخرة، ونجاته من العذاب الدائم؛ ولذلك عمد النبي الكريم ﷺ إلى زيارة هذا الغلام اليهودي، وهو مريض قرب الوفاة؛ ليهتبل هذه الفرصة السانحة، وهذه اللحظات المصيرية؛ كي يدعوه إلى الدين الحق، الذي ينقذ نفسه به من النار، فتحقق للنبي ﷺ ما أراد وبلغه الأمنية بإسلام هذا الغلام اليهودي، فأسلم قبيل وفاته، وخرج النبي ﷺ فرحاً مسروراً، يحمد الله أن أنقذه بهذه الزيارة، وأنجاه من النار .

الأمر الثاني : فيه دليلٌ على مشروعية عيادة المريض، ولو كان كافراً، وبالأحرى إذا كان ممن يرجى إسلامه ، ومما ينبغي في ذلك مراعاة آداب زيارة المرضى في كمّيّتها وكيفيتها كأن تكون العيادة غبا، لا يواصلها كل يوم إلا أن يكون مغلوباً، وهذا لآحاد الناس أما أقارب المريض وأصدقائه ونحوهم ممن يأنس بهم ، فلا حرج عليهم في الإكثار من الزيارة ، وإذا عاده كره إطالة القعود عنده؛ لما فيه من إضجاره والتضييق عليه ومنعه من بعض تصرفاته (٢) .



(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ؟ وهل يعرض على

الصبي الإسلام ؟ ح (١٣٥٦) .

(٢) ينظر: مغني المحتاج (٣٣٠/١) ، المجموع للنووي (١٠٢/٥) .

الفصل الثاني

تغسيل غير المسلم وتكفينه

أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه، عن الأجلح عن الشعبي قال : " لما مات أبو طالب جاء علي رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن عمك الشيخ الكافر قد مات، فما ترى فيه؟ ، قال: " أرى أن تغسله وتحنطه، وأمره بالغسل " (١) .

وهذا الحديث دليل على جواز تغسيل المسلم لقريبه الكافر، كما هو مذهب الشافعي، وأبي حنيفة، وأبي ثور (٢)، ولكن الحديث بهذا اللفظ لا يصح عند أهل العلم بهذا الشأن . ولهذا رجح أكثر أهل العلم: أنه لا يشرع للمسلم تغسيل الكافر (٣)، قال الإمام مالك - رحمه الله - : " لا يغسل المسلم والده إذا مات الوالد كافراً، ولا يتبعه، ولا يدخله قبره، إلا أن يخشى أن يضيع فيواريه " (٤) .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢٦٩)، وهو ضعيف لثلاث علل : العلة الأولى : الإرسال، حيث أرسله الشعبي ولم يصله ، العلة الثانية : أنه من رواية الأجلح، وفيه ضعف . ينظر تهذيب الكمال (٢/ ٢٧٥) ، العلة الثالثة : أن ذكر الغسل في هذا الحديث منكر؛ لمخالفته الرواية المحفوظة عند أحمد ح (٨٠٧)، وأبي داود ح (٣٢١٤)، والبيهقي (٣/ ٣٩٨)، من طرق، عن أبي إسحاق، عن ناجية بن كعب، عن علي رضي الله عنه قال : لما توفي أبو طالب أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت إن عمك الضال قد مات، فمن يواريه؟ قال : " اذهب فواره، ثم لا تحدث شيئاً حتى تأتيني " فقال : إنه مات مشركاً، قال : اذهب فواره، قال : فواريته ثم أتيت، قال : " اذهب فاغتسل ثم لا تحدث شيئاً حتى تأتيني " ، قال فاغتسلت ثم أتيت، قال : فدعا لي بدعوات، ما يسرني أن لي بها حمر النعم وسودها، قال : وكان علي إذا غسل الميت اغتسل " وهذا الحديث ضعفه البيهقي (٣/ ٣٩٨)، والنووي في المجموع (٥/ ١٨١)، وقال ابن حجر في التلخيص (٥/ ١٤٩-١٥٠) : " ومدار كلام البيهقي على أنه ضعيف، ولا يتبين ضعفه، وقد قال الرافعي: إنه حديث مشهور، قال ذلك في أماليه " ، قال الألباني في الإرواء (٥/ ١٧١) : " ولعل وجه ضعفه عند البيهقي أنه من رواية أبي إسحاق، وهو السبيعي، وكان اختلط، والجواب أنه قد رواه جماعة .. وفيهم سفيان الثوري، وهو من أثبت الناس فيه؛ لأنه روى عنه قديماً قبل الاختلاط، فزال الإشكال " .

(٢) بداية المجتهد (١/ ٢٢٧) .

(٣) ينظر: فتح الباري (٣/ ١٥١) .

(٤) المدونة الكبرى (١/ ١٨٧) .

الفصل الثالث

اتباع جنازة غير المسلم ودفنه

عن كعب بن مالك قال : جاء قيس بن شماس إلى النبي ﷺ فقال: إن أمه توفيت وهي نصرانية، وهو يحبُّ أن يحضرها، فقال له النبي ﷺ : " اركب دابتك وسر أمامها، فإذا ركبت وكنت أمامها فليست معها " ^(١) .

أي أنه إن كان أباً، أو أمّاً، أو أخاً، أو بينه وبين الميت الكافر أي قرابةً أخرى، وحضره فلا بأس بحضوره ، لكنه يكون أمام الجنازة .

سئل الإمام أحمد - رحمه الله - عن يهوديٍّ أو نصرانيٍّ مات، وله ولدٌ مسلم فقال: ليركب دابته، وليسر أمام الجنازة، وإذا أراد أن يدفن رجع ^(٢) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : عارض رسول الله ﷺ جنازة أبي طالب، ثم قال " وصلتك رحم وجزيت خيراً يا عم " ^(٣) .

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " هل يجوز للمسلم أن يتبع جنازة النصراني ؟ فأجاب : لا يتبع جنازته " ^(٤) .

أما دفن غير المسلم ومواراة جيفته في قبر، بحيث لا تنبشه السباع، ولا تخرجه السيول المعتادة فمشروع لما يلي :

أولاً : حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْقَتْلِ أَنْ يُطْرَحُوا فِي الْقَلْبِ فَطُرِحُوا فِيهِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، فَإِنَّهُ انْتَفَخَ فِي دِرْعِهِ

(١) رواه الخلال نقلاً عن أحكام أهل الذمة (٢٠٣/١) من طريق علي بن سهل بن المغيرة قال حدثني أبي سهل بن المغيرة حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال جاء قيس بن شماس ...

(٢) ينظر: المغني لابن قدامة (٥٢٨/٢) .

(٣) لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ إلا عند عبد الرزاق في مصنفه (٣٨/٦) قال " أخبرنا محمد بن راشد قال: سمعت مكحولاً يقول: تبع النبي ﷺ ... الحديث " ، وهو حديث مرسل ، وأنكره الإمام أحمد - رحمه الله - ، العلل المتناهية (٩٠٤/٢) .

(٤) مجموع الفتاوى (٢٦٥/٢٤) .

ثانياً : حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قلت للنبي ﷺ : إِنَّ عمك الشيخ الضال قد مات، فقال النبي ﷺ : " اذهب فواره " (٣) .



(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٦/٦) ، من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - قالت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا في القليب ... قال الشيخ الألباني في كتابه أحكام الجنائز، ص (١٣٣): " إسناده حسن " ، وأخرج البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب : ما جاء في عذاب القبر ح (١٣٧٠) ، من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : اطلع النبي ﷺ على أهل القليب فقال: وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فقليل له: تدعو أمواتاً؟ فقال: " ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون " .

- ٧٠٨ -

بل إن أهل العلم نصوا على أن المرأة الكافرة إذا كانت حاملاً وبعلمها مسلم ، ألما لا تدفن أيضاً مع المسلمين، وسئل شيخ الإسلام - رحمه الله - : " عن امرأة نصرانية بعلمها مسلم توفيت وفي بطنها جنين له سبعة أشهر فهل تدفن مع المسلمين أو مع النصارى؟ فأجاب : " لا تدفن في مقابر المسلمين ولا مقابر النصارى؛ لأنه اجتمع مسلم وكافر، فلا يدفن الكافر مع المسلمين ولا المسلم مع الكافرين بل تدفن منفردة ويجعل ظهرها إلى القبلة، لأن وجه الطفل إلى ظهرها فإذا دفنت كذلك كان وجه الصبي المسلم مستقبل القبلة والطفل يكون مسلماً بإسلام أبيه وان كانت أمه كافرة باتفاق العلماء" (٣).



(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الجنائز ، باب : المشي في النعل بين القبور (٧٢/٢) والنسائي في كتاب الجنائز ، باب: كراهية المشي بين القبور في النعال السبتية (٢٨٨/١) وابن ماجه في كتاب الجنائز ، باب: ما جاء في خلع النعال في المقابر (٤٧٤/١) وابن أبي شيبة (١٧٠/٤) والحاكم (٣٧٣/١) ومدايره على الأسود بن شيبان عن خالد بن سمير السدوسي عن بشير بن نهيك عن بشير مولى رسول الله ﷺ ، قال الحاكم : صحيح الإسناد، ونقل ابن القيم في (تهذيب السنن) (٣٤٣/٤) عن الإمام أحمد - رحمه الله - أنه قال : " إسناده جيد " ، وقال النووي - رحمه الله - في المجموع (٤١٢/٥): " إسناده حسن " .

(٢) المحلي (١٤٢/٥ - ١٤٣) .

(۳) مجموع فتاویٰ شیخ الإسلام (۲۴/۲۹۵).

الفصل الخامس

القيام لجنازة غير المسلم

وردت { أحاديث مختلفة في هذا الباب، منها ما دل على مشروعية القيام لجنازة غير المسلم، ومنها ما دل على عدم مشروعية ذلك، ابدأ بذكر الأحاديث الدالة على مشروعية القيام للجنازة ، ثم اثني بذكر الأحاديث الدالة على الجلوس ، ومن ثم أتحدث عن التوفيق بين :

أولاً: الأحاديث الدالة على مشروعية القيام للجنازة :

الحديث الأول : عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : مَرَّتْ جَنَازَةٌ فَقَامَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقُمْنَا مَعَهُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّهَا يَهُودِيَّةٌ ؟ فَقَالَ: " إِنَّ الْمَوْتَ فَرَعٌ فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا " (١) .

الحديث الثاني : عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: كَانَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ فَقَامَا ، فَقِيلَ لَهُمَا: إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ - أَيِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ - فَقَالَا : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جَنَازَةٌ يَهُودِيٌّ فَقَالَ: " أَلَيْسَتْ نَفْسًا " (٢) .

الحديث الثالث : عن أبي موسى رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِذَا مَرَّتْ بِكُمْ جَنَازَةٌ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ أَوْ مُسْلِمٌ فَقُومُوا لَهَا، فَلَسْتُمْ لَهَا تَقُومُونَ إِلَّا تَقُومُونَ لِمَنْ مَعَهَا مِنْ الْمَلَائِكَةِ " (٣) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب: القيام للجنازة ح (١٣١١) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب: القيام للجنازة ح (٩٦٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب: القيام للجنازة ح (١٣١٣) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب : القيام للجنازة ح (٩٦١) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩١/٢) ، والطيالسي في مسنده ص (٧١) ح (٥٢٨) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤٨٩/١) ، من طريق ليث بن أبي سليم عن أبي بردة عن أبي موسى ، وهو ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم ، وللاختلاف عليه فيه ، فقد رواه عبد الوارث كما عند أحمد هنا ، عنه عن أبي بردة عن أبي

الحديث الرابع : عن أنس رضي الله عنه أَنَّ جَنَازَةً مَرَّتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ ، فَقِيلَ: إِنَّهَا جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ فَقَالَ: " إِنَّمَا قُمْنَا لِلْمَلَائِكَةِ " ^(١) .

الحديث الخامس : عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أَنَّهُ سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَمُرُّ بِنَا جَنَازَةُ الْكَافِرِ، أَفَنَقُومُ لَهَا ؟ فَقَالَ: نَعَمْ قُومُوا لَهَا ، فَإِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَقُومُونَ لَهَا إِنَّمَا تَقُومُونَ إِعْظَامًا لِلَّذِي يَقْبِضُ النَّفْسَ " ^(٢) .

وقد تعددت الروايات السابقة في تعليل القيام للجنازة، ففي رواية أنه ﷺ قال : " أليست نفساً ؟ " كما في حديث سهل بن حنيف وقيس بن سعد - رضي الله عنهما - ، وفي رواية أنه ﷺ قال: " إن للموت فرعاً " كما في حديث جابر رضي الله عنه، وفي رواية أن القيام كان للملائكة، كما في حديث أبي موسى وأنس وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم، وقد جمع بين هذه الروايات الحافظ ابن حجر - رحمه الله - وبين أن القيام للفرع من الموت فيه تعظيم لأمر الله ، وتعظيم للقائمين بأمره في ذلك وهم الملائكة، وأما ما أخرجه الإمام أحمد - رحمه الله - من حديث الحسن بن علي رضي الله عنه قال: إنما قام رسول الله ﷺ تأذياً بريح اليهودي ^(٣) فإن ذلك لا يعارض الأخبار الأولى الصحيحة، أما أولاً فلأن أسانيداً لا تقاوم تلك في الصحة، وأما ثانياً فلأن التعليل بذلك راجع إلى ما فهمه الراوي ، والتعليل الماضي صريح من لفظ النبي ﷺ فكان الراوي لم يسمع التصريح بالتعليل منه، فعلل

موسى، ورواه حسان بن إبراهيم كما عند الحازمي في الاعتبار ص (٩١)، عنه عن أبي إسحاق عن أبي بردة بزيادة أبي إسحاق .

(١) أخرجه النسائي في المجتبى (٤٧/٤ - ٤٨)، والحاكم في المستدرک (٣٥٧/١)، من طريق النظر بن شميل عن حماد بن سلمة، عن قتادة عن أنس، وهو حديث صحيح، وقال الحاكم : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه بهذا اللفظ " .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٨/٢)، وابن حبان كما في الإحسان (٣٢٤/٧)، والبيهقي في سننه (٢٧/٤)، والبخاري كما في كشف الأستار (٣٩٣/١)، والحاكم كما في المستدرک (٣٥٧/١)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤٨٦/١)، من طريق ربيعة بن سيف المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو، وهذا إسناد ضعيف ؛ لأنه من رواية ربيعة بن سيف المعافري، قال عنه البخاري : عنده مناكير، ينظر: التقريب ص (٢٠٧)، الكاشف (٢٣٧/١)، وضعفه النسائي في المجتبى (٢٧/٤) .

(٣) أخرجه أحمد (٢٠٠/١) من طريق حماد عن الحجاج بن أرطاة عن محمد بن علي عن الحسن بن علي قال: ... قال شعيب الأرناؤوط : " إسناده ضعيف " .

باجتهاده وقد روى ابن أبي شيبه من طريق خارجة بن زيد بن ثابت عن عمه يزيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فطلعت جنازة فلما رآها قام وقام أصحابه، حتى بعدت، والله ما أدري من شأنها أو من تضايق المكان وما سألناه عن قيامه ^(١)، ومقتضى التعليل بقوله: " أليست نفساً أن ذلك يستحب لكل جنازة " ^(٢).

ثانياً: الأحاديث الدالة على مشروعية الجلوس للجنازة :

الحديث الأول: ما رواه محمد بن سيرين: أَنَّ جَنَازَةً مَرَّتْ بِالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، فَقَامَ الْحَسَنُ وَلَمْ يَقُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَقَالَ الْحَسَنُ رضي الله عنه: أَلَيْسَ قَدْ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَجَنَازَةِ يَهُودِيٍّ؟، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: نَعَمْ ثُمَّ جَلَسَ ^(٣).

الحديث الثاني: عن محمد بن علي بن الحسين، أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رضي الله عنه كَانَ جَالِسًا فَمَرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ، فَقَامَ النَّاسُ حَتَّى جَاوَزَتِ الْجَنَازَةُ فَقَالَ الْحَسَنُ: إِنَّمَا مَرَّ بِجَنَازَةِ يَهُودِيٍّ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى طَرِيقِهَا جَالِسًا، فَكَرِهَ أَنْ تَعْلُو رَأْسَهُ جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ فَقَامَ ^(٤)، وفي رواية: إنما قام رسول الله ﷺ تأذياً بريح اليهودي ^(٥).

(١) مصنف ابن أبي شيبه (٣/ ٣٩) عن عبد الله بن نمير قال حدثنا عثمان بن حكيم عن خارجة بن زيد عن عمه يزيد بن ثابت انه كان جالسا مع النبي ﷺ في أصحابه ... الحديث .

(٢) فتح الباري (٣/ ١٨٠) .

(٣) أخرجه بهذا اللفظ النسائي في سننه (٤/ ٤٦) ، عن قتيبة عن حماد عن أيوب عن محمد بن سيرين، ورجاله ثقات إلا أن ابن سيرين لم يسمع من ابن عباس والحسن، وقد ظن الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - كما في تعليقه على المسند ح (١٧٢٦) أن الحسن هذا هو الحسن البصري ولهذا قال عنه: إسناده صحيح، والصواب أنه الحسن بن علي كما دلت عليه مجموع روايات الحديث .

(٤) أخرجه النسائي في سننه (٤/ ٤٧)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٠٠، ٣/ ١٩٦)، وابن أبي شيبه في مصنفه (٣/ ٣٥٨)، وابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخة ص (٣٠٠)، ح (٣٤٣)، من طريق محمد بن علي بن الحسين عن الحسن بن علي، وهو ضعيف؛ للانقطاع بين محمد بن علي بن الحسين والحسن بن علي، ومحمد بن علي ثقة لكنه لم يسمع من الحسن، ينظر: التهذيب (٩/ ٣١١)، الكاشف (٣/ ٧١)، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني (٢/ ٤٤٦) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٣١): " في رواية أحمد الحجاج بن أرطاة وفيه كلام " وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٣/ ١٩٦): " إسناده ضعيف، لانقطاعه " (٥) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ١٧٢٢، من طريق: الحجاج بن أرطاة عن محمد بن علي عن الحسن بن علي، وهو ضعيف لأنه من رواية الحجاج بن أرطاة وهو ضعيف، ينظر: تهذيب التهذيب (٢/ ١٧٣٠).

الحديث الثالث : وعن وَاَقْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ نَافِعَ بْنَ جُبَيْرٍ وَنَحْنُ فِي جَنَازَةٍ قَائِمًا ، وَقَدْ جَلَسَ يَنْتَظِرُ أَنْ تُوَضَعَ الْجَنَازَةُ فَقَالَ لِي: مَا يُقِيمُكَ؟ فَقُلْتُ: أَتَنْتَظِرُ أَنْ تُوَضَعَ الْجَنَازَةُ لِمَا يُحَدِّثُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ^(١) فَقَالَ نَافِعٌ: فَإِنْ مَسْعُودَ بْنِ الْحَكَمِ حَدَّثَنِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَعَدَ^(٢).

الحديث الرابع : حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ فِي الْجَنَازَةِ حَتَّى تُوَضَعَ فِي اللَّحْدِ ، فَمَرَّ بِهِ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: هَكَذَا نَفْعُلُ ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: " اجْلِسُوا خَالِفُوهُمْ " ^(٣) .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: " وقد اختلف أهل العلم في أصل المسألة، فذهب الشافعي إلى أنه - أي القيام - غير واجب، فقال : هذا إما أن يكون منسوخاً، أو يكون قام لعله، وأيهما كان فقد ثبت أنه تركه بعد فعله، والحجة في الآخر من أمره، والقيود أحب إلي ... ثم نقل عن القاضي عياض قوله : ذهب جمع من السلف إلى أن الأمر بالقيام منسوخ بحديث علي قال : وتعقبه النووي : بأن النسخ لا يصار إليه إلا إذا تعذر الجمع، وهو هنا ممكن، قال : والمختار أنه مستحب " ^(٤)

وتفصيل الخلاف في هذه المسألة كما يلي:

(١) يعني حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا فَمَنْ تَبِعَهَا فَلَا يَقْعُدْ حَتَّى تُوَضَعَ " أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب: من تبع جنازة فلا يعد حتى توضع عن المناكب ح (١٣١٠) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب : القيام للجنائز ح (٩٥٩) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز ، باب : نسخ القيام للجنائز ح (٩٦٢) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز ، باب القيام للجنائز ح (٢٧٦٢)، والترمذي في جامعه ، كتاب الجنائز باب : ما جاء في الجلوس قبل أن توضع ح (١٠٢٠) ، وابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب: ما جاء في القيام للجنائز ح (١٥٤٥) ، والبيهقي في سننه (٢٨/٤) ، من طريق عبد الله بن سليمان بن جنادة عن أبيه عن جده عن عبادة بن الصامت، وهو ضعيف لأجل عبد الله بن سليمان بن جنادة، ضعفه ابن عدي في الكامل (٢٢٧/٤) ، ولضعف أبيه سليمان بن جنادة، قال البخاري في الضعفاء الصغير ص (٤٤٣) : " منكر الحديث " . وقال الترمذي : " هذا حديث غريب " .

(٤) فتح الباري (١٨١/٣) .

القول الأول : أن المرء مخيرٌ بين القيام والقعود للجنائز، فمن قام لا يعاب عليه، ومن قعد لا يُعاب عليه، وبهذا قال الإمام أحمد ^(١) ، وإسحاق ، وابن حبيب ، وابن الماجشون من المالكية ^(٢) .

القول الثاني: أن القيام للجنائز منسوخ، وبهذا قال أبو حنيفة، ومالك، والشافعي ^(٣) . قال ابن رشد - رحمه الله - في كتابه " بداية المجتهد ": " وأكثر العلماء على أن القيام إلى الجنائز منسوخ وذهب قوم إلى وجوب القيام " ^(٤) ، وقال الشافعي - رحمه الله - : " ولا يقوم للجنائز من شهدها والقيام لها منسوخ " ^(٥) .

وقال النووي - رحمه الله - : " والمشهور في مذهبنا أن القيام ليس مستحباً ، وقالوا: هو منسوخ بحديث علي عليه السلام ، واختار المتولي من أصحابنا أنه مستحب ، وهذا هو المختار فيكون الأمر به للندب ، والقعود بياناً للجواز ، ولا يصح دعوى النسخ في مثل هذا لأن النسخ إنما يكون إذا تعذر الجمع بين الأحاديث ولم يتعذر " ^(٦) ، والناسخ عندهم هو: حديث علي عليه السلام قال: " قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قعد " ^(٧) .

القول الثالث : وجوب القيام للجنائز، وعدم الجلوس حتى توضع في القبر ^(٨) ، وهو مروى عن عددٍ من السلف، وبه قال إسحاق بن راهويه، وهو رواية عن الإمام أحمد - رحمه الله - ^(٩) .

(١) قال أحمد : " إن قام لم أعبه وإن قعد فلا بأس " . ينظر: المغني لابن قدامة (٤٧٩/٢) .

(٢) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٢٧/٧) .

(٣) ينظر: تبين الحقائق (٢٤٤/١) ، حاشية ابن عابدين (٢٣٢/٢) ، التمهيد لابن عبد البر (٢٦١/٢٣) -

(٢٦٣) ، الدراري المضيئة للشوكاني ص (١٩٤) .

(٤) بداية المجتهد (٢٣٤/١) .

(٥) الأم (٢٤٧/١) .

(٦) شرح صحيح مسلم للنووي (٢٧/٧ - ٢٩) .

(٧) أخرجه مسلم كتاب : الجنائز، باب : نسخ القيام للجنائز ح (٩٦٢) .

(٨) شرح الزرقاني (٩٥/٢) .

(٩) الاستذكار (٥٩/٣) وبه يأخذ أبو سعيد ويراه واجباً، وابن عمر، وسهل بن حنيف، وقيس بن سعد، وأبو

موسى الأشعري، وأبو مسعود البدر، والحسن بن علي، والمسور بن مخرمة، وقتادة، وابن سيرين، والنخعي،

والشعبي، وسالم بن عبد الله " ينظر: تحفة الأحوذ (٨٦/٤) .

واحتجوا بحديث عامر بن ربيعة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: " إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا حَتَّى تُخَلِّفَكُمُ أَوْ تُوضَعَ " ^(١) ، وبالأدلة السابقة في أول هذا الفصل .

الترجيح :

والذي يظهر أن الراجح هو القول الأول، القاضي بأن الإنسان مخير بين القيام والقعود؛ لأنّ النبي ﷺ فعل الأمرين كليهما ، قال ابن القيم - رحمه الله - : " الأمران جائزان، وفعله بيانٌ للاستحباب، وتركه بيانٌ للجواز، وهذا أولى من ادعاء النسخ " ^(٢) ، وقال أيضاً - رحمه الله - : " وقد عمل الصحابة بالأمرين بعد النبي ﷺ فقعد علي وأبو هريرة ومروان، وقام أبو سعيد، ولكن هذا في قيام التابع " ، والله أعلم ^(٣) .



(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب: القيام للجنائز ، ح (١٣٠٧) ، ومسلم في صحيحه ،

كتاب الجنائز ، باب: القيام للجنائز ح (٩٥٨) .

(٢) زاد المعاد (٥٢١/١) .

(٣) حاشية ابن القيم (٣٢١/٨) .

الفصل السادس

زيارة قبر غير المسلم

يجوز للمسلم أن يزور قبر قريبه غير المسلم للعظة والاعتبار لا للدعاء له، يدل على ذلك حديثان :

الأول : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ ، فَبَكَى وَأَبَكَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ : " اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَعْفِرَ لَهَا ، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي ، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ " ^(١) .

الثاني : عن بريدة رضي الله عنه قال : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَانْزَلَ بِنَا وَنَحْنُ مَعَهُ ، قَرِيبٌ مِنْ أَلْفِ رَاكِبٍ ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، فَفَدَاهُ بِالْأَبِ وَالْأُمِّ يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ ؟ قَالَ : " إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي ﷻ فِي الْإِسْتِغْفَارِ لِمُيِّ فَلَمْ يَأْذَنْ لِي ، فَدَمَعَتْ عَيْنَايَ رَحْمَةً لَهَا مِنَ النَّارِ " ^(٢) .

قال النووي - رحمه الله - معلقاً على حديث أبي هريرة السابق - : " فيه جواز زيارة المشركين في الحياة، وقبورهم بعد الوفاة؛ لأنه إذا جازت زيارتهم بعد الوفاة ففي الحياة أولى ، وقد قال الله تعالى ﴿ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ ^(٣) ، وفيه النهي عن الاستغفار للكفار، قال عياض : سبب زيارته ﷺ قبرها أنه قصد قوة الموعظة والذكرى بمشاهدة قبرها، ويؤيده قوله ﷺ : " فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ " ^(٤) .

والمقصود من زيارة القبور : انتفاع الزائر بذكر الموت والموتى، وتذكر المال الأخروي وأنه إما إلى جنة وإما إلى نار، وهو الغرض الأول من الزيارة، كما يدل عليه ما سبق من الأحاديث .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب: استئذان النبي ربه في زيارة أمه ح (٩٧٦) .

(٢) أخرجه أحمد (٣٥٥/٥ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩) ، وابن أبي شيبة (١٣٩/٤) ، من طريق محارب بن دثار عن بريدة عن أبيه .

(٣) سورة لقمان الآية: ١٥ .

(٤) شرح النووي على مسلم (٤٥/٧) .

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: "إذا مررتم بقبورنا وقبوركم من أهل الجاهلية، فأخبروهم أنهم من أهل النار" (٢).



(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ح (٨٤٧) من طريق يحيى بن اليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، وهذا الإسناد فيه: يحيى بن يمان وهو سىء الحفظ ، ينظر: تهذيب الكمال (٣٢ / ٥٥) .

الفصل السابع

حكم الصلاة على غير المسلم والاستغفار له والترحم عليه .

تحرم الصلاة على غير المسلم كما يجرم الاستغفار له والدعاء له بالرحمة؛ لأنَّ الله تعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ ، ثم علل لهذا النهي بقوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ (١) ، وسبب نزول هذه الآية الكريمة، ما جاء في حديث عمر رضي الله عنه قال : " لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعى به رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه قمت في صدره، فأخذت بثوبه، فقلت : يا رسول الله أتصلي على عدو الله ابن أبي بن سلول، وقد قال يوم كذا كذا وكذا؟! أعدد عليه قوله (٢) أليس قد نكأك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (٣) ؟! ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : " أخر عني يا عمر " ! ، فلما أكثرت عليه قال : " إني خيرت فاخترت، قد قيل لي : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ ، لو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت عليها " قال : إنه منافق (٤) ، قال فصلى عليه

(١) سورة التوبة، الآية : ٨٤ .

(٢) يشير بذلك إلى مثل قوله : ﴿ هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ﴾ سورة المنافقون، الآية : ٧، وقوله ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ سورة المنافقون، الآية : ٨ .

(٣) سورة التوبة: الآية : ٨٠ .

(٤) قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في فتح الباري (٢٧٠/٨) : " إنما جزم عمر أنه منافق جرياً على ما كان يطلع عليه من أحواله، وإنما لم يأخذ النبي ﷺ بقوله، وصلى عليه إجراءً له على ظاهر حكم الإسلام، واستصحاباً لظاهر الحكم، ولما فيه من إكرام ولده الذي تحققت صلاحيته، ومصلحة الاستئلاف لقومه، ودفع المفسدة، وكان النبي ﷺ في أول الأمر يصبر على أذى المشركين ويعفو ويصفح، ثم أمر بقتال المشركين فاستمر صفحه وعفوه عمن يظهر الإسلام، ولو كان باطنه على خلاف ذلك؛ لمصلحة الاستئلاف، وعدم التنفير عنه، ولذلك قال : " لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه " فلما حصل الفتح، ودخل المشركون في الإسلام، وقلَّ أهل الكفر وذلوا، أمر بمجاهرة المنافقين، وحملهم على حكم الحق، لا سيما وقد كان ذلك قبل نزول النهي الصريح عن الصلاة على المنافقين، وغير ذلك مما أمر فيه بمجاهدتهم، وبهذا التقرير يندفع الإشكال عما وقع في هذه القصة بحمد الله تعالى .

رسول الله ﷺ وصلينا معه، ومشى ﷺ معه، فقام على قبره حتى فرغ منه ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيراً، حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ قال : " فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق، ولا قام على قبره حتى قبضه الله) قال : فعجبتُ بعدُ من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ " (١) .

وأما الاستغفار لغير المسلم ففيه أحاديث منها ما يلي :

الحديث الأول: : عن المسيب بن حزن رضي الله عنه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ : " يا عم إنك أعظم الناس علي حقاً، وأحسنهم عندي يداً، ولأنت أعظم علي حقاً من والدي، فـ " قل : لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله " فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ! أترغب عن ملة عبد المطلب ؟! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب وأبي أن يقول : لا إله إلا الله (٢) ، قال : لولا أن تعيرني قريش - يقولون: إنَّما حملة على ذلك الجزع - لأقررتُ بها عينيك ! فقال رسول الله ﷺ : " أما والله لأستغفرنَّ لك ما لم أنه عنك " ، فأخذ المسلمون يستغفرون لموتاهم الذين ماتوا وهم مشركون، فأنزل الله ﷻ : ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (٣) وأنزل الله في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٤)(٥) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب: ما يكره من الصلاة على المنافقين ح (١٣٦٦) .
(٢) في هذا الحديث أن سبب نزول الآية غير السبب المذكور في الحديث الذي قبله، ولا تعارض بينهما لجواز تعدد سبب النزول كما وقع ذلك في غير آية، وقد أيد هذا الحافظ - رحمه الله - في الفتح (٤١٢ / ٨) .
(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٣ .
(٤) سورة القصص، الآية: ٥٦ .
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب: قصة أبي طالب ح (٣٦٧١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في التزع ح (٢٤) .

الحديث الثاني: عن علي عليه السلام قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت: تستغفر لأبويك وهما مشركان؟!، فقال: أليس قد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك؟ قال: فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فترلت: ﴿ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (١٣) وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَرُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ^{(١)(٢)} .

وهذا الاستغفار إنما هو ما حكاه الله تعالى في أواخر سورة إبراهيم عنه: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ (٤١) ^(٣) ، وقد ذكر المفسرون أن هذا الدعاء منه كان بعد وفاة أبيه، وبعد هجرته إلى مكة، كما يشهد بذلك سياق الآيات التي وردت في السورة المذكورة، وعلى ذلك فإن التبين المذكور في آية الاستغفار إنما كان بعد وفاة أبيه أيضاً ^(٤) .

وقد أخرج ابن جرير الطبري - رحمه الله - بسند صحيح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: " ما زال إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه حتى مات، فلما مات تبين له أنه عدو الله، فلم يستغفر له " ^(٥) .

قال النووي - رحمه الله - : " الصلاة على الكافر، والدعاء له بالمغفرة حرام، بنص القرآن والإجماع " ^(٦) .



(١) سورة التوبة، الآيتين: ١١٣-١١٤ .

(٢) أخرجه النسائي ٢٨٦/١، والترمذي ١٢٠/٤، وحسنه، وابن جرير ٢٨/١١، والحاكم ٣٣٥/٢، وأحمد ٧٧١، ١٠٨٥، والسياق له، من طريق أبي إسحاق عن أبي الخليل عن علي، وإسناده حسن، قال الحاكم ٣٣٥/٢: " صحيح إسناده " .

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٤١ .

(٤) ينظر: تفسير ابن جرير (٤٩٠/٦) .

(٥) تفسير ابن جرير (٤٩٠/٦) عن أحمد بن إسحق قال حدثنا أبو أحمد قال حدثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .

(٦) المجموع (٢٥٨ ، ١٤٤/٥) .

الفصل الثامن

حكم التوارث بين المسلم وغير المسلم

اتفق أهل العلم على عدم إرث غير المسلم من المسلم بأيِّ حالٍ من الأحوال، وذلك لدليلين:

الدليل الأول : قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ ^(١).

ووجه الدلالة : أن لفظ " السبيل " في الآية نكرة في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم ^(٢)، وعليه فلا يرث الكافر من المسلم؛ لأنه لو ورثه لكان للكافر على المؤمن سبيل، وهو منافٍ لمقتضى الآية الكريمة .

الدليل الثاني : عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ، وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ " ^(٣).

ووجه الدلالة : أن هذا الحديث صحيح صريح في عدم توريث الكافر من المسلم، ولو كان أقرب قريب؛ لأنه عامٌ يشمل القريب والبعيد ^(٤).

واختلفوا في إرث المسلم من الكافر على قولين :

القول الأول : أن المسلم لا يرث من الكافر أيضاً ، وهذا قول جمهور العلماء ^(٥)؛ لحديث أسامة بن زيد رضي الله عنه السابق .

(١) سورة النساء، الآية : ١٤١ .

(٢) ينظر: بدائع الصنائع (١٥٣/٥)، المبدع (٣٨/٧)، المحلى (٢٢٦/٩)، فتح القدير للشوكاني (٢٥٧/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض، باب: لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم، ح (٦٧٦٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، ح (١٦١٤) .

(٤) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٥٢/١١)، فتح الباري (٥١/١٢) .

(٥) قال ابن رشد - رحمه الله - في " بداية المجتهد " (٣٥٢/٢): " أجمع المسلمون على أن الكافر لا يرث المسلم؛ لثبوت هذا الحديث، واختلفوا في ميراث المسلم الكافر"، وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في " فتح الباري " (٥١/١٢): " قال ابن المنذر : ذهب الجمهور إلى الأخذ بما دلَّ عليه عموم هذا الحديث، إلا ما جاء عن معاذٍ قال : يرث المسلم من الكافر من غير عكس"، وقال النووي - رحمه الله - في شرحه على صحيح مسلم (٥٢/١١): " أجمع المسلمون على أن الكافر لا يرث المسلم، وأما المسلم فلا يرث الكافر أيضاً عند جماهير العلماء من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، وذهبت طائفة إلى توريث المسلم من الكافر، وهو

القول الثاني : أن المسلم يرث من الكافر من غير عكس، وبه قال أبو الدرداء والشعبي والزهري والنخعي ^(١) ، وغيرهم من أهل العلم ، واستدلوا بحديث " الإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه " ^(٢) .

وُتوقش : بأن المراد بهذا الحديث : بيان فضل الإسلام على غيره من الأديان المنسوخة به، وليس فيه ذكر للميراث، فلا يمكن أن يترك به نص حديث : " لا يرث المسلم الكافر ... " ، ويعتذر لأصحاب هذا القول أنه لم يبلغهم حديث أسامة رضي الله عنه ^(٣) . قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : " ولا يرث كافر مسلماً، ولا مسلم كافراً، وهذا مذهب الأئمة الأربعة وأصحابهم من السلف والخلف " ^(٤) .

وقال ابن قدامة - رحمه الله - : " أجمع أهل العلم على أن الكافر لا يرث المسلم، وقال جمهور الصحابة والفقهاء : لا يرث المسلم الكافر " ^(٥) .

وإذا تدبرنا قول الله تعالى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ أُمَهُنَّ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ مِنْهُمْ أُولَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝٦﴾ ^(٦) ، وقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ مِنْهُمْ أُولَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ ^(٧) ، تبين لنا أن

مذهب معاذ بن جبل، ومعاوية، وسعيد بن المسيب، ومسروق وغيرهم، وروى أيضاً عن أبي الدرداء، والشعبي، والزهري، والنخعي نحوه، على خلاف بينهم في ذلك، والصحيح عن هؤلاء كقول الجمهور، واحتجوا بحديث " الإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه " .

وحجة الجمهور هذا الحديث الصحيح الصريح، ولا حجة في حديث: " الإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه " لأن المراد به فضل الإسلام على غيره، ولم يتعرض فيه لميراث، فكيف يترك به نص حديث : " لا يرث المسلم الكافر... " (١) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٥٢/١١) .

(٢) أخرجه الدارقطني ٣/٣٠، والبيهقي ١١٩٣٥/٦، من طريق حشر بن عبد الله بن حشر قال حدثني أبي عن جدي عن عائذ بن عمرو، وقد سبق.

(٣) ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٥٢/١١) .

(٤) مجموع الفتاوى (٣٥/٣٢) .

(٥) المغني (٢٩٤/٦) .

(٦) سورة الأحزاب، الآية : ٦ .

(٧) سورة الأنفال، الآية : ٧٥ .

آية الأحزاب مقيدة لآية الأنفال المطلقة، كما حكى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وبين - رحمه الله أن قائلاً : "وهذه الآية المقيدة تقضي على تلك المطلقة في الأنفال؛ لثلاثة أوجه:

أحدها : أن هذه في سورة الأحزاب بعد الخندق، وتلك في الأنفال عقب بدر .
الثاني : أن هذا مطلق ومقيّد في حكم واحد، وسبب واحد، والحكم هنا متضمن للإباحة، والاستحقاق، والتحريم على الغير، وإيجاب الإعطاء .

الثالث : أن آية الأنفال ذكر فيها الأولوية بعد أن قطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين، وهاتان الآيتان تفسّر المطلق في آية الموارث، ويكون هذا تفسيراً للقرآن بالقرآن، وإن كان قوله ﷺ : " لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ " موافقاً له ، فأما ميراث المسلم من الكافر ففيه خلاف شاذ^(١) .

قال صاحب الروضة الندية : " أجمع أهل العلم على أنه لا يرث المسلم من الكافر، ولا الكافر من المسلم، والخلاف في توارث الملل الكفرية المختلفة، وعموم حديث عبد الله بن عمرو وجابر يقتضي عدم التوارث " ^(٢) .
ولفظ حديث عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : " لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَى " ^(٣) .

والحديث دليل على أنه لا توارث بين أهل ملتين مختلفتين بالكفر، أو بالإسلام والكفر، وذهب الجمهور إلى أن المراد بالملتين الكفر والإسلام، فيكون كحديث : " لَا

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥/٤٤٢ - ٤٤٣) .

(٢) الروضة الندية (٢/٣٣٠) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الفرائض، باب: هل يرث المسلم الكافر ؟ ح (٢٥٢٣)، وابن ماجه في سننه ، كتاب الفرائض ، باب ميراث أهل الإسلام من أهل الشرك ح (٢٧٣١) ، من طريق حبيب المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وقد حسنه الألباني في صحيح الجامع ح (٧٦١٤) .

والذي يترجح في هذه المسألة هو القول الأول، القاضي بعدم توريث الكافر من المسلم، ولا المسلم من الكافر؛ لعموم الأدلة، وانقطاع الصلة بين الكافر والمسلم، التي هي سبب الإرث، والله تعالى أعلم .



(٦) سبيل السلام (٩٥٦/٣) .

الفصل التاسع

حكم وصية المسلم لغير المسلم

يجوز للمسلم أن يوصي للكافر مطلقاً سواء كان ذمياً أو معاهداً أو مستأمناً أو حربياً، وذلك لما يلي من الأدلة :

الدليل الأول : عموم قول الله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ (١) .

قال محمد بن الحنفية : "نزلت في إجازة الوصية لليهودي والنصراني، أن يفعل هذا مع الولي والقريب، وإن كان كافراً" (٢) .

الدليل الثاني : حديث عبد الله بن دينار قال : سمعت ابن عمر - رضي الله عنهما - يقول : رأى عمرُ حُلَّةَ سَيِّرَاءَ ثُبَّاعٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْتَغْ هَذِهِ وَالْبَسْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَإِذَا جَاءَكَ الْوُفُودُ، قَالَ: " إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَقَ لَهُ " فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ مِنْهَا بِحُلَلٍ فَأَرْسَلَ إِلَىٰ عُمَرَ بِحُلَّةٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَلْبَسُهَا ، وَقَدْ قُلْتَ فِيهَا مَا قُلْتَ، قَالَ: " إِنِّي لَمْ أُعْطِكُمَا لِتَلْبَسَهَا، وَلَكِنْ تَبِيعُهَا أَوْ تَكْسُوَهَا، فَأَرْسَلَ بِهَا عُمَرُ إِلَىٰ أَخٍ لَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ (٣) .

وقد أفاد الحديث جواز صلة المشرك بتبادل الهدايا، والوصية، وغيرهما من أنواع البر؛ ولم يأت عن النبي ﷺ أنه أنكر على عمر رضي الله عنه .

الدليل الثالث : حديث أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت : قالت : " قَدِمْتُ عَلَىٰ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: أَفَأَصِلُ أُمِّي ؟ قَالَ: " نَعَمْ صِلِي أُمَّكَ " (٤) ، حيث أجاز ﷺ لأسماء بنت أبي بكر صلة

(١) سورة الأحزاب الآية: ٦ .

(٢) ذكر هذا الأثر عن محمد بن الحنفية ابن جرير الطبري (٢٥٨/١٠) عن ابن وكيع قال : حدثنا أبو معاوية عن حجاج عن سالم عن ابن الحنفية .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب صلة الأخ المشرك، ح (٥٩٨١)، ومسلم في صحيحه ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم استعمال الذهب والفضة ، ح (٢٠٦٨) .

(٤) سبق تخريجه ص (٣٨٤) .

أمها المشتركة فدل ذلك على جواز برّ الأقارب المشركين بالصلة أو غيرها كالوصية والعطية ونحو ذلك ^(١) .

الدليل الرابع : حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن صفية أوصت لنسيب لها يهودي ^(٢) ، ورواه عكرمة بلفظ: " باعت صفية زوج النبي ﷺ داراً لها من معاوية بمائة ألف، فقالت لذي قرابة لها من اليهود: أسلم، فإنك إن أسلمت ورثتني، فأبى، فأوصت له، قال بعضهم: بثلاثين ألفاً " ^(٣) ، ولم ينكر عليها أحدٌ من الصحابة رضي الله عنهم فأفاد ذلك جواز وصية المسلم للذمي ^(٤) ، بل أجاز بعض أهل العلم الوصية لغير المسلم ولو كان من أهل الحرب، قال عبد الوهاب المالكي - رحمه الله - : " تجوز الوصية للمشركين ولو كانوا أهل حرب " ^(٥) .

(١) ينظر: المجموع (٣٢٦/١٤)، المغني (١٠٤/٦)، اختلاف الدارين وأثره في أحكام المعاملات والمناكحات، ص (٢٨٠) .

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب في الوصايا، باب: الوصية لأهل الذمة، ح (٣٥٦١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٣/١١)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣٥٣/١٠)، من طريق سفيان الثوري، عن ليث، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما . وهو ضعيف ؛ لحال ليث بن أبي سليم ، قال أبو حاتم وأبو زرعة: " لا يشتغل به، هو مضطرب الحديث " (تهذيب الكمال ٢٧٩/٢٤) وقال ابن حجر: " صدوق، اختلط جداً، ولم يتميز حديثه، فترك " (التقريب ص ٤٦٤)، وقد خولف الثوري خالفه ابن إدريس، عن ليث، عن عطاء: أن امرأة من أزواج النبي ﷺ أوصت لقرابة لها من اليهود . أخرجه ابن أبي شيبة ح (١٠٨١٥)، والاضطراب فيه من ليث، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦١/١١)، عن عبد الوهاب الثقفي، عن يحيى بن سعيد قال: بلغني أن صفية أوصت لقرابة لها بمال عظيم، أو كثير من اليهود كانوا ورثتها لو كانوا مسلمين، ورثتها غيرهم من المسلمين، وجاز لهم ما أوصت .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣٣/١١)، عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة، وسنده صحيح، ولعل هذه أرجح من رواية ليث عن نافع عن ابن عمر، وعكرمة قد عاصر صفية - رضي الله عنها - ورآها، فقد ولد سنة ٢٠ هـ تقريباً . (تهذيب التهذيب ٤٦٦/٨) . وتوفيت صفية - رضي الله عنها - سنة ٣٦ هـ . (تهذيب التهذيب ٢٧١/٧) .

(٤) ينظر: المهذب وشرحه المجموع (٣٢٣/١٤)، أحكام أهل الذمة (٣٠٥/١)، اختلاف الدارين وأثره في أحكام المعاملات والمناكحات، ص (٢٨٠) .

(٥) ينظر: التاج والإكليل (٣٦٨/٦) .

وقال الخطاب المالكي - رحمه الله - : " وظاهر كلامهم أنَّ وصية الكافر تصحُّ للكافر مطلقاً ذمياً كان أو حربياً، ولم أرَ من صرَّح به " (١) .

وقال ابن قدامة الحنبلي - رحمه الله - : " وتصح الوصية لكل من يصح تمليكُه من مسلمٍ وذميٍّ ومرتدٍ وحربيٍّ " (٢) ، وقال أيضاً : " وتصح الوصية للحربيِّ في دار الحرب، نص عليه أحمد، وهو قول مالكٍ وأكثر أصحاب الشافعي رحمهم الله " (٣) .

وأكد ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابن ضويان - رحمهما الله - بقولهما : " تصح - أي الوصية - لمسلمٍ وذميٍّ وحربيٍّ، لا نعلم فيه خلافاً " (٤) .



(١) ينظر: مواهب الجليل (٣٦٥/٦)، القوانين الفقهية لابن جزي ص (٢٦٦)، وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٥٨/٤) .

(٢) المقنع وحاشيته (٣٦٦/٢ - ٣٦٧)، الإنصاف (٢٢١/٧) .

(٣) المغني (١٠٤/٦) .

(٤) منار السبيل (٤٠/٢)، مختصر الإنصاف والشرح الكبير (٦٣٢/١) .

الفصل العاشر

حكم ميراث المرتد

اتفق العلماء على أن المرتد لا يرث أحداً بحال^(١)، أما مال المرتد في دار الإسلام ففيه تفصيل وخلاف سأذكره ، ثم اذكر الأدلة من الكتاب والسنة ، ومما ينبغي علمه قبل الخوض في هذه المسألة أن مال المرتد على حالتين:

الحالة الأولى: فيما إذا ارتد وبقي في دار الإسلام، فإن أمواله توقف، فإن أسلم دفعت إليه بالاتفاق^(٢) .

الحالة الثانية: فيما إذا مات أو قتل على رده، فهل يورث أم لا ؟ ، اختلف الفقهاء في ذلك إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المرتد إذا قتل أو مات على رده وترك مالا ورثه عنه ورثته من المسلمين دون الكفار، وهو مروي عن أبي بكر الصديق، وعلي، وابن مسعود، وزيد بن ثابت رضي الله عنه في رواية، والحسن البصري، وسعيد بن المسيب، والنخعي، وجابر بن زيد، وعمر بن عبد العزيز، وحماد بن أبي سليمان، والحكم بن عتيبة، والأوزاعي، والثوري، والشعبي، والليث بن سعد، وإسحاق بن راهويه - رحمهم الله -^(٣)، وهو قول فقهاء الحنفية والمالكية^(٤).

القول الثاني: إذا مات المرتد أو قتل على رده وترك مالا لا يرثه ورثته المسلمون ولا الكفار، وماله يكون في بيت مال المسلمين، وهو مروي عن عبد الله بن عباس، وزيد

(١) ينظر: بدائع الصنائع (١٣٦/٧)، مغني المحتاج (٢٥/٣)، العذب الفاضل (٣٤/١) .

(٢) ينظر: المغني (٢٩٨/٦)، الإنصاف (٣٤٨/٧) إلا أن الحنابلة قالوا: لو رجع مسلماً قبل قسمة الميراث ترغيباً له في الإسلام.

(٣) مصنف عبد الرزاق (١٠٥/٦)، مصنف ابن أبي شيبة (٢٧٦/١٢)، الأوسط لابن المنذر (١٣٦/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٤٩/٣)، المغني (٣٠١/٦)، أحكام القرآن للخصاص (١٠٢/٢)، المحلى (٣٠٥/٩)

(٤) ينظر: المبسوط (١٠٠/١٠)، تبين الحقائق (٢٨٥/٣)، المغني (٣٠٠/٦)، المبدع (٢٣٤/٦)، الإنصاف (٣٣٩/١٠) .

بن ثابت في الرواية الأخرى، وابن أبي ليلى، وربيعه، وأبي ثور^(١)، وهو قول فقهاء المالكية، والشافعية، والحنابلة في الصحيح من المذهب^(٢) .

القول الثالث: أن ماله إذا مات أو قتل على رده يرثه ورثته الكفار الذين اختار دينهم، وهو مروى عن قتادة وعلقمة^(٣)، وذهب إليه فقهاء الحنابلة في رواية^(٤)، وهو قول الظاهرية في ماله الذي لم يظفر به المسلمون^(٥) .

أما الأدلة التي استدل بها أصحاب هذه الأقوال فهي:

أولاً: أدلة أصحاب القول الأول الذين قال بتوريث المسلم من مال المرتد:
الدليل الأول: قول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾^(٦)، وظاهر هذه الآية - كما قالوا - يقتضي توريث المسلم من المرتد، إذ لم يفرق بين الميت المسلم والمرتد^(٧) .

الدليل الثاني: ما جاء عن أبي الأسود الدؤلي قال: أتي معاذ بن جبل رضي الله عنه في رجل قد مات على غير الإسلام، وترك ابنه مسلماً، فورثه منه معاذ، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الإسلام يزيد ولا ينقص"^(٨) .

(١) مصنف عبد الرزاق (١٠٥/٦)، الأوسط (١٣٦/٢)، التمهيد لابن عبد البر (١٦٧/٩)، المغني (٢٩٨/٦)
(٢) ينظر: الأم (٢٩١/٤)، المغني (٣٠٠/٦)، التمهيد (١٦٧/٩)، روضة الطالبين (٣٠/٦)، المبدع (٢٣٤/٦)، مطالب أولي النهى (٣٠١/٦) .

(٣) ينظر: التمهيد لابن عبد البر (١٦٩/٩)، المغني (٣٠١/٦)، أحكام القرآن للحصاص (١٠٢/٢)
(٤) ينظر: المغني (٣٠١/٦)، المبدع (٢٣٤/٦)، المسائل الفقهية (٦١/٢)، مطالب أولي النهى (٣٠١/٦)
(٥) المحلى (٣٠١/٦) .

(٦) سورة النساء، الآية: ١١ .

(٧) ينظر: أحكام القرآن للحصاص (١٠٢/٢) .

(٨) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب: هل يرث المسلم الكافر ح (٢٥٢٤)، والبيهقي (٢٥٤/٦)،
(٢٥٤/٦)، من طريق عبد الله بن بريدة أن أخوين اختصما إلى يحيى بن يعمر يهودي ومسلم، فورث المسلم منهما وقال: حدثني أبو الأسود أن رجلاً حدثه أن معاذاً قال: قال رسول الله ﷺ: "الإسلام يزيد ولا ينقص"
.

الدليل الثالث: ما جاء عن علي عليه السلام أنه أتى بمستور العجلي وقد ارتد، فعرض عليه الإسلام فأبى، فقتله، وجعل ميراثه بين ورثته من المسلمين ^(١) .

الدليل الرابع: ما رواه الحكم بن عتيبة عن ابن مسعود رضي الله عنه أن قال في المرتد: " ميراثه لورثته من المسلمين " ^(٢) .

الدليل الخامس: ما جاء عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر رضي الله عنه عند رجوعه إلى أهل الردة أن أقسم أموالهم بين ورثتهم من المسلمين ^(٣) .

فهذه الآثار المروية عن الصحابة رضي الله عنهم تدل على أن ورثة المرتد من المسلمين هم أحق الناس بتركته ^(٤) .

أما أصحاب القول الثاني الذين قالوا: إن المرتد لا يورث ، فاستدلوا بما يلي:
أولاً: عموم الآيات التي نفت الولاية بين المؤمنين والكفار، والميراث مبناه على الولاية، فإذا انتفت انتفى الميراث ^(٥) .

كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٦) .

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ^(٧) .

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ ^(٨) .

فهذه الآيات الكريمات تنفي الولاية والمناصرة بين المؤمنين والكفار، والميراث مبناه على الولاية والمناصرة، فينتفي بانتفائها.

(١) أخرجه عبد الرزاق (٣٣٩/١٠)، والبيهقي (٢٥٤/٦)، وسعيد بن منصور (١٠١/١)، وابن أبي شيبة (٢٧٥/١٢)، الطحاوي (٢٦٦/٣)، الدارمي (٢٧٧/٢)، من طريق الأعمش عن أبي عمرو الشيباني عن علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطحاوي في معاني الآثار (٣٦٦/٣) من طريق شعبة عن الحكم بن عتيبة عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) ذكره ابن قدامة في المغني (٣٠١/٦)، ولم أجده في كتب الآثار التي اطلعت عليها.

(٤) ينظر: بدائع الصنائع (١٣٨/٧)، المسائل الفقهية (٦٢/٢)، نيل الأوطار (٧٤/٦) .

(٥) ينظر: التمهيد (١٦٧/٩)، المغني (٣٠١/٦) .

(٦) سورة النساء، الآية: ١٤٤ .

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٧٣ .

(٨) سورة الممتحنة، الآية: ١ .

الدليل الثاني: حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ ، وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ " ^(١) .

حيث أفاد الحديث بوضوح منع التوارث بين المسلم والكافر، والكافر والمسلم، والمرتد كافر، فلا يرث ولا يورث ^(٢) .

الدليل الثالث: حديث عمرو بن شعيب: " لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَى " ^(٣) .
فقد دل الحديث على أن المرتد لا يرث ولا يورث؛ لأنه كافر ^(٤) .

الدليل الرابع: أثر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه: كتب إلى عبد الله بن عباس، وزيد بن ثابت رضي الله عنهما يسألهما عن ميراث المرتد، فقالا: " لبيت المال "، قال الشافعي — رحمه الله —: " يعنيان أنه فيء " ^(٥) .

أما أصحاب القول الثالث الذين قالوا: إن المرتد يرثه ورثته الكفار ، فاستدلوا
بعدة أدلة منها:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ ^(٦) .

حيث دلت الآية على أن الكفار أولياء بعض، والميراث مبناه على الموالة، والمرتد كافر، فورثته الكفار الذين اختار دينهم هم أولى به، فيرثونه ويرثهم ^(٧) .

الدليل الثاني: حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه: " لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ ، وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ " ^(٨) .

(١) سبق تخريجه ص (٦٣١) .

(٢) ينظر: التمهيد (١٦٧/٩)، مغني المحتاج (٢٥/٣)، المغني (٣٠١/٦)، المبدع (٢٣٤/٦)، المسائل الفقهية (٦٢/٢) أما إذا اختلفت مللهم فقال الحنفية والشافعية: أنهم يتوارثون فيما بينهم، فالكفر ملة واحدة. وقال المالكية والحنابلة: لا يتوارثون إذا اختلفت مللهم، لأن الكفر ملل شتى. ينظر: المبسوط (٣١/٣)، بلغة السالك (٥١٣/٢)، ومغني المحتاج (٢٥/٣)، كشاف القناع (٤٧٨/٤) .

(٣) سبق تخريجه ص (٦٣٣) .

(٤) ينظر: المغني (٣٠١/٦)، الجامع لأحكام القرآن (٤٩/٣) .

(٥) لم أجده مسنداً ولكن ذكره البيهقي في السنن الكبرى (٢٥٤/٦) .

(٦) سورة الأنفال، الآية: ٧٣ .

(٧) المحلى (٣٠٧/٩) .

(٨) سبق تخريجه ص (٦٣١) .

فدل الحديث بمفهومه على أن الكافر يرث الكافر، والمُرتد كافر، فيجب أن يرثه ورثته من الكفار ^(١) .

والذي يظهر لي بعد عرض آراء العلماء في مال المرتد إذا مات أو قتل في دار الإسلام ، ترجيح القول الثالث القائل بعدم توريث المسلمين من المرتد ، وأنه يرثه الكفار لحديث أسامة بن زيد رضي الله عنه : " لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ ، وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ " ^(٢) ، والحديث واضح الدلالة على منع التوارث بين المسلمين والكفار ، والله أعلم .



(١) المسائل الفقهية (٩٢/٢)

(٢) سبق تخريجه ص (٦٣١) .

الخاتمة

في نهاية هذه الرحلة العلمية الشاقة ، يطيب لي - بعد حمد الله وشكره - أن آذن ليراعي كي يُسطر بعض الخلاصات التي خرجت بها بعد هذه الرحلة ، وهي باقتضاب شديد كما يلي :

أولاً: أن دين الإسلام، دين الرحمة بالناس أجمعين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٧) ، وهو دين الخير للعالمين مؤمنهم وكافرهم، لا يحدد ذلك إلا من جهل الحقيقة ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٠) ، أو كان من المستكبرين ﴿وَمَا يَجْعَلُ يَدَايِنَا إِلَّا كُلَّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (٣٢) ، أما خيرية الإسلام للمسلمين فهي كما قال الأول :

فليس يصح في الإفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وأما خيريته لغير المسلمين، فلأنه حفظ حقوقهم، وصان كرامتهم ، وعاملهم بالحسنى ﴿وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِآلِيٍّ هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٤) ، ولم يتخلف هذا التعامل الراقي حتى في ساعة الانتصار، ونشوة الشعور بالعزة والغلبة .

وهذه المعاملة الحسنة من المسلمين لمخالف دينهم، ليست طارئة ولا غريبة؛ لأنها منبعثة من أسس دين الإسلام ، الذي يقوم على حفظ كرامة الإنسان ؛ لكونه إنساناً، ولهذا لما جهلت هذه الحقيقة في هذه الأيام، سمعنا أصواتاً نشازاً تتعالى في الإعلام باقحام دين الإسلام وأهله بانتهاك حقوق الإنسان.

ثانياً : حاجة البشرية الماسة لدين الإسلام ومثله وأخلاقه وتعاليمه وقيمه ؛ إذ هو وحده الكفيل بحل أزمت وصراعات الحضارات، وهو القادر - دون غيره - على علاج مشكلات الأمم، ومعاناة الشعوب، ومستعصيات الزمن ؛ لأنه دين يُعنى بالفرد والمجتمع،

(١) سورة الأنبياء الآية: ١٠٧ .

(٢) سورة الروم الآية: ٤٠ .

(٣) سورة لقمان الآية: ٣٢ .

(٤) سورة العنكبوت الآية: ٤٦ .

وبالروح والجسد، وهذا ما تفتقر إليه جميع المجتمعات التي تن تحت وطأة الظلم والضياع، وتكتوي بلهب فقدته كل الأمم التي لا تعرف إلا الشقاء والضنك في الحياة، بل لقد أصبح الإسلام ضرورة من ضروريات الحياة الهائلة السعيدة، وهذا ما صرح به بعض الأوروبيين الذين درسوا الإسلام أو قرأوا عنه ، كأمثال المستشرق الفرنسي "غستاف دو كا" ^(١) الذي قال: " للدين الإسلامي أثر كبير في تهذيب الأمم وتربية مشاعرها ووجدانها، وترقية عواطفها، فإذا قرأت تاريخ العرب قبل البعثة، وعلمت ما كانت عليه، اعتقدت أن للشريعة السمحة في تهذيب الأخلاق التأثير الأكبر ؛ إذ ما كاد يتصل بالأمّة العربية ذلك الإصلاح الروحي المدني، حتى انتشر العدل وزال النفاق والرياء والعدوان" ^(٢).

ثالثاً: عالمية الإسلام، وأنه دعوة لكل الإنسانية، هو دين الله إلى الناس كافة، ورسالته عالمية بكل ما تحمله معاني العالمية: ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ ^(٣)، ورسول هذا الدين العالمي بعث إلى كافة البشر: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٤) ، وإنما كانت دعوة هذا الدين عالمية ؛ لأنه جاء لتحرير البشرية كلها من الانحرافات ، والضلالات والعبوديات لغير الله، ولم يكن الإسلام يوماً من الأيام خاصاً بقبيلة أو جنس أو طائفة، وإنما هو دين الله إلى الناس كافة؛ الدين المشتمل على منهج حياة متكامل في جميع مناحي الحياة ، لم يكن هذا المنهج ناتجاً عن ردة فعل لسوء أوضاع بيئة معينة، كما هو شأن المناهج البشرية الوضعية، وإنما هو منهج عام شامل كامل أراده الله ؛ ليكون للبشرية جمعاء في كافة ديارها . وشقّي أقطارها، قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : " وعلى كل أحد أن يصدق محمداً ﷺ فيما أخبر به، ويطيعه فيما أمر تصديقاً عاماً وطاعة عامة، وقد بعث الله رسوله محمداً ﷺ

(١) مستشرق فرنسي، كان يدرس اللغات الشرقية في باريس، له العديد من المقالات عن جغرافية البلدان الإسلامية، وألف كتاباً اسمه: "تاريخ فلاسفة المسلمين وفقهائهم". ينظر : الأعلام للزركلي (١٢٠/٥) .

(٢) ينظر : هداية المرشدين، لعلي محفوظ ص (٥٣١)، منهج الداعية في دعوته لغير المسلمين، لأسماء الوهبي ص

(١٣) .

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٥٨ .

(٤) سورة سبأ الآية: ٢٨ .

بأفضل المناهج والشرائع، وأنزل عليه أفضل الكتب، وأرسله إلى خير أمةٍ أخرجت للناس، وأكمل له ولأئمة الدين، وأتم عليهم النعمة، وحرم الجنة إلا على من آمن به وبما جاء به، ولم يكن يقبل من أحد إلا الإسلام" (١).

رابعاً: وبالرغم من تقدم العالم غير الإسلامي صناعياً وزراعياً وحضارياً، فإن هناك جوانب نقص كثيرة في تلك الحضارة والمدنية الحديثة، أهمها الفراغ الروحي، وتشويه العقيدة، والإغراق في المادية، وهجر القيم الإنسانية، ومن هنا يبدو -جلياً- مهمة دعوة الإسلام في ظل هذا الجو فيحملون الخير لأمتهم، وللعالم أجمع في التوجه نحو تصحيح المسيرة... ونحن المسلمين نشعر بأن علينا واجباً عظيماً نحو العالم، يتمثل في القيام بنشر دعوة الله في الأرض، بشتى الوسائل المتاحة، أفراداً وجماعات.

والواجب الأكبر، والأهم هو واجب كل دولة إسلامية بقدر إمكاناتها أن تساهم في إرسال البعث والدعاة إلى أرض الله؛ لأن الدولة أقدر على هذا العمل من الفرد.

إن على المسلمين في هذا العصر الذي شوهد فيه صورة الإسلام النقية، مسؤولية عظيمة في إظهار سماحة الإسلام، وبث قيمه العالية، ونشر مبادئه وأخلاقه السامية، وإخراجهم من ظلمات الجهل، وظلمة البعد عن وحي الله المطهر، إلى أنوار الإسلام الفسيحة الممتدة عبر الحياة، ﴿أَوْمَن كَانَ مِيَتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (٢).

كما أن عليهم فريضة أخرى لا تقصر عن سالفاتها وهي إبراز جوانب عظمة خير البشرية ﷺ، وإيصال رسالته إلى أدنى الأرض وأقصاها، من خلال المشاركة في قنوات الحياة المتعددة، والمخاطبة المباشرة وغير المباشرة لأصناف الناس، من خلال الكتب والإعلام والشبكة العالمية، ومن خلال المؤتمرات والندوات..... وغير ذلك من الوسائل الحية المتجددة مع تتجدد الأيام.

خامساً: الدعوة إلى الله محكومة بضوابط وقواعد كثيرة أهمها:

- اتباع المنهج القرآني، ومنهج النبي الكريم ﷺ في دعوته.

(١) الحسبة في الإسلام، لشيخ الإسلام ابن تيمية ص (١٣).

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٢٢.

- التركيز على المبادئ الكبرى ، والأصول والكليات ، وعدم التشاغل بصغائر الأمور عن عظائرها.

- الفهم لمبادئ الدعوة على علم وبصيرة ، وهذه من أهم عوامل نجاح الدعوة في هذا العصر.

- أن يكون الداعية معاصراً لعصره والأساليب والطرق المتبعة حوله ، وأن يتعد عن المثيرات التي تثير الناس ، مع ثباته على المبدأ بحيث لا يهاجم ولا يسب ولا يشتم .

ولإنجاح مهمة الداعي والظفر بمطلوبه آداب كثيرة ، تعتبر عوامل مهمة في شخصية الداعية ، من أهمها : الاستقامة ، والإيثار ، والإخلاص ، والصبر على الأذى ، والحلم ، وعدم اليأس ، والعفو ، والتسامح ، والعفة ، والزهد عما في أيدي الناس .

سادساً: لقد أبدع الإسلام أعظم إبداع حينما شرع أحكاماً ، وسنَّ سنناً خاصة في التعامل مع طوائف الأديان الأخرى ، حينما نظم شؤون العلاقة الزوجية معهم ، وحينما تسامى في التعامل معهم في أقضيتهم ، وفي مساكنتهم ، ومناكحتهم ، وفي أطعمتهم ، ولباسهم ، وفي التطيب عندهم ، ولم يدع شيئاً فيه مصلحة لهم وللمسلمين قبل ذلك ، وللبرية بعد ذلك ، إلا و سبق إليه الإسلام واختصه بأحكام ، وشرع له آداباً وقيماً ، بل إنه شمل بخيره ورحمته طوائف الأديان الأخرى بعد مماقم .

فلله ما أعظم هذا الدين ! وما أجل أحكامه ! وما أحوج البرية اليوم إليه ! .

أما عن كيفية تنظيم الإسلام لعلاقة الأقلية الإسلامية بالأكثرية غير المسلمة في المجتمعات غير الإسلامية ، فهي تختلف باختلاف أوضاع المسلمين في هذه المجتمعات . وموقف الإسلام يرجع في جملته إلى حالة الضعف أو القوة التي تكون عليها الأقلية الإسلامية ، إذ إن أوضاع بعض المسلمين اليوم في بعض المهاجر تشابه كثيراً بما كان عليه المسلمون في مكة وهم في حالة ضعف .

سابعاً: من المعروف تاريخياً أن كل الحروب التي خاضها رسول الله ﷺ وصحابته - رضي الله عنهم - كان المشركون فيها هم أهل الإعتداء ، وكان المسلمون هم المعتدى عليهم ، ومن البدهيات في هذا أن القتال في الإسلام ضرورة ، والضرورة تقدر بقدرها

في قواعد الإسلام^(١) ، لذا فإن قواعد الإسلام قائمة على تخفيف ويلات الحروب، بقدر الإمكان ، مع المحافظة على الكرامة الإنسانية ، والالتزام بقواعد الرحمة والفضيلة والأخلاق العالية، والعدالة المطلقة .

فلا هدم ولا تخريب ، ولا قطع للأشجار ، ولا تدمير للمباني ، ولا اعتداء على المدنيين ، ولا تمثيل بالقتلى ، ولا تشويه للجثث.

والقتال في الإسلام أغراضه إنسانية سامية ، لا تشوبه نزعة مادية ، أو اقتصادية ، أو استعمارية ، أو تسلطية ، وإنما هدفه التمكن من نشر الدعوة الإسلامية بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومنع الفتنة في الدين ، وتأمين حرية الدعاة ، وإقامة نظام عادل، ولهذا حرص الإسلام على تبليغ الدعوة قبل القتال وإعلان الحرب ، فلم يقاتل الرسول ﷺ في مختلف غزواته ، إلا بعد التبليغ والإنذار ، وسار خلفاؤه من بعده على هذا النهج ، فلم تنشب معركة بين المسلمين وغيرهم إلا بعد الدعوة ، إما على لسان رسول ، أو بكتاب يوجه إلى قادة جيوش الأعداء ، وقد تكون المباغتة مما تقتضيه ظروف الحال ومصلحة الواقع ، إذا كان العدو يتابع تحصيناته، لكن هذا لا يكون إلا لمن بلغت الدعوة الإسلامية ، وظهرت منه بوادر الحرب.

إن الإسلام في الحقيقة يؤثر السلم على الحرب ، فالصلح مع العدو أصل هام مقرر في الإسلام ، وأما الحرب فهو أمر طارئ على أصل العلاقات السلمية مع غير المسلمين. لكن مبدأ الميل إلى السلم مقيد بقيدين هما: عدم اغتصاب واحتلال أراضي المسلمين ، وتوافر المصلحة الحقة في السلم .

ثامناً : أن علاقة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم ، قائمة على العدل ، متميزة بالتسامح في معاملة أصحاب الأديان الأخرى فهو يدعو الناس إلى الإيمان فإن قبلوه أصبحوا مسلمين ، وإن رفضوه طلب منهم دفع الجزية ، وعقد معهم عقد الذمة ،

(١) ينظر : أصول السرخسي (٢٤٨/١) الموافقات (٥٩/٤) ، المنشور للزركشي (٣٢٠/٢) ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٥٣/٢١) .

وأصبحوا من رعايا الدولة الإسلامية، لهم الحقوق نفسها ، وعليهم الواجبات نفسها . إلا في العقيدة والدين وذلك لقوله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(١).

ولهذا السمو في التعامل ، والرقي في المعاملة ، أثر مشهود مرصع في صفحات التاريخ على سائر أصحاب الأديان الأخرى ، بل نطقت بذلك أفواههم ، وشهدت بذلك كتبهم وقد ذكرت طرفاً من ذلك في الباب الحادي عشر .

تاسعاً: أن حقوق كل إنسان مصونة في الإسلام بالتشريع، وقبل هذا وبعده بمراقبة الله لكل من الحاكم والقاضي والمواطن .

إنها قاعدة عريضة من حقوق الإنسان ، يستوي فيها المسلم والذمي والمستأمن ، وهي مسؤولية يشترك فيها المواطنون ، مسلمين وغير مسلمين.

وبهذا يتوافر التطابق في حقوق الإنسان بين القول والعمل، وهو الذي ينقص المواثيق الحديثة التي يقصر العمل فيها كثيراً عن القول .

وكما تحتاج الشجرة إلى سقي ورعاية لتنمو ، فكذلك حقوق الإنسان تحتاج إلى رعاية وحماية ، وقد حماها الإسلام على مستويين :

الأول : مستوى التشريع الملزم ، الذي شرع الحدود لحفظ الحقوق الواردة في المقاصد الخمسة الضرورية من العدوان عليها.

الثاني : مستوى الوصايا التي يصونها العرف ، والآداب العامة في الإسلام.

عاشراً : اتفق العلماء على جواز منح الأمان لكل من طلبه من أهل الحرب، مهما كانت ديانتهم ، وأنى كانت دولته ، كقاعدة عامة ، سواء منهم من دخل لمعرفة الإسلام ، أو التجارة أو لغير ذلك من الأغراض المشروعة ، مما لا مضرة فيه على مصالح المسلمين . ولا شك أن هذا المسلك في مشروعية الأمان يتفق مع منهج الإسلام في عالميته وشمول دعوته ، حتى أجاز الإسلام لكل مسلم ، بالغ ، عاقل ، ذكراً كان أو أنثى ، أن يؤمن غير المسلم ، وتكون مدة إقامة المستأمن في دار الإسلام راجعة إلى المصلحة التي يقدرها الإمام، أو من يفوض إليه الصلاحية في ذلك .

(١) سورة البقرة الآية: ٢٥٦ .

كما اتفق الجمهور على أن جميع دار الإسلام تصلح مكاناً لإقامة المستأمن ، باستثناء مكة، فلا يجوز دخولها مطلقاً ، أما باقي الحجاز فلا يجوز فيها الإقامة لغير المسلم لأكثر مما تقتضيه الحاجة .

والمستأمن في دار الإسلام يتمتع بحق أساسي، من عصمة النفس والمال له ولمن معه من أفراد أسرته ، الذين يشملهم نطاق الأمان .

وكما أن للمستأمن حقوقاً ، فعليه واجبات يلتزم بها أثناء إقامته في دار الإسلام ، منها أن يراعي في تجارته ومعاملاته المالية أحكام الإسلام ، ولا يتجاوزها ، ومنها أن يمتنع عن الانتقاص من الإسلام ، كما يلزمه الامتناع عن الجاهرة بالمنكرات في أمصار المسلمين .

وأخيراً :

نحن بحاجة إلى أن نفهم الواقع المرّ ، وندرك المؤامرات التي تدبر للمسلمين ، مستغلة بعض الحقائق والظواهر ، وكذلك التناقضات والمصالح المتضاربة التي لا يخلو منها أي شعب ، وهي مؤامرات تسعى إلى تجريد الفكر الإسلامي من التصورات الشرعية الصحيحة ، واقتلاع هذه المفاهيم وترسيخ العرقية والطائفية والقبلية مكانها ، حتى يسهل فرض الهيمنة على ديار الإسلام ، عسكرياً واقتصادياً ، وثقافياً ، فتفقد هويتها وقدرتها على التنمية ، وتفقد معها إحساسها بالذات والكيان ، وتصبح لقمةً سائغة للعدو المتربص ، والقوى العالمية التي تسعى إلى السيطرة واقتسام النفوذ .

ويجدر بنا أن نعلم أن القوى العالمية - وهي تحاول اليوم فرض هيمنتها على دول العالم الإسلامي - اتجهت إلى إحياء النزعات القبلية ، والنزعات العنصرية، والخلافات الدينية ؛ لترسيخ فكرة التشتت والتمزق داخل الكيانات الوطنية ، كما اتجهت إلى تفعيل الولاءات العرقية ، والانتماءات المذهبية . وهذا يوجب علينا - كمسلمين - أن نتوجه بصدق لحل المشكلات التي نعانيها ، انطلاقاً من مبادئ الإسلام، وتجربتنا التاريخية الإيجابية في التعاون، ونشر القيم الخلقية ، ومحاربة التمزق، ومواجهة التخلف بجميع أشكاله ومظاهره، وحماية أنفسنا والإنسانية من المهوي المتعددة التي تهددها ، في نظر

جاد ، واستشرف صادق لمستقبلنا ، ومستقبل الأجيال
القادمة. وصلى الله وسلم على نبيا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

١- فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴾	١٤	٥٥٧
﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾	٢٧	٣٨٣
﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٢)	٦٢	١٤٦
﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾	٨٣	٣٥٠ ، ٢٩١ ، ١٩
﴿ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾	١٠٥	١٦٠
﴿ وَمَنْ يَتَّبِدْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١٠٨)	١٠٨	٥٥٧
﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ ﴾	١٠٩	٤١٢
﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾	١٣٦	٢٧١ ، ٧
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾	١٤٣	٥٥٠
﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾	١٦٥	٥٥٦
﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهْلَ	١٧٣	١٣٦ ، ١٣٧ ،

الآية	رقمها	الصفحة
يُؤْتِيهِ لِيَغْيِرَ اللَّهُ ^ط ﴿١٣٩﴾		١٣٩ ، ١٤٠
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يَعْهَدُهُمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾	١٧٧	٥١٢
﴿الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾	١٧٨	٣٠٤
﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾	١٨٥	٦
وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِيَّاهُ ^ط ﴿١٩٠﴾	١٩٠	٤٣٦ ، ٤٣١ ، ٥٩٨ ، ٤٨١ ، ٤٧٧
وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبَلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ^ط وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقْبِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ ^ط كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ	١٩١	٤٣١ ، ٤٢٨ ، ٤٧٧
فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ^ط ﴿١٩٢﴾	١٩٢	٤٣١ ، ٤٢٨
وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ	١٩٣	٤٣١ ، ٤٣٥ ، ٥٩٨
﴿فَلَا رَفَتْ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾	١٩٧	٥٠
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾	٢٠٨	٤٣١
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾	٢١٦	٤٢٨
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾	٢١٧	٥٥٧ ، ٥٠١
﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾	٢٢١	١٧٤ ، ١٦١ ، ١٨١ ، ١٧٥
﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾	٢٣٧	٣٧٤
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾	٢٥٥	٣٧٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْمُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	٢٥٦	٣١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٦٣٨
﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾	٢٦٩	٥٥٨
﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾	٢٧٢	٥٧ ، ٧٠ ، ٧٥
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾	٢٧٨	٤٦ ، ٥٣ ، ١٨٣
سورة آل عمران		
﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيَحذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾	٢٨	٢٧ ، ٢٦٤ ، ٤٢٩
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾	٦٤	٥٦٠ ، ٥٦١
﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ فَإِيمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	٧٥	٢٩٠ ، ٥٤١
﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	١٠٤	٥٥٣
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾	١١٨	٨٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١٢٨)	١٢٨	٤٠٨ ، ٤٠٢
﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	١٣٩	٥٠٨
﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾	١٧٤	٤٤٥
﴿ تَتَّبَلُّونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَسْتُمْ بِمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْنَىٰ كَثِيرًا ﴾	١٨٦	٤١١ ، ٤١٥
سورة النساء		
﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ﴾	١	٣٨٤
﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾	١١	٦٢٤ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠
﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ ﴾	٢٤	١٦٦ ، ١٨٠
﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾	٢٥	١٦٦
﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا ﴾ ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾	٢٨	٢٧
﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾	٣٤	١٨٢
﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (٣٦)	٣٦	٣٨٢ ، ٣٨٣
﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (١٤١)	٤١	٨٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾	٤٣	٢٥٧
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾	٥٨	٢٨٣
﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾	٧٥	٥٩٨ ، ٤٣١
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ	٧٧	٢٨
﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِنَحِيَةٍ فَحْيُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾	٨٦	٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩
﴿ فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُم فَلَمْ يَقْبَلُوكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُم السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾	٩٠	٤٣١ ، ٤٣٥ ، ٥١٥
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانِ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُمْ مُّؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ مِثْرَتَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	٩٢	٣١٢ ، ٣٢١ ، ٥٠٨
﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾	٩٤	٤٣١
﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمِ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا	٩٧	٢١٧ ، ٢٢٢ ،

الآية	رقمها	الصفحة
كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾		٢٢٤
﴿٩٨﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ جِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا	٩٨	٢٣٠
فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾	٩٩	٢٣٠
﴿١٠٠﴾ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ﴿١٠١﴾	١٠٢	٥١٣
﴿١٠٢﴾ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾	١٠٣	١٨٣
﴿١٠٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴿١٠٥﴾	١٠٥	٢٨٤ ، ١
وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا	١٠٦	٢٨٤
وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا	١٠٧	٥٦٠ ، ٢٨٤
يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا	١٠٨	٢٨٤
هَتَأْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا	١٠٩	٢٨٤
﴿١١٠﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١١﴾	١٣٥	٣٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢
﴿١١٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَالِكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ﴿١١٣﴾	١٣٦	٧
﴿١١٤﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ	١٤٠	٤٢٤

الآية	رقمها	الصفحة
بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾		
﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾	١٤١	٨٦ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٨٢ ، ٣٦٥ ، ٦٢١
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا اللَّهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾	١٤٤	٢٧ ، ٢٣٠ ، ٦٤٦
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾	١٤٥	٥٥٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا	١٥٠	٢٧١
أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا	١٥١	٢٧١
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا	١٥٢	٢٧١
سورة المائدة		
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾	١	١٠٧
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِلْمِ وَالْعَدْوَنِ﴾	٢	٨٣ ، ٨٨ ، ١٠٠
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾	٣	٢ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ٥٥٠
﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْنَهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ	٥	١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،

الآية	رقمها	الصفحة
مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿١٤٠﴾		١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٨٢
﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	٦	٦
﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾	٨	٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٥٢٠
﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾	٢٦	٥٢٩
﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	٣٣	٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٤٩٦ ، ٥٠٣
﴿ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ﴾	٤٢	٣٢ ، ٢٨١ ، ٣٢٣ ، ٥٢٠ ، ٥٢١
﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ... ﴾	٤٥	٣٠٤
﴿ وَإِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾	٤٩	٥٢٠ ، ٥٢١
﴿ أَفَحُكْمَ الْجَهْلِِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾	٥٠	٥٢١
﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾	٥١	٢٦ ، ١٣٢ ، ٣٣٥ ، ٤٣٦ ،

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَذَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾	٥٤	٩٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾	٥٧	٩١ ، ٤٥٠
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾	٦٧	٥٥٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾	٦٩	١٤٦
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ إِنَّكَ بِأَن مِّنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾	٨٢	٢١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٩٠	٥٤٣
سورة الأنعام		
﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ﴾	١٩	٥٥٠
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ؕ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾	٦٨	٤٢٤
﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّلَ كُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾	١٠٨	٢٧١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾	١٢١	١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦
﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾	١٢٢	٦٣٥
﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَرِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾	١٤٦	١٤٠
﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهٍ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٥٣	٤
﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾	١٥٦	١٤٢ ، ١٧٢
سورة الأعراف		
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾	١٥٧	٦
﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	٥٤٨ ، ٥٥٢ ، ٦٣٤
﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾	١٨٧	٥٩٧
سورة الأنفال		
﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ	٣٣	٤٠٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾		
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْأَحْجَمَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤١)	٤١	٥٠٠
﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦١)	٦١	٤٣٣ ، ٤٣٧ ، ٥١٠
﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾	٦٥	٤٣٠
﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَتُخِفَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	٦٧	٤٥٨ ، ٤٦٢
﴿لَوْلَا كُنْتُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	٦٨	٤٥٨
﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٦٩)	٦٩	٥٠٠
﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾	٧٢	٢٢٩
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾	٧٣	٦٣٢ ، ٦٣٣
﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٥)	٧٥	٦٢٤
سورة التوبة		
﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ	٤	٧

الآية	رقمها	الصفحة
اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٠٠﴾		
﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾	٥	٤٣٠ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٣ ، ٤٨٤
﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتْلُغْهُ مَأْمَتَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٦	٢٩٢ ، ٣٥ ، ٣٤
﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾	٧	٥١٥ ، ٧
﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ فِي الْإِيمَانِ وَتَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾	١١	٤٣٦
﴿ فَقَاتِلُوا أَلِئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ ﴿١٢﴾ ﴾	١٢	٦٠٠ ، ٥١٥
﴿ أَلَا تَقْنَلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَئِكَ مَرَّةً كَانُوا فِيهَا يَخْشَوْنَ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾	١٣	٣٧
﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	٢٨	٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨
﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ	٢٩	٣٠ ، ٣٣ ، ١٦٤ ، ٤٣١ ، ٤٣٧ ،

الآية	رقمها	الصفحة
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٤٤٨﴾		٤٤٨
﴿ تَأْخُذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾	٣١	١٤٦ ، ١٦٠
﴿ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾	٣٦	٤٣١ ، ٤٣٨
﴿ إِلَّا نَفِروا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾	٣٩	٤٣٩
﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَةَ فَلَوْهُمْ فِي الرِّقَابِ وَالْعَرَمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴾	٦٠	٥٦ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠
﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾	٨٠	٦٢٠
﴿ وَلَا تُضِلَّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾	٨٤	٦٢٠ ، ٦٢٤
﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾	١١٣	٣٧١ ، ٤٠٥ ، ٤١٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢
﴿ وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾	١١٤	٦٢٢
﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴾	١٢٠	٤٣٩
﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾	١٢٢	٤٣٩
﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾	١٢٣	٤٣١
سورة يونس		

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾	١٨	٥٥٨
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾	٩٩	٢٧٦ ، ٤٣٥
سورة هود		
﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾	٣٦	٤٠٨
سورة يوسف		
﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾	٤٢	٢٧٤
﴿لَا تَتْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	٩٢	٥٨٨
﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾	١٠٣	١٨
﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾	١٠٨	٤٢٤
سورة الرعد		
﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ﴿٢٠﴾﴾	٢٠	٥١٤
سورة إبراهيم		
﴿الرَّكَدْبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾	١	٥٧١
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾	٤	٥٧١

الآية	رقمها	الصفحة
الْحَكِيمُ ﴿١﴾		
﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ	٣٢	٢٧١
وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ	٣٣	٢٧١
وَأَتَيْنَكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ	٣٤	٢٧١
﴿٢﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٢﴾	٤١	٦٢٢
سورة الحجر		
﴿١﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾	٩	١
﴿٢﴾ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢﴾	٩٤	٢٩
سورة النحل		
﴿١﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾	٤٤	١
﴿٢﴾ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٢﴾	٨٩	٢٣
﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾	٩٠	٢
﴿٤﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٤﴾	٩١	١٠٧

الآية	رقمها	الصفحة
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ	٩٢	١٠٧
﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمِ الْبَالِغَ هِيَ أَحْسَنُ ﴾	١٢٥	٥٦٠ ، ٤٤٨
﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾	١٢٦	٤٩٨ ، ٤٩٦
﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي صَبِيحٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾	١٢٧	٤٩٨ ، ٢٨
سورة الإسراء		
﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾	١	٢٤٦
﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾	١٥	٥٣٥
﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْ لَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾	٢٣	٣٨٤
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾	٧٠	٥٧٢ ، ٢٧٠
سورة الكهف		
﴿ فَلَعَلَّكَ بِنَجْعِ نَفْسِكَ عَلَى هَٰئِهِمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾	٦	١٨
﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾	١٦	٢٢٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾	٢٩	٢٧٨
سورة مريم		
﴿ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي ﴾	٤٧	٣٥٢
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًا ﴾	٦٤	١٣٤
﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوْلَدًا ﴾	٧٧	١٠٣
سورة طه		
﴿ وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾	١٣١	١١٤
﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ ﴾	١٣٤	٥٣٩
سورة الأنبياء		
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٧)	١٠٧	٥٥٠ ، ٥٥٢ ، ٥٧٤ ، ٦٣٥
سورة الحج		
﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾	١٧	١٤٦
﴿ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِنْفِهِمْ أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٢٩)	٣٩	٤٣٠ ، ٤٣٣
﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا	٤٠	٢٧٨ ، ٤٣٣ ،

الآية	رقمها	الصفحة
اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوحُكُمْ وَيَبِغْ وَصَلَاتُكُمْ وَمَسْجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلِيُنْصُرَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٦٠٠﴾		٦٠٠
﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قَلِيلًا أَيْبُكُمْ أَنْزِلَهُمْ هُوَ سَمَنَكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾	٧٨	٥٠٧ ، ٦
سورة النور		
﴿الَّذِينَ لَا يَنْكِحُوا إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٤)	٣	١٦٧
﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾	٤	١٦٦
﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾	٣٦	٢٥٧
سورة الفرقان		
﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَفْسَهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ (١٩)	١٩	٢٩٤
سورة القصص		
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنْ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾	٥٦	٦٢١ ، ١٨
سورة العنكبوت		
﴿وَوَضِعْنَا الْإِنْسَانَ بُولَدِيهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾	٨	٣٨٩
﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾	٤٦	٥٢٦ ، ٢٧١ ، ١٩ ، ٥٤٤ ، ٥٦٦ ، ٦٣٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةً فَإِنِّى فَاعْبُدُونِ﴾	٥٦	٢٢٤
سورة الروم		
﴿الْم ١﴾	١	٤٦
﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ٢﴾	٢	٤٦
﴿ذَٰلِكَ الَّذِي أَقْتَمَ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٤٠﴾	٤٠	٦٣٥
سورة لقمان		
﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾	١٤	٣٨٥
﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾	١٥	٦٣ ، ٣٨٥ ، ٥٧٦ ، ٦١٨ ،
﴿وَمَا يَجِدُ إِتَابُنَا إِلَّا كُلَّ خَسَارٍ كَفُورٍ ٣٢﴾	٣٢	٦٣٥
سورة الأحزاب		
﴿الَّذِينَ أَوَّلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولَٰئِ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾	٦	٦٢٤ ، ٦٢٧
﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ٤٥﴾	٤٥	٥٣١
سورة سبأ		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٢٨	٥٥٥ ، ٦٣٦
سورة الزمر		
﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾	٣	٥٥٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرُوا الْآرْضَ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٧)	٦٧	٣٨٠ ، ٥٢٧
سورة فصلت		
﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾	٣٤	٦٢
﴿وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾	٣٥	٦٢
﴿وَمَا يَزَعْنَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	٣٦	٦٢
﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٤٠	٢٧٨
سورة الشورى		
﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا﴾	١٣	٧
سورة الزخرف		
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾	٢٦	٢٥
﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	٢٧	٢٥
﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾	٢٨	٢٥
﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٢٤)	٨٩	٤١٩ ، ٢٨
سورة الأحقاف		
﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٢٤)	٢٤	٥٥٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾	٣١	٥٥٠
سورة محمد		
﴿فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ﴾	٤	٤٦٦
﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَهْلَكُكُمْ﴾ (٢٥)	٣٥	٥١٠
سورة الفتح		
﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (١)	١	٥١٨
﴿تَقْنِيلُوهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾	١٦	٤٤٨
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾	٢٩	٢٣
سورة الحجرات		
﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾	٩	٤٤٨
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢)	١٢	٣٣٩
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣)	١٣	٥٨٤ ، ٢٧١
﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾	١٤	٤٤٦
سورة النجم		
﴿الْأَنْزِلُ وَالْأَنْزِلُ وَذَرِ الْأُخْرَىٰ﴾	٣٨	٢٨٨
سورة الحديد		
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾	٢٥	٢٨٣

الآية	رقمها	الصفحة
وَالْمِيزَاتِ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٢﴾		
سورة المجادلة		
﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾	٢٢	١٨ ، ٢١ ، ٢٦ ، ١٦٣ ، ٣٩٩ ، ٤٣١
سورة الحشر		
﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾	٢٠	٣٠٣ ، ٣١٨
سورة الممتحنة		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾	١	١٨ ، ٣٨ ، ١٦٥ ، ٤٣٦ ، ٦٣٢
﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْغَدُورُ وَالْبَعْضُاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ	٤	٢٦ ، ٣٨
﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُّوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾	٨	١٩ ، ٢٢ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٢٩٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٣٩٨ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦
﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ	٩	٢٢ ، ٣٨ ، ٢٩٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ	١٠	١٦١ ، ١٧٤ ، ١٨١

الآية	رقمها	الصفحة
لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾	٢٢	٤٤٨
سورة البينة		
﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ﴿١﴾	١	١٦٠
سورة المسد		
﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ ﴿٤﴾	٤	١٨٦
﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾	١	٤٢١

٢- فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	طرف الحديث
حرف الألف	
٤٦٢	أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء ، لقد عُرِضَ عليّ عذابهم
٥٧٢ ، ١٩	اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ
٤٨٧	اتقوا الله في الفلاحين ، فلا تقتلوهم إلا أن ينصبوا لكم الحرب
١٢٢	أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِجَبْنَةٍ فِي ثُبُوكٍ فَدَعَا بِسَكِينٍ فَسَمَّى وَقَطَعَ.
١٢٢	أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِجَبْنَةٍ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ: أَيْنَ صُنِعَتْ هَذِهِ ؟
٤٢٠ ، ٣٤٠ ، ٣٦	أَتَى النَّبِيَّ ﷺ عَيْنٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ فِي سَفَرٍ
٢٣٦	أجلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يهود نجران، وفدك
١٢٦	اجهدوا أيماهم أنهم ذبحوها، ثم اذكروا اسم الله واكلوا
٤٦٥	أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ إِمَّا السَّبْيَ، وَإِمَّا الْمَالَ
٤١٣	أَخْبَرَنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَةِ؟
٦٢٠	أخّر عني يا عمر
٢٤٠ ، ٢٣٤	أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بَنَحْوِ
٢٣٦	أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب
٤٨٤	اخْرُجُوا بِسْمِ اللَّهِ، تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، لَا تَعْدِرُوا

الصفحة	طرف الحديث
٢٤٠	أخرجوا يهود أهل الحجاز
٢٥٩	ادع الذي كتبه ليقراه
١٣٨	إِذَا أُرْسِلْتَ كِلَابَكَ الْمُعَلَّمَةَ، وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَكُلْ
٧٩	إِذَا أَسْلَمَ الرَّجُلُ فَهُوَ أَحَقُّ بِأَرْضِهِ وَمَالِهِ
٢١١	إِذَا أَسْلَمَتِ النَّصْرَانِيَّةُ قَبْلَ زَوْجِهَا بِسَاعَةٍ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ .
٢٧٤	إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا حَتَّى تُخَلَّفَكُمْ
٤٤٣	إِذَا رَأَيْتُمُ مَسْجِدًا أَوْ سَمِعْتُمُ مُنَادِيًا فَلَا تَقْتُلُوا أَحَدًا
٣٥٦	إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ الْيَهُودُ فَإِنَّمَا يَقُولُ أَحَدُهُمْ: السَّامُ عَلَيْكَ فَقُلْ: وَعَلَيْكَ
٣٥٦	إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ
٥٣٣	إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى غَيْرِ سُرَّةٍ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ وَالْخَنَزِيرُ وَالْيَهُودِيُّ
٢٦٧	إِذَا ظَلِمَ أَهْلُ الذِّمَّةِ كَانَتِ الدَّوْلَةُ دَوْلَةَ الْعَدُوِّ
٥٦٤	إِذَا فَتَحْتُمْ مِصْرَ فَاسْتَوْصُوا بِالْقَبْطِ خَيْرًا، فَإِنْ لَمْ ذِمَّةٌ وَرَحْمًا
٥٣٣	إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ
٣٠	إِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ حِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيَّتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ
٦١٢	إِذَا مَرَّتْ بِكُمْ جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ أَوْ مُسْلِمٍ فَقُومُوا لَهَا
٦١٩	إِذَا مَرَرْتُمْ بِقُبُورِنَا وَقُبُورِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ

الصفحة	طرف الحديث
٤٦	اذهب فزد في الخطر
٥١١	أرأيتَ لو جعلتُ لك ثلث ثمار الأنصار ، أترجع بمن معك من غطفان
٥١٤	أَرْبَعُ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ
٥٧٧	أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ ، وَكَسَّرِ الْأَوْثَانَ ، وَأَنْ يُوحِّدَ اللَّهُ
٦٠٩	اركب دابتك وسر أمامها، فإذا ركبت وكننت أمامها فليست معها
٦٠٧	أرى أن تغسله وتحنطه، وأمره بالغسل
٥٤٢ ، ٩٢ ، ٨٩	اسْتَأْجَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خَرِيَّتًا
٦١٨ ، ٤٠٥	اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي
٩٣	استخدم عمر أنباط فلسطين في كنس بيت المقدس، وكانت فيه مزبلة عظيمة
٥٢٥	استعملني علي على السواد ، وأمرني أن أستحلف أهل الكتاب
٥٧٦ ، ٥٧٥ ، ٤٥٧	استوصوا بالأسارى خيراً
٥٧٧ ، ٥٦٤	استوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمّةً ورحماً
٦٣١	الْإِسْلَامُ يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ
٨٦ ، ١٠٢ ، ١٨٧ ، ٦٢٤	الْإِسْلَامُ يَعْلُو وَلَا يُعَلَى
٦٢٨	أسلم، فإنك إن أسلمت ورثتي، فأبي
١٨٧	أَسْلَمْتُ وَعِنْدِي ثَمَانِ نِسْوَةٍ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ

الصفحة	طرف الحديث
٩٥	أصاب نبي الله ﷺ خصاصة، فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه فخرج يلتمس عملاً
٥٠٣	اعتمر النبي ﷺ من الجعرانة، حيث قسم غنائم حنين.
٤٢٣، ١١١	أعطى رسول الله ﷺ خير اليهود أن يعملوها ويزرعوها
٥٥٦، ٥٤٨، ٤٩٨	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي
٤٥٨	إعظما لذلك أخذتكم بجريرة حلفائك ثقيف
٤٧٣	اعلم أن كل أسير كان في أيدي المشركين من المسلمين فكاهه من بيت مال المسلمين
٦٠٦	اغسلنها ثلاثا أو خمسا أو أكثر من ذلك، إن رأيتهن ذلك بماء وسدر
١١٢	أفأء الله على رسوله خير فأقرهم رسول الله ﷺ كما كانوا
١١١	افتتح رسول الله ﷺ خير، واشترط أن له الأرض
٤٤٣	أقال: لا إله إلا الله وقتلته؟
٤٨٣	اقتلوا شيوخ المشركين، واستبقوا شرخهم
٤٦٦	اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة
٣٩٢	أكرم حاطبا، وأحسن إليه
١٠٨	ألا أخبركم بخياركم؟ خياركم الموفون المطيبون
٢٧٥	ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له
٥١، ٤٥	ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع
٢٩٠	ألا لا تحل أموال المعاهدين إلا بحقها
٤٩١	ألا لا يجهز على جريح، ولا يتبعن مدبر، ولا يقتلن

الصفحة	طرف الحديث
	أسير
٢٦٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٣٧٩ ، ٥٧٣	أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ
٢٦٨	أَلَا مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ
٢٨٥	ألا من كانت له مظلمة فليرفعها
٢٧٣ ، ٥٦٩ ، ٥٧٦ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢	أليست نفساً ؟
١٠٩	أَمَّا الْإِسْلَامُ فَأَقْبَلُ وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ ...
٩١	أما بعد، فإنه بلغني أن في عملك كاتباً نصرانياً، يتصرف في مصالح الإسلام
٣٤٧	أَمَّا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَأَيْتُمْ كَفَفْتُ يَدَيَّ عَنْ بَيْعَتِهِ
١٥٤	أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَإِنْ وَجَدْتُمْ غَيْرَهَا فَلَا تَأْكُلُوا فِيهَا
٥٢٦	أَمْتَهُوْ كُونْ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً
٦٠٧	أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْقَتْلِ أَنْ يُطْرَحُوا فِي الْقَلْبِ فَطَرِحُوا فِيهِ
٧٨ ، ٤٣٠ ، ٤٤٠ ، ٤٤٢ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦	أَمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا
٤٨١	أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعث جيوشاً إلى الشام
٣٢٣	أن أبا بكر وعمر جعلاً دية اليهودي والنصراني المعاهدين دية الحر المسلم

الصفحة	طرف الحديث
١٩٧	أنّ أبا سفيان خرج عام الفتح قبل دخول النبي ﷺ مكة، ولم تسلم امرأته هندٌ حتى فتح النبي ﷺ مكة
٥٢٢	إنّ أبا موسى حلف يهودياً بالله
٢٥١	إنّ إبراهيمَ حرّمَ مكةَ، وإنّي حرّمتُ المدينةَ ما بينَ لَبَتَيْهَا، لَا يُقْطَعُ عِضَاهُهَا
٤٩٠	أنّ ابن مسعود أتى أبا جهلٍ وبِهِ رَمَقٌ يَوْمَ بَدْرٍ
٢٣٤	أنّ أَخْرَجُوا يَهُودَ الْحِجَازِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ شِرَارَ النَّاسِ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ
٥٩٢	أنّ أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ يستعينه في شيء
٣٤١	أنّ أعمى كانت له أمٌ ولدٍ تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فأخذ المِعْوَلَ ووضعهُ في بطنها
٣٩٣	أنّ أُكَيْدِرَ دُومَةَ أَهْدَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ثَوْبَ حَرِيرٍ
٣٢٣	أنّ الدية كانت على عهد رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان دية المسلم واليهودي والنصراني سواء
٥٠٥	إنّ الدِّينَ يُسْرُ
٤٢	إنّ الذي حرّمها حرم أن يكارم بها اليهود
٥٠٠	أنّ الرسول ﷺ ضرب لعثمان وطلحة رضي الله عنهما بسهم
٥٧٣	إنّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ
٥٥٦ ، ٥٤٤	إنّ الله أنزل الدَّاءَ والدَّوَاءَ وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً
١٦١	إنّ الله حرّم المَشْرِكَاتِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أَعْلَمُ مِنْ الْإِشْرَاقِ
٥٧٣	إنّ الله رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ

الصفحة	طرف الحديث
٤٩٥	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ
٥٤٤	إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيَمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ .
٥٦٣	إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا .
٢٦٧	إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ فِي الدُّنْيَا .
٦١٠	إِنَّ الْمَوْتَ فَزَعٌ فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا
٢٠٨ ، ١٨٠	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى بِامْرَأَةٍ مُجَحِّ عَلَى بَابِ فُسْطَاطٍ
٦٩	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ يَوْمَ حَنْينَ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ
٧٦	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَهْدَى إِلَى أَبِي سَفْيَانَ تَمْرًا
٧٣	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُنَادِيًا فِي فِجَاجِ مَكَّةَ: " أَلَا إِنَّ صَدَقَةَ الْفِطْرِ وَاجِبَةٌ
٧٩	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَاصِرَ بَنِي قَرِيظَةَ، فَأَسْلَمَ ثَعْلَبَةُ
٢٠٥	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَدَّ ابْنَتَهُ عَلَى أَبِي الْعَاصِ بِمَهْرٍ جَدِيدٍ، وَنِكَاحٍ جَدِيدٍ
٤٧٠	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمَّلَ أَعْيُنَ الْعَرَنِيِّينَ بِالْحَدِيدِ الْحَمَى بِالنَّارِ
٥١٧	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَالَحَ ابْنَيْ أَبِي الْحَقِيقِ مِنْ يَهُودِ خَيْبَرَ عَلَى حَقْنِ دِمَائِهِمْ ، وَخُرُوجِهِمْ مِنْ خَيْبَرَ وَأَرْضِهَا
٥١٠	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَالَحَ أَهْلَ مَكَّةَ عَامَ الْحَدِيثِ عَلَى أَنْ وَضَعَ الْحَرْبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ عَشْرَ سِنِينَ
٣١١	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَرَضَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ قَتْلَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ
٣٠٩	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَضَى بِدِيَةِ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ أَرْبَعَةَ آلَافِ

الصفحة	طرف الحديث
	درهم
٥٦٣	أن النبي ﷺ كان لا يقاتل عن أحد من أهل الشرك إلا عن أهل الذمة .
١٥٦	أن النبي ﷺ كفّن في ربطتين، وبرد نجراني
٥٠٠	أن النبي ﷺ لم يقسم غنائم بدر إلا بعد مقدمه المدينة
٥٠٠	أن النبي ﷺ لم يقسم غنيمة في دار الحرب
٤٦٣	أن النبي ﷺ مرّ بامرأةٍ مقتولةٍ يوم حنين، فقال من قتل هذه ؟
٤٧٩	أن النبي ﷺ نصب المنجنيق على أهل الطائف
٥٠٠	أن النبي ﷺ نهى عن بيع الغنيمة في دار الحرب
٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨	أن النبي ﷺ ودى العامريين دية الحرين المسلمين
٣٢٢	أن النبي ﷺ ودى ذمياً دية مسلم.
١٩٦	أن النساء في عهد رسول الله ﷺ يسلمن بأرضهن، وهن غير مهاجرات، وأزواجهن حين أسلمن كفار
٤٩٠	أَنَّ النَّسَاءَ كُنَّ يَوْمَ أُحُدٍ خَلْفَ الْمُسْلِمِينَ يُجْهَزْنَ عَلَى جَرَحَى الْمُشْرِكِينَ
٥٢٠ ، ٢٥٥	أن اليهود أتوا النبي ﷺ وهو جالس في المسجد في أصحابه فقالوا
١٩٦	أن أم حكيم بنت الحرث بن هشام - وكانت تحت عكرمة بن أبي جهل - أسلمت يوم الفتح
٤٦٤	أن امرأة من أزواج النبي ﷺ كان عليها محرر من ولد إسماعيل ، فلما جاء سي أهل اليمن

الصفحة	طرف الحديث
٤٦٣ ، ٤٧٦ ، ٤٨٠ ، ٤٨٥	أَنَّ امْرَأَةً وَجَدَتْ فِي بَعْضِ مَعَارِي النَّبِيِّ ﷺ مَقْتُولَةً ، فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ
٢٥٩	أَنْ اَمْنَعُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ دُخُولِ مَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ
٤٤٣	إِنْ أَنْاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ
٥٢٧	إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَتَبُوا كِتَابًا ، فَاتَّبَعُوهُ ، وَتَرَكُوا التَّوْرَةَ .
١١٥ ، ٤١	إِنَّ بَنِي فُلَانٍ أَسْلَمُوا - لِقَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ - وَإِنَّهُمْ قَدْ جَاعُوا
٦١٢	أَنَّ جَنَازَةً مَرَّتْ بِالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ ، فَقَامَ الْحَسَنُ وَلَمْ يَقُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ
١٩٧	أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حَزَامٍ ﷺ أَسْلَمَ قَبْلَ امْرَأَتِهِ ، وَخَرَجَ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمَيَّةَ ، فَلَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ
٢٨٩	إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا
٣٢٢	إِنْ دِيَةَ الْمَعَاهدِ دِيَةُ الْحُرِّ الْمُسْلِمِ
١٩٠	أَنَّ رَجُلًا جَاءَ مُسْلِمًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ جَاءَتْ امْرَأَتُهُ مُسْلِمَةً
٥٨	أَنْ رَجُلًا سَأَلَهُ عَنْ زَكَاةِ مَالِهِ فَقَالَ : ادْفَعْهَا إِلَى السُّلْطَانِ
١٠٥ ، ٩٥	أَنْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَقَى لِيَهُودِي كُلِّ دَلْوٍ بَتَمْرَةٍ فَاسْتَقَى بِنَحْوِ مِنْ صَاعَيْنِ
٢٠٠	أَنَّ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا مِنْ بَنِي تَغْلِبَ أَسْلَمَتْ امْرَأَتُهُ ، فَعَرَضَ عَمْرُ ﷺ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ فَاِمْتَنَعَ

الصفحة	طرف الحديث
٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦١ ، ٣٧٠	أن رسول الله ﷺ أتى مجلساً فيه عبد الله بن أبي بن سلول، وبعض المسلمين، فسلم عليهم
٢٤١	أن رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر
٢٤٨ ، ٢٤٩	أن رسول الله ﷺ أرسله ينادي بسورة بَرَاءةَ ، وَأَنْ لَا يَحْجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ
٤٦٩	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَهُ عَلَى سَرِيَّةٍ
٥٠١	أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن جحش ﷺ إلى بطن نخلة
٥٨٣	أن رسول الله ﷺ تصدق بصدقة على أهل بيتٍ من اليهود
٣٢٢ ، ٣٢٨	أن رسول الله ﷺ جعل دية المعاهد كدية المسلم
٨٩ ، ٩٢	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَامَلَ أَهْلَ خَيْبَرَ بِشَطْرِ مَا
٣٢٥	أن رسول الله ﷺ فرض على كل رجل مسلم قَتَلَ رجلاً من أهل الكتاب أربعة آلاف درهم
١٥٦	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ يَمَانِيَّةٍ
١١٤	أن ضيفاً نزل برسول الله ﷺ، فأرسلني أبتغي له طعاماً، فأتيت رجلاً من اليهود
٤٧٣	إنَّ على المسلمين في فيئهم أن يفادوا أسيرهم، ويؤدوا عن غارمهم
٢٨٩	أن علي بن أبي طالب ﷺ أتى برجل من المسلمين قَتَلَ رجلاً من أهل الذمة ، فقامت عليه البينة
٤٦٩	أَنَّ عَلِيًّا ﷺ حَرَّقَ قَوْمًا فَبَلَغَ ابْنُ عَبَّاسٍ
١٣١	أنَّ عَلِيًّا ﷺ هَمَى عَنْ ذَبَائِحِ بَنِي تَغْلِبَ

الصفحة	طرف الحديث
٢٣٥	أن عمر <small>رضي الله عنه</small> أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز
٣٢٥	أن عمر <small>رضي الله عنه</small> قضى في اليهودي والنصراني بأربعة آلاف درهم
٥٠٢	أن عمر <small>رضي الله عنه</small> كتب إلى سعد بن أبي وقاص: قد أمددتك بقوم، فمن أتاك منهم
٣٩٧	أن عمر أرسل بحلة سيرا إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم
٢٣٩	أن عمر ضرب لليهود والنصارى والمجوس بالمدينة ثلاثة أيام يتسوقون فيها، ويقضون حوائجهم
١٨٩	أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن
٢٧٣	إن فيهم لخصالا أربعا: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة
٦٤	إن قريشا حديث عهد بجاهلية ومصيبة، وإنني أردت أن أجبرهم وأتألفهم
٣٣٤	أن قوما أغاروا على لقاح رسول الله <small>ﷺ</small> فأتى بهم النبي <small>ﷺ</small> فقطع النبي <small>ﷺ</small> أيديهم
٤٦٩	إن لقيتم فلانا وفلانا لرجلين من قريش سمأهما فحرقوهما بالنار
٥٠٠	إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه
١٢٥	إن لم تأكلوه فأطعموني
٦٠	أن مشركا جاء يلتمس من عمر مالا فلم يعطه
٣٣٩	إن منكم رجالا نكلهم إلى إيمانهم منهم فرات بن حيان

الصفحة	طرف الحديث
٤٩٥	أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةِ، اجْتَوَوْا الْمَدِينَةَ، فَرَخَّصَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْتُوا إِبِلَ الصَّدَقَةِ
٢٠٤	أَنَّ نَصْرَانِيًّا أَسْلَمَتْ امْرَأَتُهُ، فَخَيَّرَهَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنْ شَاءَتْ فَارَقَتْهُ، وَإِنْ شَاءَتْ أَقَامَتْ عَلَيْهِ
٥٩١ ، ٤١٢	إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ
٥٢٩	أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ
٢٥٨	إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ
٦٦	إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُذِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ
٣٦٢	أَنَّ هِرْقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ - وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّامِ
٢٤٧	أَنَّ وَفْدَ ثَقِيفٍ لَمَّا جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِأَنْ يَضْرِبَ لَهُمْ قُبَّةً فِي الْمَسْجِدِ
٢٥٦	أَنَّ وَفْدَ ثَقِيفٍ لَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْزَلَهُمُ الْمَسْجِدَ لِيَكُونَ أَرْقَ لِقُلُوبِهِمْ
٥٦٤	أَنَّ وَفْدَ نَصَارَى نَجْرَانَ لَمَّا وَفَدُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دَخَلُوا عَلَيْهِ فِي مَسْجِدِهِ
٢٣٣	أَنَّ يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ وَقَرِيطَةَ حَارَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَجْلَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَنِي النَّضِيرِ
٥٧٩	إِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أَمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ
٤٢٦	أَنَّ يَهُودِيًّا دَعَا النَّبِيَّ ﷺ إِلَى خُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةِ سَنِخَةٍ فَأَجَابَهُ
٣٩٣ ، ١٣٥ ، ١٢٥	أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا

الصفحة	طرف الحديث
	فَجِيءَ
٣٤٠	أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَشْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ وَتَقَعُ فِيهِ ؛ فَخَنَقَهَا رَجُلٌ حَتَّى مَاتَ
٣٠٥ ، ٣٠٤ ، ٢٨٩	أَنَا أَحَقُّ مِنْ أَوْفَى بَذْمَتِهِ
٢٧٢	أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
١٥٢	إِنَّا بِأَرْضِ قَوْمٍ
٢٢٠ ، ٢١٨	أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ أَقَامَ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَشْرِكِينَ
٣٤٩	إِنَّا غَادُونَ إِلَى يَهُودَ، فَلَا تَبْدَعُوهُمْ بِالسَّلَامِ
٤٤٩ ، ٩٠ ، ٨٩	إِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ
٣٩١	إِنَّا لَا نَقْبَلُ شَيْئًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَخَذْنَاهَا بِالْثَمَنِ
٥٩٣ ، ٥٨٣ ، ٢٩٦	أَنَا وَهُوَ يَا عَمْرُ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عَمْرُ : أَنْ تَأْمُرَنِي بِحَسَنِ الْأَدَاءِ
٢٣٣	انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ
٤٨١	انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ، وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا
٤٣٨	انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ
٥٤١	إِنَّكَ رَجُلٌ مَفْتُوذٌ، أَنْتَ الْحَارِثُ بْنُ كَلْدَةَ أَخَا ثَقِيفٍ
٥٦٧	إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ
٥٦٤ ، ٥٦٢	إِنَّكُمْ سَتَنْفَتَحُونَ أَرْضًا يُذَكَّرُ فِيهَا الْقَيْرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا

الصفحة	طرف الحديث
٥٦٣	إنكم ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم فاستوصوا بهم
٣٧٤	إِنَّكُمْ قَدْ فَعَلْتُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، مَا فَعَلْتُمْ ، فَكُونُوا أَكْفَ النَّاسِ عَنْهُ
٣٤٨	إنكم لاقون اليهود غداً، فلا تبدؤوهم بالسلام
٦١١	إِنَّمَا قُمْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
٤٢٥	إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ
٦١٢	إِنَّمَا مَرٌّ بِجَنَازَةِ يَهُودِيٍّ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى طَرِيقِهَا جَالِسًا
٦٢٥ ، ٣٨٧	إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَقَ لَهُ
٢٩٠	إننا نمر بأهل الذمة ، فيذبحون لنا الدجاجة والشاة
٢١٤	أنه أسلم وأبّت امرأته أن تُسَلِّمَ فَأَتَتْ النَّبِيَّ
٢٥٩	أنه بصر بمجوسي وهو على المنبر وقد دخل المسجد
٣٧٧	أنه كَانَ لَهُ جُرْنٌ مِنْ تَمْرٍ ، فَكَانَ يَنْقُصُ ، فَحَرَسَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ
٩٠	أنه لم يكن للنبي ﷺ عمال يعملون بها على نخل خيبر
٥٤٣	إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ
٥٨٠ ، ٢٩٦	إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، فأحبُّ أن أكرمهم بنفسي
٦٤	إِنِّي أُعْطِيَ رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ
٣٤٩	إِنِّي رَاكِبٌ غَدًا إِلَى الْيَهُودِ، فَلَا تَبْدُؤُوهُمْ بِالسَّلَامِ
٦١٦	إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي ﷻ فِي الْإِسْتِغْفَارِ لِمَا مَيَّيْتُ فَلَمْ يَأْذَنْ لِي

الصفحة	طرف الحديث
٢٥٨	إِنِّي لَا أُحِلُّ الْمَسْجِدَ لِحَائِضٍ وَلَا جُنْبٍ
٣٤	إِنِّي لَا أَحْبِسُ بِالْعَهْدِ ، وَلَا أَحْبِسُ الْبُرْدَ
٣٩١	إني لا أقبل هدية مشرك
٦٩ ، ٦٣	إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ
٥٧١ ، ٢٤	إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَنًا ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً
٢٧٨	إِنِّي مُوصِيكَ بِعَشْرٍ: لَا تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً، وَلَا صَبِيًّا
٣٩٠	إِنِّي نُهِيتُ عَنْ زَبْدِ الْمُشْرِكِينَ
٥٦٦	إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي
٣٩٥	أَهْدَى كِسْرَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبِلَ مِنْهُ، وَأَهْدَى لَهُ قَيْصَرَ فَقَبِلَ مِنْهُ، وَأَهْدَتْ لَهُ الْمُلُوكُ فَقَبِلَ مِنْهُمْ
٣٧٩ ، ٢٦٥	أَوْصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ
٢٩٤	أَوْصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِأَهْلِ الذِّمَّةِ خَيْرًا ، أَنْ يَوْفَى لَهُمْ بَعْدَهُمْ
٥١٣	أَوْفُوا بِحِلْفِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُهُ - يَعْنِي الْإِسْلَامَ - إِلَّا شِدَّةً
١٣٣	أول من أعطى الجزية أهل نجران
٤١٩	أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ .
٣٦٩	أَيُّ عَمِّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ
٣٣٧	إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا
٥٢١	آيتان نسختا من سورة المائدة: آية القلائد
٢٦٧	الإيمان قيد الفتك ، من أمن رجلاً فقتله فأنا بريء

الصفحة	طرف الحديث
٥٨٨	أين عمر ؟ لو قتلنا هؤلاء يوم طلب عمر لأرعدت لهم أنوف، تريد اليوم قتلهم
حرف الباء	
٢٢٢	بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ
٥٥٩	بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس
٥٦٠	بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله، إلى النجاشي عظيم الحبشة
٥٦١	بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط
٤٤٦	بعث الله رسوله بأربعة سيوف
٢٤٢	بعث رسول الله ﷺ أبا عبيد بن الجراح رضي الله عنه إلى البحرين يأتي بجزيته
٤١٧	بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيِّ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ
٤٤٤ ، ٤٣٠	بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
٥٧٨ ، ٤٠٠	بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يُعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ
٢٢٨	الْبِلَادُ بِلَادُ اللَّهِ، وَالْعِبَادُ عِبَادُ اللَّهِ فَحَيْثُمَا أَصَبْتَ خَيْرًا فَأَقِمْ
٥٥٤ ، ٥٢٤	بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً
٣٩٤	بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً أَوْ قَالَ أَمْ هِبَةً ؟
٥٧١	بَيْنَا رَجُلٌ بِطَرِيقِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بُرًّا فَانْزَلَ
٢٥٥	بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ

الصفحة	طرف الحديث
	عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاحَهُ فِي الْمَسْجِدِ
٥٦٠	بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ
حرف التاء	
٥٩ ، ٥٦	تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ
١٦٨	التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ
٣٩١	تداوى به من هذا الذي بك
٤٥٠	تُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، وَتَعْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِهِمْ
٣٧٩	تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ
١١٣	تُوفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ بِعِشْرِينَ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ أَخَذَهُ لِأَهْلِهِ
٥٨٤ ، ٤٢٣ ، ١١٣	تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ
حرف الحاء	
٢٥١	حُرِّمَ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ عَلَى لِسَانِي
٢٨٤	الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
٣٨٦	حَلَفْتُ أَمْ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ
٦١٧	حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار
حرف الجيم	
١٦٧	جئت إلى النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله أنكح عناقا
٥٦٨	جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
٥٢٥ ، ٣٧٨	جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِبْصَعٍ

الصفحة	طرف الحديث
١٠٥ ، ٩٨ ، ٩٥	جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِي أَرَى لَوْنَكَ مُنْكَفِئًا ؟
٣١٧	جَاءَتْ الْيَهُودُ بِرَجُلٍ وَامْرَأَةٍ مِنْهُمْ زَنِيًّا
حرف الخاء	
١٣١	خَذَ مِنْ كُلِّ حَالِمٍ دِينَارًا.
٤٤٩	خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا خَلَفَ ثِيَةَ الْوُدَاعِ فَإِذَا كَتِيبَةٌ، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا بَنُو قَيْنِقَاعَ
٥٤٠	خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْيَةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ
١٥٥	خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ رُومِيَّةٌ
١٠٤ ، ٩٧ ، ٩٤	خَرَجْتُ فِي يَوْمٍ شَاتٍ مِنْ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَخَذْتُ إِهَابًا مَعْطُوبًا فَحَوَّلْتُ وَسَطَهُ
حرف الدال	
٥٨٩	دَعَهْمَا، فَلَعَلَهَا أَنْ تَسْرِكَ يَوْمًا
٣٠٩	دِيَةِ الْجَوْسِ ثَمَانُمِائَةِ دِرْهَمٍ
٣٣٠	دِيَةِ الْجَوْسِيِّ ثَمَانُمِائَةِ دِرْهَمٍ
٣٢٤	دِيَةِ الْمَعَاهِدِ مِثْلَ دِيَةِ الْمُسْلِمِ
٣٣٢ ، ٣٢٤ ، ٣٠٨	دِيَةُ الْمُعَاهِدِ نِصْفُ دِيَةِ الْحُرِّ
٣٣٢ ، ٣٢٤	دِيَةِ الْمَعَاهِدِ نِصْفُ دِيَةِ الْمُسْلِمِ
٣٣١	دِيَةِ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، وَدِيَةِ الْجَوْسِيِّ ثَمَانُمِائَةٍ .
٣٢٤	دِيَةِ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ وَكُلِّ ذِمِّيٍّ مِثْلَ دِيَةِ الْمُسْلِمِ
٣٨ ، ٣١٥	دِيَةِ كُلِّ ذِي عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ أَلْفُ دِينَارٍ

الصفحة	طرف الحديث
حرف الذال	
٢٩١	ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَذْنَاهُمْ
حرف الراء	
٥٧١	الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ
٩٨	رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ
٣٨٣	الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ
١٩٤	رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبَ ابْنَتَهُ عَلَى زَوْجِهَا أَبِي الْعَاصِ
حرف الزاء	
٧٣	الزكاة على المسلمين صاعٌ من تمر أو صاعاً من زبيب
حرف السين	
٤٧٦	سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الذَّرَارِيِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُبَيِّتُونَ
٥٧	سئل عن الصدقة فيمن توضع ؟ فقال: في أهل المسكنة من المسلمين وأهل ذمتهم
٣٤٤	سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ
٣٥٨ ، ٣٥٦	سَلَّمَ نَاسٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ
٤٥٨	سمعت أنين عمي العباس في وثاقه، فأطلقوه
٦٢٠ ، ٤٠٣	سَمِعْتُ رَجُلًا يَسْتَغْفِرُ لِأَبَوَيْهِ وَهُمَا مُشْرِكَانِ فَقُلْتُ لَهُ: أَتَسْتَغْفِرُ لِأَبَوَيْكَ وَهُمَا مُشْرِكَانِ
١٢٦	سَمُّوا عَلَيْهِ أَنْتُمْ وَكُلُّوهُ
١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ،	سَنُّوا بِهِمْ سَنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ

الصفحة	طرف الحديث
٣٣٢ ، ١٧١ ، ١٧٠	
٤٩٥	سِيرُوا بِاسْمِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، وَلَا تَمَثَّلُوا
حرف الطاء	
١٢٥	طَعَامُهُمْ ذَبَائِحُهُمْ
حرف العين	
٢٧٢	عجبت لصبر أخي يوسف وكرمه
١٠٣	عَمِلْتُ لِلْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، فَاجْتَمَعَ لِي عِنْدَهُ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ
٣٩٠	غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تَبُوكَ ، وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ النَّبِيِّ ﷺ بَعْلَةً
حرف الغين	
٦٥	غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ فَتَحَ مَكَّةَ ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ
٤٦٥	غَزَوْنَا فَزَارَةَ وَعَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ أَمْرُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا
حرف الفاء	
٢٢	فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ
١٧٠ ، ١٤٧	فَإِنْ أَسْلَمْتُمْ فَلَكُمْ مَا لَنَا وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْنَا وَمَنْ أَبَى فَعَلَيْهِ الجزية
٤٤٩	فَإِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِالْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ
٧٢	فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ
٥٤٩	فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ
٤٧٢	فُكُّوا الْعَانِي يَعْني الْأَسِيرَ، وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ

الصفحة	طرف الحديث
٢٢٦	فهلا قبل أن تأتيني به ، ما جاء بك يا أبا وهب
٥٣٦	في الجنة يا عائشة
٢٠٠	في اليهودية أو النصرانية تكون تحت اليهودي أو النصراني فتسلم، فقال : يفرق بينهما
٣٨٥ ، ٧٣	فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ
حرف القاف	
٢٣٥	قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ
٢٩٢	قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ يَا أُمَّ هَانِي
٤٥٩	قد فعلت، فلا تعجلي بخروج، حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة
٢٧٢	قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ: مَا هَذَا ؟
٣٣٤	قَدِمَ أَنَسُ بْنُ عُكْلٍ أَوْ عُرَيْنَةَ فَاجْتَوَا الْمَدِينَةَ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِلِقَاحٍ وَأَنْ يَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا
٣٨٤ ، ٣٩٦ ، ٥٧٤ ، ٦٢٥	قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ
٥٠٤	قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ أَنْ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَقَسَمَ لَنَا وَلَمْ يَقْسِمِ لِأَحَدٍ لَمْ يَشْهَدْ الْفَتْحَ غَيْرَنَا
٣٢٥	قضى عثمان في دية اليهودي والنصراني بأربعة آلاف درهم
٤٨١	قل لخالد لا تقتلن امرأة ولا عسيفاً
٤٧٣ ، ٣٠٣	قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ : هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ ؟
٢٨٦	قم يا أبا الحسن ، فاجلس بجوار خصمك

الصفحة	طرف الحديث
٥١٧	قَوْمُوا إِلَى خَيْرِكُمْ أَوْ سَيِّدِكُمْ
حرف الكاف	
٨٤	كَاتَبْتُ أُمِّيَّةَ بَنٍ خَلَفٍ كِتَابًا بِأَنْ يَحْفَظَنِي فِي صَاغِيَّتِي
٢٥٦	كَانَ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ يَدْخُلُ مَسْجِدَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مُشْرِكٌ
٢٠٣	كَانَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى مَنْزِلَتَيْنِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ كَانُوا مُشْرِكِي أَهْلِ حَرْبٍ يُقَاتِلُهُمْ
١٩٨	كَانَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْلِمُ الرَّجُلُ قَبْلَ الْمَرْأَةِ ، وَالْمَرْأَةُ قَبْلَ الرَّجُلِ
١١٢	كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَبْعَثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ إِلَى يَهُودَ ، فَيَخْرِصُ النَّخْلَ
٣٨٨	كَانَ الْيَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ
٢٩٤	كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ يَسْأَلُ الْوَافِدِينَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَقَالِيمِ عَنْ حَالِ أَهْلِ الذِّمَّةِ
٢١١	كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ ، يُقَالُ لَهُ: عَبَادُ بْنُ النُّعْمَانِ بْنِ زُرْعَةَ ، كَانَتْ عِنْدَهُ الْمَرْأَةُ
٥٨٣	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ بِوَجْهِهِ وَحَدِيثَهُ عَلَى شَرِّ الْقَوْمِ يَتَأَلَّفُهُ بِذَلِكَ
٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٧٦ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٨٨ ، ٥٠١ ، ٥٧٢ ، ٦١٣	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ
٧٥	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُؤْتَى إِلَيْهِ بِالْأَسِيرِ ، فَيُدْفَعُهُ إِلَى بَعْضِ

الصفحة	طرف الحديث
	المسلمين
١٥٢	كان رسول الله ﷺ يتقي أن يشرب في الإناء للنصراني
٥٢٥	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنَا عَامَّةً لَيْلَهُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا يَقُومُ إِلَّا إِلَى عُظْمِ صَلَاةٍ
١٤٣	كان رسول الله ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ
٦١٣	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ فِي الْجَنَازَةِ حَتَّى تُوَضَعَ فِي اللَّحْدِ
٣٢٣	كان عقل الذمي مثل عقل المسلم في زمن رسول الله ﷺ، وزمن أبي بكر، وعمر، وعثمان، حتى كان صدراً من خلافة معاوية
٦٠٤ ، ٣٦٩ ، ٣٦٧	كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ
٥٢١	كَانَ قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ ، وَكَانَ النَّضِيرُ أَشْرَفَ مِنْ قُرَيْظَةَ
١٤٩	كان لهم كتاب فرفع
٤٩٦ ، ٤٩٤	كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَحْتَنِي عَلَى الصَّدَقَةِ، وَيَنْهَانَا عَنْ الْمُثْلَةِ.
٥٢٥	كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنَا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى يُصْبِحَ مَا يَقُومُ إِلَّا إِلَى عُظْمِ صَلَاةٍ
٣١٥	كانت دية اليهودي والنصراني في زمن النبي ﷺ مثل دية المسلم.
٧٥ ، ٧٠ ، ٥٧	كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم وهم مشركون
٤٠	كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يَبَايِعُ

الصفحة	طرف الحديث
٢٧٢	الكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ
١٥٥	كَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُبْطِيَّةً كَثِيفَةً كَانَتْ مِمَّا أَهْدَاهَا
١٥٥	كَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُبْطِيَّةً، وَكَسَا أُسَامَةَ حُلَّةً سِيرَاءَ
١٥٦	كَفَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ نَجْرَانِيَّةٍ
١٣٢	كَلَوْا مِنْ ذَبَائِحِ بَنِي تَغْلِبَ وَتَزَوَّجُوا مِنْ نِسَائِهِمْ
١٤١	كُنَّا مُحَاصِرِينَ قَصْرَ خَيْبَرَ فَرَمَى إِنْسَانٌ بِجِرَابٍ فِيهِ شَحْمٌ، فَتَزَوَّتْ لَأَخْذِهِ
٤٠	كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَتُّوكَ نَشْتَرِي وَنَبِيعُ وَهُوَ يَرَانَا وَلَا يَنْهَانَا
١١٥	كُنَّا نُصِيبُ الْمَغَانِمَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَانَ يَأْتِينَا أَنْبَاطٌ مِنْ أَنْبَاطِ
١٥٣	كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنُصِيبُ مِنْ آيَةِ الْمُشْرِكِينَ
٣٦٧	كَيْفَ أَنْتَ يَا يَهُودِي؟ كَيْفَ أَنْتَ يَا نَصْرَانِي
٢٦٦	كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَحْتَبُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا
حرف اللام	
٤٩٧	لئن أظفرتني الله بهم لأمثلن بضعتني ما مثلوا بنا
٥٨٢	لا إله إلا الله وحده لا شريك له . صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده
١٢٢	لا بأس بأكل جبن المجوسي
١٢٢	لا بأس بأكل طعام المجوس ، ما خلا ذبيحته ، يعني الجبن وأشباهه

الصفحة	طرف الحديث
١٥٤	لا بأس بالصلاة في رداء اليهود والنصارى
٣٤٨ ، ٢٥ ، ٢٤	لَا تَبْدُؤُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ
٤٨	لَا تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ إِلَّا وَزَنًا بِوَزْنٍ
٥١٦ ، ٤٣٢	لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ
٤٥٥	لا تجمعوا عليهم حر هذا اليوم وحر السلاح، قيلوهم حتى يبردوا
١٢٧	لَا تَدْعُ شَيْئًا ضَارَعْتَ فِيهِ نَصْرَانِيَّةَ
٢١٩	لا تساكنوا المشركين، ولا تجمعوهم، فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منا
٥٢٦	لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم
٥٢٧	لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا، فَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ أَوْ تُكْذِبُوا بِحَقٍّ
٣٦٤	لا تصافحوا اليهود والنصارى
٥٢٤ ، ٢٧١	لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكْذِبُوهُمْ
٥٦٧	لا تعلموا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا عليهم في كنائسهم في عيدهم
٤٤٣	لَا تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ
٤٢٠	لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا
٥٧١	لَا تُنْزِعُ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ
٢٢٠	لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ

الصفحة	طرف الحديث
١٧٨	لَا تُوطَأُ حَامِلٌ حَتَّى تَضَعَ وَلَا غَيْرُ ذَاتِ حَمْلٍ حَتَّى تَحِيضَ حَيْضَةً
٤٨٨	لا خير في جسده ولا في ثمنه
٤٩ ، ٤٥	لا ربا بين المسلمين وبين أهل دار الحرب في دار الحرب
١١٦	لا شفعة لنصراني
٥٠	لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ وَلَا هَامَةً وَلَا صَفَرَ
٢٣١ ، ٢٢٥	لَا هِجْرَةَ الْيَوْمَ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَفِرُّ أَحَدُهُمْ بِدِينِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ مَخَافَةً
١٢٦	لَا يَتَخَلَّجَنَّ فِي صَدْرِكَ شَيْءٌ ضَارَعَتْ
٢٣٥	لَا يُتْرَكُ بِحَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانٌ
٦٣١ ، ٦٢٤ ، ٦٢٣	لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّى
٢٤٠ ، ٢٣٥	لا يجتمع في جزيرة العرب دينان
٢٤٦	لا يجتمع مسلم ومشرك في الحرم
١٧٦	لَا يَحِلُّ لِأَمْرِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْقِيَ مَاءَهُ زَرْعَ غَيْرِهِ
٢٤٦	لا يدخل أحد مكة إلا محرماً
٣٨٣	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ رَحِمٍ
٢٤٦	لا يدخل مشرك المسجد الحرام
٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤	لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ، وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ

الصفحة	طرف الحديث
٢١١	لا يرثن مسلماً ولا يرثنهن، ونساء أهل الكتاب لنا حل ونسأؤنا عليهم حرام
٢٤٦	لا يقرب المسجد الحرام مشرك
٢٥٨	لا يقرب المسجد مشرك
٤٦٩	لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ
٣٩٩	لَا يَنْبَغِي لِصَدِيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَانًا
٢٤٦	لا ينبغي لمسلم أن يؤدي الخراج ولا لمشرك أن يدخل الحرم
٣٤١	لا ينتطحُ بها عتران
٢٤٠ ، ٢٣٤	لُأَخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، حَتَّى لَا أَدْعَ إِلَّا مُسْلِمًا
٥٨١	لست أكره شيئاً من ذلك ! فافعلي من ذلك ما بدا لك
١٠١	لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ، وَلَعَنَ شَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا
٦٠٩	لَقَدْ سَبَقَ هَؤُلَاءِ خَيْرًا كَثِيرًا
٥١٣	لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم
٥٤٩	لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ ، فَكَأَنُّوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ
٥٧٨ ، ٣٩٩	لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعُقْبَةِ
٥١٢ ، ١٠٧	لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ

الصفحة	طرف الحديث
٦٩	لَكِنَّ اللَّهَ فُلَانًا مَا هُوَ كَذَلِكَ لَقَدْ أُعْطِيَتْهُ مِنْ عَشْرَةِ
٢٦٢، ٢٦٤	لَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قَبْلَ الْحَبْشَةِ
١١٢	لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ أَعْطَاهَا عَلَى النِّصْفِ
٤١٧	لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السَّلَاحَ وَاعْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
٤٨٤	لَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ حَنِينٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ
٢٠٥	لَمَّا كَاتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو يَوْمَ الْحُدَيْيَةِ عَلَى قَضِيَّةِ الْمُدَّةِ وَكَانَ فِيهَا اشْتَرَطَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ: لَا يَأْتِيكَ مِنَّا أَحَدٌ
٤٩٤	لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أُصِيبَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا
٤٥٩	لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، أَتَى بِأَسَارَى، وَأُتِيَ بِالْعَبَّاسِ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثَوْبٌ
٣٢٣	لَمَّا نَزَلَتْ بِ ب ب ب چ چ كان إذا قتل بنو النضير من بني قريظة
٥٣٣	اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ
٥٠٣	اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرَبْتُ خَيْبَرَ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ
٥٦٢	اللَّهُ اللَّهُ فِي قَبْطِ مِصْرَ، فَإِنَّكُمْ سَتُظْهِرُونَ عَلَيْهِمْ وَيَكُونُوا لَكُمْ
٢٦٦	لهؤلاء عهد ، ففوا بعهدهم ما وفوا لكم
٤٠٢	اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

الصفحة	طرف الحديث
٤٠٩ ، ٤٠٧ ، ٤٠١	اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ،
٤٤٢	اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ
٤٠٠	اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ
٣٩٩ ، ٢٥	اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأَتِ بِهِمْ
٤٠٩ ، ٤٠٨	اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ
٤٠٩ ، ٤٠٦ ، ٤٠١ ، ٤٠٩	اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ
٣٤٣	لو سمعته لقتلته
٤٥٩ ، ٣٧٤ ، ٢٦٢	لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتَنِ
٥٠٤	لَوْلَا آخِرُ الْمُسْلِمِينَ مَا فَتَحْتُ قَرْيَةً إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ أَهْلِهَا، كَمَا قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْرَ
٤٤	ليس بيننا وبين أهل حربنا ربا
٧٥	ليس لأهل الذمة في شيء من الواجب حق
حرف الميم	
٣١٦ ، ٣١٠ ، ٣٠٣	الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُوا دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ
١١٣	مَا أُمْسَى عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ صَاعٌ بُرٌّ
٢٨١	ما بال الخلفاء الراشدين تركوا أهل الذمة وما هم عليه من نكاح المحارم ، واقتناء الخمر والخنازير ؟
٥٨٧	مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ
٣١٧	مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ
٥٣٤	مَا حَمَلَكُمْ عَلَى قَتْلِ الذَّرِيَّةِ ؟
٦٢٠	ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات، فلما مات تبين

الصفحة	طرف الحديث
	له أنه عدو الله، فلم يستغفر
٥٧٥ ، ٢٩٧	مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُنِي
٥٠٢	مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا، مَا مِنْ نَسَمَةٍ كَائِنَةٍ إِلَّا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَهِيَ كَائِنَةٌ .
٢٥٤ ، ٤٥٧ ، ٤٦٠ ، ٥٨٨	مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟
٤٣٩	مَا قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمًا حَتَّى يَدْعُوهُمْ
٤٧٨	مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتَلَ
٣٦٥	مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا
٥٥١ ، ٥٣٤ ، ٢١٩	مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ
١٣٢	ما نصارى العرب بأهل كتاب، ولا تحلُّ لنا ذبائهم .
٢٥١	الْمَدِينَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا، فَمَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا
٤٢٢	الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ مُخَالِطًا النَّاسَ
٢٥٩	الْمُسْلِمُ لَا يَنْجُسُ
٤٠١ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩	مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى
٨١ ، ٨٠	من أسلم على شيء فهو له
٢٧٦	مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ ؟
٣٠٢	من أي أهل الكتاب أنت ؟
٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ٩١	مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ

الصفحة	طرف الحديث
٤٣	من حبس العنب أيام القطاف حتى يبيعه من يهودي أو نصراني
٥٢٢	مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا مُتَعَمِّدًا فَهُوَ كَمَا قَالَ
٥٢٢	من حلف على يمين فهو كما قال ، إن قال : إني يهودي فهو يهودي
٤٨٩	من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ، أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟
٣٤٣	من سبَّ الله أو رسوله أو أحداً من أنبيائه فاقتلوه
١١٨	من شارك ذمياً فتواضع له إذا كان يوم القيامة ضرب بينهما وادٍ من نار
٣٦٤	من صافح يهودياً أو نصرانياً فليتوضأ وليغسل يده
٣٧٥	مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ
٤٤٢	مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
٢٦٧	مَنْ قَتَلَ مُعَاهِداً فِي غَيْرِ كُنْهٍ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ
٣١ ، ٢٦٧ ، ٢٨٩ ، ٥٧٣ ، ٣٧٩	مَنْ قَتَلَ مُعَاهِداً لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوَجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا
٤٢٥	مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَجْلِسُ عَلَى مَائِدَةٍ يُدَارُ عَلَيْهَا بِالْخَمْرِ
٣٨٤ ، ٣٨٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١	مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ
٣٧٥	مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ
٤١٤ ، ٣٤١	مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ

الصفحة	طرف الحديث
٥٦١	من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي، سلام عليك
٤٩٠	مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ؟
٢٤ ، ٢٩٧ ، ٣٥٤ ، ٥٦٤ ، ٤١٠	مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ
حرف النون	
٣٣٧	فَإِنَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ التَّحْسُسِ
٣٦٤	نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَصَافَحَ الْمُشْرِكُونَ أَوْ يَكْنُزُوا ، أَوْ يَرْحَبَ بِهِمْ
٥٣٢	نَهَى أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ
٥٣٦	النَّبِيُّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ ، وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ
٥٤٤	نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الدَّوَاءِ الْخَبِيثِ يَعْنِي السُّمَّ
٦١١	نَعَمْ قُومُوا لَهَا ، فَإِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَقُومُونَ لَهَا إِنَّمَا تَقُومُونَ إِعْظَامًا
حرف الهاء	
٥٣٦	الهاالك في الفترة، والمعنوه، والمولود، قال: يقول الهاالك في الفترة لم يأتني كتاب ولا رسول
٣٨١	هَذَا الْحَقُّ وَبِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ
٤٢٠	هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ
٤٧٢	هذا كتاب من محمد النبي رسول الله، بين المؤمنين والمسلمين ، من قریش، وأهل يثرب ومن تبعهم
٢٧٨	هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من

الصفحة	طرف الحديث
	الأمان
٤٥٠	هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ
٤٧	هل تصارعني على ثلث غنمي
٤٢	هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَهَا ؟
٩٣	هل كنتم تسخرون العجم ؟
٥٣٥	هم خدم أهل الجنة
٥٨	هم زمني أهل الكتاب
حرف الواو	
٥٥٧ ، ٥٤٩	وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ
٥١٤	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا
٤٦١	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَضْرِبُوهُ إِذَا صَدَقَكُمْ، وَتَتْرُكُوهُ إِذَا كَذَبَكُمْ
٦٩	والذي نفسي بيده ما من رجل يسألني المسألة، فتخرج له المسألة
٨٣	وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ
٤٦٧	وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي
٧٠	وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه، وضعفت قوته
٢٩٩	وانظر مَنْ قبلك من أهل الذمة مَنْ قد كبرت سنه
٦٠٧	وصلتك رحم وجزيت خيراً يا عم
٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣٢٥ ،	وفي النفس المؤمنة، مائة من الإبل

الصفحة	طرف الحديث
٣٧٦	وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ
٩١	ولا تستعن في أمرٍ من أمور المسلمين بمشرك، وساعد على مصالح المسلمين بنفسك
٤٣٨ ، ٧٤	وَلَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ
١٨٦	ولدت من نكاح لا من سفاح
١٩٨	وَلَمْ يَبْلُغْنَا أَنْ امْرَأَةً هَاجَرَتْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَزَوَّجَهَا كَافِرٌ مُقِيمٌ بِدَارِ الْكُفْرِ إِلَّا فَرَّقَتْ هِجْرَتُهَا
٥٨٠	ولنجران وحاشيتها ذمة الله، وذمة رسوله على دمائهم
١٠٠	وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ
٤١٢	وَمَا نِيلَ مِنْهُ ﷺ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ
٣٧٥	وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ
٨٠	وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مَنْزِلًا
٢٩١	وَيُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ
٢٢٥	وَيَحْكُ إِنَّ شَأْنَهَا شَدِيدٌ ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبْلِ تُؤَدِّي صَدَقَتَهَا
حرف الياء	
٥١٢	لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ
٢٧٤	يا أمير المؤمنين ، هذا مقام العائذ بك
٢٧٠	يا أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد
٥٤٩	يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا
٥٩٠	يا حصين إن أبي وأباك في النار . يا حصين كم من إليه

الصفحة	طرف الحديث
	تعبد اليوم ؟
٤٠٤	يا رسول الله إن من آبائنا من كان يحسن الجوار
٢٢٧	يا رسول الله إنهم يزعمون أن من لم يهاجر هلك
١٨٩	يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَتَحْتِي أُخْتَانِ
٤٥٨	يا عائشة أين الأسير ؟
٤٢	يا عامر أما علمت أنها قد حرمت بعدك
٢٩٣	يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي
٦١٩	يا عم إنك أعظم الناس علي حقاً، وأحسنهم عندي يداً
٢٦٤	يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر
٦٥ ، ٥٦	يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ
٥٢٨	يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ وَكِتَابُكُمْ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ أَحَدْتُ
٣٨٠	يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ أَنْتُمْ أَبْعَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ، قَتَلْتُمْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ
٥٠٩	يا معشر يهود أسلموا تسلموا ، فوالله إنكم لتعلمون أني رسول الله
١٥٤	يَا مُغِيرَةَ خُذْ الْإِدَاوَةَ
٢٢١	يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا أَتَيْتَكَ حَتَّى حَلَفْتُ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِهِنَّ - لِأَصَابِعِ يَدَيْهِ - أَلَا آتَيْتَكَ
٥٧٠	يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا

٣- فهرس المصادر والمراجع

- ١) الابتلاءات أساليب الكفرة في محاربة الدعوة في عصر النبوة، لعمود المطر، طبعة دار طويق .
- ٢) الإتهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، لعلي بن عبد الكافي السبكي ، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- ٣) الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي.
- ٤) آثار الحرب في الفقه الإسلامي د. وهبة الزحيلي، الطبعة الثالثة ، دار الفكر بدمشق .
- ٥) أثر إسلام أحد الزوجين في النكاح د. محمد أبو فارس، دار الوطن .
- ٦) الإجماع ما أجمع عليه الفقهاء من الأحكام الفقهية للإمام ابن المنذر النيسابوري محمد بن إبراهيم ، دار طيبة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ.
- ٧) الإجماع، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، جمع وترتيب: فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب، وعبد الوهاب بن ظافر الشهري، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ٨) الأحاديث الواردة في أحكام النصارى والنصرانية، ناصر بن عبد الله عوده، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين بالجامعة الأردنية (مخطوط).
- ٩) الأحاديث والآثار الواردة في (أحكام القرآن) للكيما الهراسي- تخريجاً ودراسة من الآية (٦٥) من سورة التوبة إلى آخر الكتاب، لعبد الرحمن بن عبد العزيز العقل .
- ١٠) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ، قدّم له وضبط نصه: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

- (١١) أحكام الأحوال الشخصية للمسلمين في الغرب لسالم بن عبد الغني الرافعي .
- (١٢) أحكام التعامل بالربا بين المسلمين وغير المسلمين في ظل العلاقات الدولية المعاصرة، د. نزيه حماد، طبعة مكتبة دار الوفاء .
- (١٣) أحكام الحرب والسلام في دولة الإسلام، د. إحسان الهندي، طبعة دار النمير.
- (١٤) أحكام الذبائح في الإسلام، د. محمد عبد القادر أبو فارس، طبعة مكتبة المنار
- (١٥) أحكام الذميين والمستأمنين، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
- (١٦) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي، طبعة دار الكتب العلمية .
- (١٧) الأحكام السلطانية، لأبي يعلى الفراء، طبعة مصطفى الباوي، الطبعة الثانية .
- (١٨) إحكام الفصول في أحكام الأصول، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي ، حققه وقدم له ووضع فهرسه: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
- (١٩) أحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله ، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق ، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٠ هـ.
- (٢٠) أحكام القرآن، للإمام أبي بكر أحمد بن علي الجصاص الرازي، مراجعة: صدقي محمد جميل، المكتبة التجارية، مكة المكرمة ١٤١٣هـ.
- (٢١) أحكام القرآن، للإمام أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ.

- (٢٢) أحكام المال الحرام وضوابط الانتفاع والتصدق به في الفقه الإسلامي، د. عباس الباز، طبعة دار النفائس.
- (٢٣) أحكام المعاملات المالية بين البلاد الإسلامية وغيرها د. نواف هائل تكرروري، طبعة دار الشهاب.
- (٢٤) أحكام الوصايا في الفقه الإسلامي، د. علي الربيعة، طبعة دار اللواء.
- (٢٥) أحكام أهل الذمة، لابن القيم، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٢٦) أحكام أهل الملل للخلال
- (٢٧) الإحكام في أصول الأحكام، لعلي بن محمد الآمدي، علق عليه: العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
- (٢٨) الإحكام في أصول الأحكام، للإمام الجليل أبي محمد علي بن أحمد ابن سعيد بن حزم الظاهري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- (٢٩) أحكام نكاح الكفار على المذاهب الأربعة، لحميضي بن عبد العزيز الحميضي، طبعة دار الحميضي.
- (٣٠) اختلاف الدارين وآثاره في أحكام الشريعة الإسلامية، أ.د عبد العزيز الأحمدي، طبعة عمادة البحث العلمي
- (٣١) اختلاف الدين وأثره في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراة، جامعة الامام ١٤١٥هـ ، د.عبد الله المطرودي (مخطوط)
- (٣٢) اختلاف الفقهاء للطبري، نشر يوسف شخت، ١٩٣٣م.
- (٣٣) أخلاق النبي ﷺ للحافظ أبي محمد جعفر بن حيان الأصبهاني ، تحقيق د . السيد الجميلي ، بيروت ، ط الثالثة ١٤٠٩ هـ
- (٣٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح، توزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية، الرياض، ١٩٧٧م.

- (٣٥) الأذكار، للنووي، وبذيله : تحفة الأبرار بنكت الأذكار لابن حجر، للسيوطي، مكتبة المؤيد.
- (٣٦) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للإمام محمد بن علي ابن محمد الشوكاني ، إعداد: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .
- (٣٧) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني، دار المعرفة، بيروت.
- (٣٨) إرشاد أولي الألباب إلى ما صح من معاملة أهل الكتاب، لجمال محمد إسماعيل، دار المعراج
- (٣٩) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني بإشراف: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
- (٤٠) الاستذكار لابن عبد البر، دار قتيبة، دمشق/ بيروت، ودار الوعي ، حلب، ١٩٩٣م.
- (٤١) الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، لعبد الله الطريقي، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٧هـ، وإذن وزارة الإعلام ١٤٠٧هـ، الطبعة الأولى.
- (٤٢) الاستقامة، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن عبدالسلام بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ
- (٤٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، دار الجليل.
- (٤٤) أسد الغابة في تمييز الصحابة، للإمام أبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير ، دار المعارف، بيروت، ١٩٩٧م.
- (٤٥) الاسرائليات والموضوعات في كتب التفسير د- محمد أبو شهبة، مكتبة السنة.

- (٤٦) الإسرائيليات في التفسير والحديث ، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة.
- (٤٧) إسلام أحد الزوجين ، ومدى تأثيره على عقد النكاح، لعبد الله الجديع، طبعة مؤسسة الريان .
- (٤٨) الإسلام وغير المسلمين ، د. الزحيلي ، طبعة دار المكني .
- (٤٩) أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب ، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق: محمد درويش الحوت ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ
- (٥٠) الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، للشيخ زين العابدين ابن إبراهيم بن نجيم ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.
- (٥١) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، للإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٢٢ هـ.
- (٥٢) أصول السرخسي، لأبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي ، حقق أصوله: أبو الوفاء الأفعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.
- (٥٣) أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني لعثمان جمعة ضميرية
- (٥٤) الاضطرار إلى الأطعمة والأدوية المحرمة، د. عبد الله الطريقي، طبعة مكتبة المعارف.
- (٥٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، طبع على نفقة الأمير أحمد بن عبد العزيز آل سعود، ١٤٠٣ هـ.

- (٥٦) الأطعمة والذبائح في الفقه الإسلامي، د. محمد عبد الهادي، طبعة دار الاعتصام.
- (٥٧) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين في فروع الفقه الشافعي، لأبي بكر بن السيد محمد شطا الدمياطي الشافعي، الشهير بالبكري، دار الفكر، بيروت.
- (٥٨) الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار ، لأبي بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الهمداني ، تحقيق: راتب حاكمي ، الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ
- (٥٩) الاعتصام، للعلامة إبراهيم بن محمد بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ، ، علق عليه: محمود طعمه حلبي، دار المعرفة، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ .
- (٦٠) إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية ، دار الجليل ، ١٩٧٣م.
- (٦١) الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م.
- (٦٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، للوزير عون الدين أبي المظفر يحيى ابن محمد بن هبيرة الحنبلي ، مطبعة المؤسسة السعيدية بالرياض.
- (٦٣) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، الناشر : مطبعة السنة المحمدية - القاهرة، الطبعة الثانية ، ١٣٦٩
- (٦٤) الأقليات غير المسلمة في المجتمع الإسلامي، تأليف: دندل جبر، دار عمار
- (٦٥) الإقناع في مسائل الإجماع، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن القطان الفاسي ، دراسة وتحقيق وشرح: د. فاروق حمادة، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- (٦٦) الإقناع للشريبي
- (٦٧) الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي، طبعة دار المعرفة ، بيروت ، لبنان

- (٦٨) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المجل
أحمد بن حنبل، للعلامة الفقيه المحقق علاء الدين أبي الحسن علي ابن
سليمان المرادوي الحنبلي، صححه وحققه: محمد حامد الفقي ، دار إحياء
التراث العربي ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.
- (٦٩) الأنكحة الفاسدة والمنهي عنها في الشريعة الإسلامية، د. أمير عجمد
العزیز، طبعة مكتبة الأقصى.
- (٧٠) أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، حسن الممي، دار الغرب الإسلامي.
- (٧١) أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي والأيوبي، د. سلام شافعي، طبعة دار
المعارف.
- (٧٢) أهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي، لنمر محمد النمر، طبعة
المكتبة الإسلامية.
- (٧٣) أهمية الجهاد، د. علي العلياني، طبعة دار طيبة.
- (٧٤) إيقاظ الهمم المتتقى من جامع العلوم والحكم، لأبي أسامة سليم الهاللي،
دار ابن الجوزي
- (٧٥) البحر الرائق شرح كتر الدقائق، للزيلعي، الطبعة الأولى، الأميرية ببولاق
مصر المحمية.
- (٧٦) البحر الزخار المعوف بمسند البزار، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت.
- (٧٧) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للإمام علاء الدين أبي بكر ابن
مسعود الكاساني الحنفي، تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض،
والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى
١٤١٨هـ .
- (٧٨) بدائع الفوائد، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي ابن القيم،
طبعة دار الكتاب العربي، بيروت.
- (٧٩) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد ، الطبعة التاسعة، لدار المعرفة
بيروت.

- (٨٠) البداية والنهاية، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي
الدمشقي الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف، بيروت.
- (٨١) البشارات العجاف في صف أهل الكتاب، د. صلاح الراشد، طبعة دار
ابن حزم.
- (٨٢) التاج والإكليل على شرح العلامة خليل، لأبي عبدالله محمد بن يوسف
المواق الطبعة الثانية ، ١٣٩٨م.
- (٨٣) التاريخ الباهر في الدولة الأتابيكية، للجزري، دار الكتب الحديثة.
- (٨٤) تاريخ الثقات للإمام أحمد بن عبد الله العجلي ، ترتيب الحافظ نور
الدين الهيتمي ، تحقيق الدكتور / عبد المعطي قلعجي ، الناشر : دار الكتب
العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ
- (٨٥) التاريخ الكبير ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: السيد هاشم
الندوي، طبعة دار الفكر.
- (٨٦) تاريخ أهل الذمة في العراق ، توفيق سلطان
- (٨٧) تاريخ دمشق، للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر
، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- (٨٨) تاريخ واسط أسلم بن سهل الرزاز المعروف ببشئل تحقيق: كوركيس
عواد، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ
- (٨٩) تبصير المسلمين لغيرهم بالإسلام أحكامه وضوابطه وآدابه، أ. د. وهبة
الزحيلي، طبعة دار المكتبي.
- (٩٠) التبيان في تخريج وتبويب أحاديث بلوغ المرام وبيان ما ورد في الباب،
خالد الشلاحي، طبعة مؤسسة الرسالة .
- (٩١) تبين الحقائق بشرح كثر الدقائق، للزيلعي، مصر، ١٣١٥هـ .
- (٩٢) تحرير الأحكام
- (٩٣) تحرير ألفاظ التنبيه أو لغة الفقه، للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي
، تحقيق: عبد الغني الدقر ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ

- (٩٤) تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب ، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، تحقيق: عبد الغني بن حميد بن محمود الكيسي ، دار حراء ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ
- (٩٥) تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج ، لابن الملتن ، تحقيق: عبد الله بن سعاف اللحاني ، دار حراء ، مكة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ
- (٩٦) التحقيق في أحاديث الخلاف، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي .
- (٩٧) تحية السلام في الإسلام أحكام وآداب، للدكتور عبد الله محمد الطريقي
- (٩٨) تخريج فقه السيرة للألباني، الطبعة السابعة.
- (٩٩) التسامح في الإسلام ، زيد الزيد
- (١٠٠) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الغرناطي، لابن جزي الغرناطي، مطبعة حسان.
- (١٠١) التشبه المنهي عنه في الفقه الإسلامي، لجميل اللويحق، دار الأندلس الخضراء.
- (١٠٢) التشريع الجنائي الإسلامي، لعبد القادر عودة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ
- (١٠٣) التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة، لسورحن هدايات، طبعة دار السلام.
- (١٠٤) تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق : د. إكرام الله إمداد الحق، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى
- (١٠٥) التعريفات، للسيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.
- (١٠٦) تعليق التعليق على صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر السعقلاني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ

- (١٠٧) تفسير ابن جرير "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الناشر: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٨٨هـ.
- (١٠٨) تفسير البحر المحيط، لابن حيان الأندلسي، ط ١، ١٣٢٨هـ، مطبعة دار السعادة، بجوار محافظة مصر.
- (١٠٩) تفسير البيضاوي، المسمى أنوار التزليل وأسرار التأويل لأبي سعيد البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
- (١١٠) تفسير الرازي، المسمى مفاتيح الغيب، المطبعة البهية المصرية، لعبد الرحمن محمد.
- (١١١) تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م
- (١١٢) تفسير القرآن العظيم للمراغي
- (١١٣) تفسير مجاهد، للإمام أبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي، المكي، المخزوعي، المنشورات العلمية، الطبعة الأولى
- (١١٤) تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦
- (١١٥) التلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، للإمام الحافظ أحمد ابن علي بن حجر الهيثمي العسقلاني طبعة المدينة المنورة، ١٣٨هـ، طبعة دار المعرفة، بيروت.
- (١١٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد تأليف عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، الناشر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٢هـ

- (١١٧) التنبيه على ما وجب من إخراج اليهود من جزيرة العرب، لصارم الدين إبراهيم الكوكباني، دار الراية.
- (١١٨) تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي
- (١١٩) تهذيب التهذيب للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف ، حيدر آباد ، الهند ، الطبعة الأولى
- (١٢٠) تهذيب الفروق والقواعد السنيّة في الأسرار الفقهية، للعلامة محمد علي ابن حسين المكي المالكي، ضبطه وصححه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- (١٢١) تهذيب الكمال، للحافظ أبي الحجاج يوسف بن زكي الدين عبد الرحمن بن يوسف القضاعي المزي ، تحقيق: د.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
- (١٢٢) توجيهات وذكرى : د. صالح بن حميد . ط مكتبة الضياء
- (١٢٣) توضيح أوجه اختلاف الأقوال في مسائل من معاملات الأموال، للشيخ عبد الله بن بيه، طبعة دار ابن حزم.
- (١٢٤) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر : مؤسسة الرسالة.
- (١٢٥) جامع الأصول ، من أحاديث الرسول ﷺ ، لابن الأثير .
- (١٢٦) جامع التحصيل للعلائي ، في أحكام المراسيل ، الحافظ صلاح الدين أبي سعيد بن خليل بن كيكليدي العلائي ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ هـ
- (١٢٧) جامع الترمذي، لإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ابن موسى الترمذي ، بإشراف ومراجعة: فضيلة الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع،

- الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.
- (١٢٨) الجامع الصغير للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (١٢٩) جامع العلوم والحكم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
- (١٣٠) الجامع لأحكام القرآن، للعلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح القرطبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ.
- (١٣١) الجامع لشعب الإيمان، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مكتبة الرشد.
- (١٣٢) الجرح والتعديل، للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ.
- (١٣٣) الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، تحقيق: زياد محمد منصور، المملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية بالمدينة، المجلس العلمي، إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
- (١٣٤) الجهاد في التشريع الإسلامي، محمود محمد علي
- (١٣٥) حاشية ابن عابدين، لمحمد أمين بن عمر الشهير بابن عابدين، دار الفكر، ١٤١٥هـ.
- (١٣٦) حاشية البجيرمي على شرح المنهج - لسليمان بن عمر البجيرمي - المكتبة الإسلامية - تركيا.
- (١٣٧) حاشية الشرقاوي على شرح التحرير، للشرقاوي، المطبعة السنية ١٣٠٩هـ.
- (١٣٨) حاشية الصاوي على الشرح الصغير
- (١٣٩) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح
- (١٤٠) حاشية القليوبي على شرح المحلى لمنهاج الطالبين، للقليوبي، طبعة دار الفكر ببيروت.

- (١٤١) حاشية سعدي جلبي، دار الفكر.
- (١٤٢) حاشية عميرة، للشيخ عميرة/ طبعة دار إحياء الكتب العربية.
- (١٤٣) الحجة البالغة للدهلوي
- (١٤٤) حضارة العرب ، غوستاف لوبون
- (١٤٥) حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، أ.د شوكت محمد عليان.
- (١٤٦) حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية، د. علي الطيار، طبعة مكتبة الملك فهد الوطنية.
- (١٤٧) حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام، أ.د. صالح العايد، طبعة دار اشبيليا.
- (١٤٨) حكم دخول غير المسلمين للمساجد في ضوء الآيات التي تحدثت عن ذلك، د. عبد الله الشنقيطي، طبعة دار العلوم والحكم.
- (١٤٩) الحوار مع أهل الكتاب، لخالد بن عبد الله القاسم، طبعة دار المسلم.
- (١٥٠) حوار مع أهل الكتاب، لمحمد عبد الرحيم، طبعة مكتبة الملك فهد الوطنية
- (١٥١) حوارات مع أوروبيين غير مسلمين، د. عبد الله الأهدل، طبعة دار القلم.
- (١٥٢) حواشي الشرواني وابن القاسم العبادي على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، للشيخ عبد الحميد الشرواني، والشيخ أحمد بن قاسم العبادي.
- (١٥٣) حياة محمد ﷺ لحسين هيكل
- (١٥٤) كتاب الخراج لأبي يوسف صاحب أبي حنيفة يعقوب بن إبراهيم بن حبيب ، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم باشا ، دار الإصلاح .
- (١٥٥) خصائص جزيرة العرب، لبكر أبو زيد، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ —، دار ابن الجوزي، الدمام
- (١٥٦) الدر المختار شرح تنوير الأبصار، للحصكفي، طبعة دار الكتب العلمية.
- (١٥٧) الدراري المضية شرح الدرر البهية ، محمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨ هـ —
- (١٥٨) الدراية في تخريج أحاديث الهداية ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق: عبد الله هاشم اليماني ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة

- (١٥٩) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، جمع عبد الرحمن بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي ، دار العربية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ١٣٩٨ هـ
- (١٦٠) الدعوة الإسلامية وغير المسلمين : د. الزحيلي . ط دار المكتبي
- (١٦١) الدعوة إلى الإسلام ، توماس آرنولد
- (١٦٢) دعوة أهل الكتاب إلى دين رب العباد، لسعيد عبد العظيم، طبعة دار العقيدة للتراث.
- (١٦٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية ، للدكتور: سليمان بن عبد الله بن صالح الرومي ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ
- (١٦٤) الدعوة والجهاد في العهد النبوي، د. علي الطيار، طبعة مكتبة الملك فهد الوطنية.
- (١٦٥) دلائل النبوة أبي بكر أحمد الحسين البيهقي ، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعي ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ .
- (١٦٦) دلائل النبوة للحافظ أبي نعيم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق : محمد محمد الحداد ، الناشر : دار طيبة - الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩
- (١٦٧) الربا والقرض في الفقه الإسلامي د. أبو سريع ، محمد عبد الهادي
- (١٦٨) الرد على سير الأوزاعي
- (١٦٩) رسوخ الأخبار في منسوخ الأخبار لأبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعري ، تحقيق: حسن محمد مقبول الأهدل، مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ
- (١٧٠) روح الدين الإسلامي، لعبد الفتاح طبارة
- (١٧١) روح المعاني للألوسي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (١٧٢) الروض المربع شرح زاد المستقنع، مختصر المقنع، منصور بن يونس البهوتي، طبعة مكتبة الطالب الجامعي.

- (١٧٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء للإمام أبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ.
- (١٧٤) روضة الناظر وجنة المناظر، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة، قدم له ووضح غوامضه وخرج شواهده: د. شعبان محمد إسماعيل، المكتبة المكية، مكة، والمكتبة التدمرية، الرياض، ومؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.
- (١٧٥) زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ.
- (١٧٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام العلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الرابعة عشر، ١٤٠٧ هـ.
- (١٧٧) الزهد، هناد بن السري الكوفي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.
- (١٧٨) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، للإمام محمد ابن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني، صححه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه: فواز أحمد زمرلي، وإبراهيم محمد الجمل، دار الريان للتراث، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ.
- (١٧٩) سلسلة الأحاديث الصحيحة، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض ١٤١٥ هـ.
- (١٨٠) سلسلة الأحاديث الضعيفة، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٠ هـ.
- (١٨١) السلوك، أثره في الدعوة إلى الله، فضل إلهي،

- (١٨٢) سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين ، د . عبد الله اللحيدان، دار الحضارة.
- (١٨٣) سنن ابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد الربعي ابن ماجه القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر : دار الفكر
- (١٨٤) سنن أبي داود ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- (١٨٥) سنن الدارقطني للإمام علي بن عمر الدارقطني ، تحقيق عبد الله هاشم يماني ، الناشر : دار المحاسن ، القاهرة .
- (١٨٦) السنن الكبرى للإمام أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي ، الناشر : دار المعرفة ، بيروت ، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف ، الهند ، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٤هـ
- (١٨٧) سنن النسائي أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ - ١٩٨٦
- (١٨٨) سنن النسائي الكبرى، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب ابن علي النسائي ، تحقيق: الدكتور عبدالغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- (١٨٩) سنن سعيد بن منصور، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥
- (١٩٠) كتاب السنة، للحافظ أحمد بن عمرو الشيباني تحقيق: محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٢٦هـ.
- (١٩١) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الناشر : دار المعرفة ، بيروت ، لبنان
- (١٩٢) سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان

- الذهبي، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة ١٤٠٩هـ.
- (١٩٣) السيرة الحلبية، للحلي، ط ١٣٨٢هـ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة.
- (١٩٤) السيرة النبوية لابن هشام، مكتبة المنار ، ١٤٠٩هـ.
- (١٩٥) السيل الجرّار المتدفق على حدائق الأزهار ، شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥ هـ
- (١٩٦) شرح الخرشي على مختصر سيدي خليل، للخرشي، طبعة دار صادر بيروت.
- (١٩٧) شرح الزركشي، على مختصر الخرقى، الطبعة الأولى ، شركة العبيكان، ١٤١٠هـ
- (١٩٨) شرح السنة، للبغوي، تحقيق: زهير الشاويش نشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧١م.
- (١٩٩) شرح السّير الكبير، طبعة الجامعة، تعليق الشيخ: محمد أبو زهرة، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية.
- (٢٠٠) شرح الشفا في شمائل صاحب الاصفاء ، لنور الدين القاري
- (٢٠١) الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب مالك، لأبي البركات أحمد بن محمد الدردير، وبهامشه حاشية الشيخ أحمد محمد العناوي المالكي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م.
- (٢٠٢) شرح اللمع، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، حققه، وقدم له ووضع فهارسه: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- (٢٠٣) شرح صحيح البخاري ، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، ابن بطلال ، تحقيق: ياسر بن محمد إبراهيم ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ

- (٢٠٤) شرح صحيح مسلم للنووي، دار مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٠٣هـ—، بيروت.
- (٢٠٥) شرح فتح القدير، لكامل الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، المعروف بابن الهمام الحنفي، مكتبة مصطفى الباوي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٩هـ—.
- (٢٠٦) شرح مختصر الروضة، نجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبد القوي ابن عبد الكريم بن سعيد الطوفي، تحقيق: د. عبدالله ابن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ—.
- (٢٠٧) شرح منتهى الإرادات، للعلامة فقيه الحنابلة منصور بن يونس ابن إدريس البهوتي، مصححة من نسخة خطية محفوظة بدار الكتب الأزهرية، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
- (٢٠٨) شرح ميارة، لمحمد بن أحمد الفاسي المالكي
- (٢٠٩) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه
- (٢١٠) الصارم المسلول على شاتم الرسول، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
- (٢١١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ—
- (٢١٢) صحيح ابن حبان، للعلامة الحافظ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي أبي حاتم البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ—.
- (٢١٣) صحيح ابن خزيمة، تحقيق د. محمد الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي.
- (٢١٤) صحيح ابن خزيمة، للحافظ أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له: د. محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، الرياض،

الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

(٢١٥) صحيح البخاري، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم البخاري ، بإشراف ومراجعة: فضيلة الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.

(٢١٦) صحيح الجامع الصغير وزيادته، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .

(٢١٧) صحيح مسلم للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤هـ

(٢١٨) الضعفاء لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي ، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى .

(٢١٩) الضعفاء والمتروكين، للإمام أحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ.

(٢٢٠) الطبقات الكبرى، للإمام محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، المعروف بابن سعد دار صادر، بيروت ١٣٧٦هـ.

(٢٢١) الطبيب أدبه وفقهه، د. زهير السباعي ود. محمد البار، دار القلم والدار الشامية.

(٢٢٢) طرح التثريب في شرح التقريب ، لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم العراقي ، دار إحياء التراث العربي

(٢٢٣) الطلبة المسلمون في الغرب بين المخاطر والآمال، د. إبراهيم القعيد، طبعة مكتبة دار السلام.

(٢٢٤) عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي، لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، وضع حواشيه: جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية،

- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- (٢٢٥) العجّاب في بيان الأسباب ، لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الناشر : دار ابن الجوزي - الدمام ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧.
- (٢٢٦) العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين في الشريعة الإسلامية واليهودية والمسيحية، للدكتور/ بدران أبو العينين بدران، طبعة مؤسسة شباب الجامعة.
- (٢٢٧) العلاقات الدولية في الإسلام ، للدكتور وهبة الزحيلي .
- (٢٢٨) علل الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت
- (٢٢٩) علل الحديث تأليف محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، الناشر : دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ
- (٢٣٠) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق : خليل الميس ، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣
- (٢٣١) عمدة القاريء شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ بدر الدين محمود بن أحمد العيني ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (٢٣٢) كتاب عمل اليوم والليلة ، للإمام أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق: فاروق حمادة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦ هـ .
- (٢٣٣) العولمة والخصوصيات الثقافية، د. مصطفى مخدوم، طبعة دار المجتمع
- (٢٣٤) العولمة وخصائص دار الإسلام ودار الكفر، د. عابد السفياي، دار الفضيلة.
- (٢٣٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب شمس الحق محمد بن علي بن مقصود علي الصديقي العظيم آبادي ، دار الكتب العلمية، دار الفكر: ط١٣٩٩، ٣هـ.

- (٢٣٦) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى ، مرعي بن يوسف الحنبلي ، الطبعة الثانية ، منشورات المؤسسة السعدية ، الرياض
- (٢٣٧) غريب الحديث ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي .
- (٢٣٨) غريب الحديث ، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي ، تحقيق: سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى ، مركز البحث العلمي ، كلية الشريعة وأصول الدين ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ
- (٢٣٩) الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن عبد السلام بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ—)، تقديم: محمد عبدالقادر عطاء، ومصطفى عبد القادر عطاء، دار الريان، بيروت ١٤٠٨هـ.
- (٢٤٠) الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.
- (٢٤١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة السلفية التي حقق عدة أجزاء منها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز رحمه الله ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها: الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله .
- (٢٤٢) الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني ، أحمد عبد الرحمن البنا ، دار الشهاب ، القاهرة
- (٢٤٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الباز، مكة المكرمة.
- (٢٤٤) فتح القدير شرح الهداية، لابن الهمام، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.
- (٢٤٥) الفردوس بمأثور الخطاب، للدليمي تحقيق السعيد زغلول . ط دار الكتب العلمية

- (٢٤٦) الفروع من الكافي لأبي جعفر محمد بن إسحاق الرازي، طبعة دار صعب، ١٤٠١هـ.
- (٢٤٧) الفروق، للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي المشهور بالقراقي، عالم الكتب، بيروت، لبنان.
- (٢٤٨) فقه الاحتساب على غير المسلمين د. الطريقي، دار المسلم.
- (٢٤٩) فقه التعامل مع غير المسلمين، بحث في مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٧٠ لعام ١٤٢٤هـ، د. محمد بن عمر عتيق.
- (٢٥٠) فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة، للدكتور يوسف القرضاوي، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة ١٤٠٤هـ.
- (٢٥١) الفهرست لابن النديم، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- (٢٥٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمنياوي، دار الفكر، ط١، ١٣٩١هـ.
- (٢٥٣) القاموس المحيط، للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي الشيرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- (٢٥٤) قضايا فقهية في العلاقات الدولية حال الحرب، د. حسن أبو غدة، طبعة مكتبة العبيكان.
- (٢٥٥) قواطع الأدلة في الأصول لمحمد بن منصور السمعاني
- (٢٥٦) قواعد التعامل مع غير المسلمين، للمستشار سالم البهناوي، طبعة دار الوفاء.
- (٢٥٧) قواعد الحرب في الشريعة الإسلامية، لـ / عواض الوديني . ط مكتبة الرشد
- (٢٥٨) القول المبين في حكم المعاملة بين الأجانب والمسلمين، للشيخ محمد حسين مخلوف، طبعة مكتبة الحرمين.

- (٢٥٩) الكافي في فقه ابن حنبل، للإمام أبي محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي، (ت ٦٢٠هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.
- (٢٦٠) الكافي في فقه أهل المدينة، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.
- (٢٦١) الكامل في ضعفاء الرجال للحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي، تحقيق: يحيى بن مختار غزاوي دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.
- (٢٦٢) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار للحافظ أبي بكر ابن أبي شيبة، الناشر: الدار السلفية، الهند، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٩هـ.
- (٢٦٣) كشف القناع عن الإقناع، للعلامة منصور بن يونس البهوتي الحنبلي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبد الحميد، دار عالم الكتب ١٤٢٣هـ.
- (٢٦٤) الكشف عن حقائق التزويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، دار المعرفة، بيروت.
- (٢٦٥) كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٤هـ.
- (٢٦٦) كشف الخفاء ومزيل الألباس، عما اشتهر من الحديث على السنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ.
- (٢٦٧) كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، للإمام أبي بكر الحسيني الشافعي، الطبعة الثانية، دار المعرفة.
- (٢٦٨) الكفاية في علم الرواية، لأحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- (٢٦٩) الكنى والأسماء للعلامة أبي بشر محمد بن أحمد الدولابي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت

- (٢٧٠) كيف ندعو غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبد الله المطلق، طبعة دار الفضيلة.
- (٢٧١) لا سكوت بعد اليوم ، فندلي
- (٢٧٢) اللباب في الجمع بين السنة والكتاب، لعلي بن أبي يحيى زكريا الأنصاري
- (٢٧٣) اللباب في شرح الكتاب، للشيخ عبد الغني الدمشقي الميداني الحنفي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- (٢٧٤) لسان العرب، للإمام أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور المصري ، الناشر : دار صادر ، بيروت .
- (٢٧٥) لسان الميزان، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر الهيتمي العسقلاني ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- (٢٧٦) اللمعة الدمشقية، محمد بن جمال الدين المالكي، منشورات جامعة النجف الدينية، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ.
- (٢٧٧) مؤمنو أهل الكتاب ومكانتهم في الإسلام، د. عمرو فسيق الداعوق، طبعة دار البشائر الإسلامية.
- (٢٧٨) المبدع في شرح المقنع، لإبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي ، طبعة المكتب الإسلامي ١٣٩٤هـ .
- (٢٧٩) المبسوط لشمس الدين محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ط٣ ١٣٩٨هـ.
- (٢٨٠) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، لداماد، طبعة دار الطباعة العامة. ١٣١٦هـ
- (٢٨١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر ابن سليمان الهيتمي الشافعي ، الناشر : دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ

- (٢٨٢) المجموع شرح المذهب للإمام أبي زكريا النووي ، للإمام أبي زكريا حيي الدين ابن شرف النووي، حققه وعلق عليه وأكمّله بعد نقصانه: محمد نجيب المطيعي دار الفكر
- (٢٨٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين طبعة الرياض ١٤١٢هـ.
- (٢٨٤) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، للعلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز ، جمع وإشراف: محمد بن سعد الشويعر، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٣هـ.
- (٢٨٥) محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر بيروت ط٣، ١٣٩٨هـ.
- (٢٨٦) المحرر لأبي البركات
- (٢٨٧) المحصول في علم أصول الفقه، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: طه جابر فياض العلواني ، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ
- (٢٨٨) المحلى ، لابن حزم، طبعة دار التراث بمصر.
- (٢٨٩) المحلى شرح المحلى، للإمام الجليل أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الظاهري ، طبعة دار التراث ، بمصر .
- (٢٩٠) مخالفة الكفار في السنة النبوية، لعلي عجين، طبعة دار المعالي.
- (٢٩١) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ.
- (٢٩٢) مختصر أحكام أهل الذمة، لسليمان الخراشي، طبعة دار القلم.
- (٢٩٣) مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ، ومعالم السنن لأبي سليمان الخطابي ، تهذيب ابن القيم الحوزية ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، محمد حامد الفقهي دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- (٢٩٤) مختصر الصارم المسلول على شاتم الرسول، للإمام البعلي، تحقيق علي العمران، دار علم الفوائد
- (٢٩٥) مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله لابن القيم، لمحمد الموصلي، دار الكتب العربية، بيروت.
- المجروحين من المحدثين والمتروكين للإمام محمد بن حبان البستي ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، الناشر : دار الوعي ، حلب ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٩٦ هـ
- (٢٩٦) مجمع الأمثال أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (الميداني) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ١٣٩٣ هـ
- (٢٩٧) مداواة الرجل للمرأة ومداواة الكافر للمسلم، د. محمد علي البار، طبعة دار المنارة.
- (٢٩٨) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، عبد القادر بن بدران الدمشقي ، تحقيق: عبد الله ن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ
- (٢٩٩) المدونة الكبرى، لإمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي ، رواية الإمام سحنون بن سعيد التلوخي ، عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم العتقي ، عن مالك، مطبعة السعادة، مصر، ثم دار صادر، بيروت، أول طبعة ظهرت.
- (٣٠٠) المراسيل ، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق شعيب الأرناؤوط طبعة الرسالة .
- (٣٠١) مسائل الإمام أحمد بن حنبل برواية ابنه أبي الفضل صالح ، تحقيق: د: فضل الرحمن دين محمد ، الدار العلمية ، دلهي الهند ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ
- (٣٠٢) المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ .

- (٣٠٣) المستصفى في علم الأصول، لأبي حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- (٣٠٤) مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية، د. محمد بن عبد الله السحيم، دار الفرقان.
- (٣٠٥) مسند ابن الجعد، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن الجعد، دار الكتب العلمية.
- (٣٠٦) مسند أبي داود الطيالسي، لأبي داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.
- (٣٠٧) مسند أبي عوانة، للإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الاسفرائني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- (٣٠٨) مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق
- (٣٠٩) مسند أحمد بن حنبل، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة.
- (٣١٠) مسند الحميدي، عبد الله بن الزبير أبو بكر الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبى - بيروت
- (٣١١) المسودة في أصول الفقه، لآل تيمية: أبي البركات عبد السلام ابن تيمية، وولده أبي المحاسن عبد الحليم بن عبد السلام، وحفيده أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، حققه وضبط نصه وعلق عليه: د. أحمد بن إبراهيم بن عباس الذروي، دار الفضيلة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ
- (٣١٢) مقاع الصلبان ومراتع أهل الإيمان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق: محمد شامة.

- (٣١٣) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي ، تحقيق: البلعمشي أحمد يكن ، المملكة المغربية ، وزارة الشؤون الإسلامية.
- (٣١٤) مشكل الآثار، للحافظ أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي ، دار الكتب العلمية.
- (٣١٥) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة للحافظ أحمد بن أبي بكر البوصيري ، تحقيق محمد المنتقى الكشناوي ، الناشر : دار العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢هـ
- (٣١٦) المصباح المنير لابن الفيومي، طبعة المكتبة العملية، بيروت.
- (٣١٧) المصنف، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني الحميري، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
- (٣١٨) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، دار المعرفة، بيروت.
- (٣١٩) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، الشيخ مصطفى السيوطي، منشورات المكتب الإسلامي، بدمشق.
- (٣٢٠) المطلع على أبواب المقنع لأبي عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلي ، تحقيق: محمد بشير الأدلي ، المكتب الإسلامي بيروت ، لبنان ، ١٤٠١ هـ
- (٣٢١) مطبوعات إدارات البحوث العلمية ، بالمملكة العربية السعودية ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ
- (٣٢٢) معاملة غير المسلمين الحوار والتسامح في الإسلام شواهد من التاريخ، للدكتور محمد علي البار، طبعة دار القاسم، والدار الشامية.
- (٣٢٣) معاملة غير المسلمين في الإسلام، للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية.
- (٣٢٤) معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، إداور غالي الذهبي

- (٣٢٥) معاملة غير المسلمين في دولة الإسلام، د. إبراهيم سليمان عيسى ، دار المنار.
- (٣٢٦) المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني ، تحقيق: محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ
- (٣٢٧) معجم البلدان، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر، بيروت ١٤٠٤ هـ.
- (٣٢٨) المعجم الكبير للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي الناشر : مكتبة العلوم والحكم - الموصل ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ - ١٩٨٣
- (٣٢٩) معرفة علوم الحديث، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق : السيد معظم حسين ، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م
- (٣٣٠) معرفة السنن والآثار عن الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ
- (٣٣١) معوقات الجهاد عبد الله للعقلا
- (٣٣٢) المغازي للواقدي ، تحقيق: مارسدن جونز ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ
- (٣٣٣) المغني ، لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ
- (٣٣٤) المغني في الضعفاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق نور الدين عتر ، توزيع : المكتبة العلمية بالمدينة .
- (٣٣٥) مغني المحتاج إلى معاني ألفاظ المنهاج، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- (٣٣٦) المفردات في غريب القرآن تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي ، الناشر : دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ
- (٣٣٧) المقنع، في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني ، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، دار فواز للنشر ، السعودية الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ
- (٣٣٨) مكانة الدعوة إلى الله وأسس دعوة غير المسلمين، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
- (٣٣٩) مكاييد يهودية، لعبد الرحمن بن حسن الميداني، دار القلم
- (٣٤٠) من خطب المسجد الحرام توجيهات وذكرى، تأليف: صالح بن عبد الله بن حميد، دار التربية والتراث.
- (٣٤١) من روائع حضارتنا، لمصطفى السباعي، طبعة المكتب الإسلامي، طبعة دار الوراق، بيروت.
- (٣٤٢) منار السبيل ، إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان ، تحقيق: زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الخامسة ١٤٠٢ هـ
- (٣٤٣) المنتقى شرح موطأ الإمام مالك، للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف ابن سعد الباجي ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
- (٣٤٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام الحافظ محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، حقق أصوله وخرج أحاديثه على الكتب الستة ورقمه حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف: الشيخ خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، الطبعة الرابعة ١٤١٨ هـ.
- (٣٤٥) المذهب، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- (٣٤٦) الموافقات، لإبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، الناشر : دار المعرفة - بيروت

- (٣٤٧) كتاب الأموال تأليف أبو عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق خليل هراس ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط أولى ١٤٠٦هـ —
- (٣٤٨) كتاب الأموال لحميد بن زنجويه ، تحقيق شاكر فياض ، مركز الملك فيصل ، ط أولى ١٤٠٦هـ —
- (٣٤٩) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، لأبي عبد الله محمد بن محمد ابن عبد الرحمن المغربي المعروف بالخطاب ، ضبطه وخرّج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٦هـ.
- (٣٥٠) موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، سعيد أبو حبيب، إدارة إحياء التراث الإسلامي بقطر، طبعة عبد الله الأنصاري.
- (٣٥١) موسوعة الإجماع لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الله البوصي، طبعة دار البيان الحديثة.
- (٣٥٢) الموسوعة الفقهية : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ، الناشر : وزارة الأوقاف الكويتية.
- (٣٥٣) الموضوعات للإمام أبي الفرج ابن قيم الجوزي ، تحقيق عبد الرحمن عثمان ، الناشر : دار الفكر ، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ —
- (٣٥٤) موطأ الإمام مالك، للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
- (٣٥٥) ميزان الاعتدال للذهبي، دار المعرفة، بيروت.
- (٣٥٦) الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس ، تحقيق : د. محمد عبد السلام محمد، الناشر : مكتبة الفلاح — الكويت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ —
- (٣٥٧) ناسخ الحديث ومنسوخه لابن شاهين، دار الكتب العلمية.
- (٣٥٨) الناسخ والمنسوخ للكرمي، طبعة دار القرآن الكريم.
- (٣٥٩) نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، للإمام الحافظ جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي ، بعناية: إدارة المجلس العلمي

- مطبعة دار المأمون، الهند، الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ.
- (٣٦٠) النكت والعيون، للماوردي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.
- (٣٦١) النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ.
- (٣٦٢) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، للعلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني، طبعة دار الجليل ببيروت، لبنان.
- (٣٦٣) الهداية شرح بداية المبتدي، للمرغني، مع شرح فتح العدير، دار الفكر، الطبعة الثانية.
- (٣٦٤) الهدية بين الحلال والحرام، أحمد بن أحمد محمد عبد الله الطويل، طبعة دار المسلم.
- (٣٦٥) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، سنة ١٣٩٧هـ.
- (٣٦٦) قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية، لابن جزي المالكي، دار العلم للملايين.
- (٣٦٧) الوكالة في الفقه الإسلامي، طالب مقبل، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
- (٣٦٨) الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، للطحاني، الطبعة الأولى دار طيبة الرياض ١٤٠٤هـ.
- (٣٦٩) الولاء والعداء في علاقة المسلم بغير المسلم: د. عبد الله الطريقي. ط الجريسي
- (٣٧٠) اليهود في السنة المطهرة، د. عبد الله بن ناصر الشقاري، طبعة دار طيبة.
- (٣٧١) اليهود في القرآن والسنة بعض من أخلاقهم، د. محمد أديب الصالح، طبعة دار الهدى.
- (٣٧٢) اليهود، أ.د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين.

٤ - فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
١	مقدمة
٨	أهمية الموضوع
١٧	تمهيد
١٨	الفصل الأول : مفاهيم يجب أن تصحح في العلاقة مع غير المسلمين
١٨	أولاً : عدم التفريق بين محبة غير المسلم ومحبة الخير له .
١٩	ثانياً : اعتقاد أن البراءة من غير المسلمين تستلزم الغلظة في التعامل معهم.
٢٢	ثالثاً : اعتقاد بعض الناس جواز إهانة غير المسلمين وظلمهم، وتأخير حقوقهم
٢٣	وقفات هامة في التعامل مع غير المسلمين
٢٣	الوقفة الأولى
٢٣	الوقفة الثانية
٢٨	الوقفة الثالثة
٣٠	الفصل الثاني : أصناف غير المسلمين
٣٠	الصنف الأول: أهل الذمة
٣١	حقوق المسلمين على أهل الذمة
٣٣	الصنف الثاني : المستأمنون
٣٦	الصنف الثالث : الحربيون
٣٩	الباب الأول : التعامل مع غير المسلمين في الأموال والتجارة
٤٠	الفصل الأول: حكم التعامل مع غير المسلمين في البيع والشراء
٤٤	الفصل الثاني: حكم التعامل مع غير المسلمين بالمعاملات المالية المحرمة في الإسلام

الصفحة	الموضوع
٥٤	الفصل الثالث : حكم إعطاء غير المسلمين من مال الصدقة والزكاة
٥٥	المبحث الأول : حكم إعطاء غير المسلمين من مال الزكاة
٦٨	المبحث الثاني : حكم إعطاء غير المسلمين من غير مال الزكاة
٦٨	المسألة الأولى : حكم إعطاء غير المسلمين من أموال المصالح العامة.
٧٢	المسألة الثانية : حكم إعطاء غير المسلمين زكاة الفطر .
٧٥	المسألة الثالثة : حكم إعطاء صدقة التطوع لغير المسلمين .
٧٨	الفصل الرابع: حكم مال غير المسلم إذا أسلم
٨٣	الفصل الخامس: وكالة غير المسلم على مال المسلمين
٨٨	الفصل السادس : حكم استئجار المسلمين لغير المسلمين
٩٤	الفصل السابع: حكم استئجار غير المسلمين للمسلمين
٩٤	الصورة الأولى: استئجار غير المسلم مسلماً لعمل في الذمة
٩٧	الصورة الثانية: إجارة المسلم نفسه من غير المسلم ليعلمه
٩٩	الصورة الثالثة : إجارة المسلم نفسه لغير المسلم إجارة عين ولكن في غير الخدمة ، كالعمل الشهري أو الأسبوعي، في حراسة أو مدرسة
١٠٠	الصورة الرابعة: استئجار الكافر مسلماً لعمل محرم
١٠٢	الصورة الخامسة : استئجار غير المسلم مسلماً لعمل مباح
١٠٧	الفصل الثامن : حكم أموال الكفار على المسلم الذي استأمنه الكفار في ديارهم
١١١	الفصل التاسع : حكم المساواة والمزارعة مع غير المسلمين
١١٣	الفصل العاشر : حكم الرهن مع غير المسلمين
١١٥	الفصل الحادي عشر: حكم السلف مع غير المسلمين
١١٦	الفصل الثاني عشر: حكم الشفعة لغير المسلمين
١١٨	الفصل الثالث عشر: حكم الشركة مع غير المسلمين

الصفحة	الموضوع
١١٩	الباب الثاني : التعامل مع غير المسلمين في الأطعمة والزينة
١٢٠	الفصل الأول: الأكل من طعام غير المسلمين
١٢١	المبحث الأول: ما لا يحتاج إلى الزكاة
١٢٤	المبحث الثاني: ما يحتاج إلى الزكاة
١٢٤	المطلب الأول: حكم ذبائح أهل الكتاب .
١٢٤	المسألة الأولى : بيان الأصل في ذبائح أهل الكتاب
١٣٠	المسألة الثانية : في بيان حكم ذبائح نصارى بني تغلب، وكل دخيل في اليهودية والنصرانية من العرب .
١٣٣	المسألة الثالثة: في بيان حكم ذبائح أهل الكتاب الذين لم يذكروا اسم الله عليها
١٤٠	المسألة الرابعة : في بيان حكم شحوم ذبائح أهل الكتاب
١٤٥	المطلب الثاني : حكم ذبائح غير أهل الكتاب:
١٤٥	النوع الأول : ذبائح المجوس
١٥٠	النوع الثاني: ذبائح أهل الأوثان والدهرية وكل من لا يؤمن بالله ولا دين كالشيعيين
١٥٢	الفصل الثاني: استعمال آنية غير المسلمين
١٥٤	الفصل الثالث: استعمال لباس غير المسلمين
١٥٧	الباب الثالث : التعامل مع غير المسلمين في المناكحات
١٥٨	الفصل الأول: حكم نكاح الكافرة
١٥٩	المبحث الأول: نكاح الكتابية
١٥٩	المسألة الأولى : نكاح الكتابية المقيمة بدار الإسلام
١٦٣	المسألة الثانية : نكاح الكتابية المقيمة بدار الحرب .
١٦٩	المبحث الثاني : حكم نكاح المجوسية

الصفحة	الموضوع
١٧٤	المبحث الثالث : حكم نكاح المشتركة
١٧٦	الفصل الثاني: حكم تزوج المسلم بامرأة كافرة حبلى من الزنا
١٧٨	الفصل الثالث: حكم عقد المسلم على الكافرة التي سبق له أو لغيره الزنا بها
١٨١	الفصل الرابع: حكم نكاح الكتابي امرأة مسلمة
١٨٦	الفصل الخامس: حكم أنكحة الكفار إذا أسلموا
١٨٨	المبحث الأول: حكم الأنكحة التي تعقد بين الكفار
١٨٨	المبحث الثاني : حكم نكاح الزوجين الكافرين إذا أسلما معاً
١٩١	المبحث الثالث: حكم نكاح الزوجين الكافرين إذا أسلم أحدهما قبل الآخر
١٩١	المسألة الأولى : تقدم إسلام أحدهما على الآخر قبل الدخول
١٩٣	المسألة الثانية : تقدم إسلام أحدهما على الآخر بعد الدخول .
٢١٤	الفصل السادس: حضانة الولد إذا أسلم أحد الزوجين .
٢١٤	الباب الرابع : التعامل مع غير المسلمين في السكنى والإقامة
٢١٥	الفصل الأول: إقامة المسلم في بلاد غير المسلمين
٢١٧	الفصل الثاني : حكم دخول غير المسلمين جزيرة العرب
٢٣٢	المبحث الأول: في النصوص الواردة في المنع
٢٣٧	المبحث الثاني : حكم استيطان غير المسلمين جزيرة العرب.
٢٤٤	المبحث الثالث : حكم دخول غير المسلمين الحرم المكي .
٢٥١	المبحث الرابع : حكم دخول غير المسلمين الحرم المدني وسائر المساجد
٢٦١	الفصل الثالث: حكم دخول المسلم في حماية غير المسلم
٢٦٥	الفصل الرابع : تحريم ظلم المعاهدين وقتلهم
٢٦٩	الفصل الخامس : حقوق أهل الذمة في بلاد الإسلام

الصفحة	الموضوع
٢٦٩	أولاً : حقهم في حفظ كرامتهم الإنسانية
٢٧٥	ثانياً : حقهم في الحرية الدينية :
٢٨٢	ثالثاً: حقهم في العدل :
٢٨٩	رابعاً : حقهم في حفظ دمائهم وأموالهم وأعراضهم :
٢٩٥	خامساً : حقهم في المعاملة الحسنة :
٢٩٨	سادساً: حقهم في التكافل الاجتماعي
٣٠١	الباب الخامس : التعامل مع غير المسلمين في الجنايات والحدود
٣٠٢	الفصل الأول: جناية المسلم على غير المسلم عمداً
٣٠٦	الفصل الثاني: جناية المسلم على نفس غير المسلم خطأ
٣١٧	الفصل الثالث: إقامة حد الزنا على أهل الذمة .
٣١٩	الفصل الرابع: دية المعاهد الكتابي
٣٣٠	الفصل الخامس: دية المعاهد المجوسي وغيره من الكفار
٣٣٤	الفصل السادس: حكم إقامة حد الحراة على المستأمن
٣٣٧	الفصل السابع : حكم المستأمن إذا تجسس في دار الإسلام
٣٤٠	الفصل الثامن : حكم الذمي إذا سب النبي ﷺ
٣٤٤	الفصل التاسع : حكم قتل الساحر الذمي
٣٤٦	الباب السادس : التعامل مع غير المسلمين في جوانب الآداب والأخلاق
٣٤٧	الفصل الأول: السلام على غير المسلمين
٣٤٨	المبحث الأول: بدء غير المسلمين بالسلام
٣٥٣	المبحث الثاني: ردّ السلام على غير المسلمين
٣٥٦	المبحث الثالث: صيغة ردّ السلام على غير المسلمين
٣٦٠	المبحث الرابع : السلام على قوم أخلاط مسلمين وكفار
٣٦٢	المبحث الخامس : السلام على غير المسلمين في المكاتبات

الصفحة	الموضوع
٣٦٤	المبحث السادس : حكم مصافحة غير المسلمين
٣٦٦	الفصل الثاني: زيارة المريض غير المسلم وتعزيتة في ميته .
٣٦٧	المبحث الأول: حكم زيارة المريض غير المسلم
٣٧١	المبحث الثاني: حكم تعزية غير المسلم فيما أصابه
٣٧٣	الفصل الثالث: حفظ المعروف والفضل لمستحقه من غير المسلمين
٣٧٦	الفصل الرابع: قبول الحق ممن جاء به من غير المسلمين
٣٧٩	الفصل الخامس: إنصاف غير المسلمين
٣٨٢	الفصل السادس : الإحسان إلى الأقارب غير المسلمين
٣٨٦	الفصل السابع : صلة الأقارب غير المسلمين
٣٨٨	الفصل الثامن : تسميت غير المسلم إذا عطس
٣٩٠	الفصل التاسع : حكم قبول هدايا غير المسلمين
٣٩٦	الفصل العاشر : الإهداء إلى غير المسلمين
٣٩٨	الفصل الحادي عشر : الدعاء لغير المسلمين
٣٩٩	المبحث الأول: حكم الدعاء لغير المسلمين بالهداية
٤٠٣	المبحث الثاني: حكم الدعاء لغير المسلمين بالمغفرة
٤٠٦	الفصل الثاني عشر: الدعاء على غير المسلمين
٤١١	الفصل الثالث عشر: حكم العفو عن غير المسلمين
٤١٤	الموقف الأول : قتل كعب بن الأشرف .
٤١٧	الموقف الثاني : قتل ابن أبي حقيق
٤١٧	الموقف الثالث : نزول النبي ﷺ على حكم سعد بن معاذ في بني قريظة
٤١٨	الموقف الرابع : قتل الجاسوس الذي بعثه كفار قريش عيناً ينقل لهم أخبار النبي ﷺ
٤١٨	الموقف الخامس : إهدار النبي ﷺ لدماء أقوام آذوا الله ورسوله

الصفحة	الموضوع
٤١٩	الفصل الرابع عشر: تكتية غير المسلم
٤٢٢	الفصل الخامس عشر: حكم مخالطة المسلم لغير المسلم
٤٢٦	الفصل السادس عشر: حكم استضافة غير المسلم
٤٢٧	الباب السابع : التعامل مع غير المسلمين في حال الحرب
٤٢٨	الفصل الأول: هل الأصل في التعامل مع غير المسلمين السلم أو الحرب؟
٤٤٠	الفصل الثاني: الغاية من الحرب في الإسلام
٤٤٨	الفصل الثالث: حكم الاستعانة بغير المسلمين في الحرب
٤٥٤	الفصل الرابع: كيفية معاملة أسرى الحرب
٤٥٥	المبحث الأول : بيان رافة الإسلام بالأسرى .
٤٦١	المبحث الثاني : حكم استخراج المعلومات من الأسير كرهاً .
٤٦١	المبحث الثالث : حكم ضرب الأسير
٤٦٢	المبحث الرابع : حكم قتل الأسرى من النساء والصبيان.
٤٦٣	المبحث الخامس : حكم المنّ على الأسرى .
٤٦٥	المبحث السادس : فداء أسرى المسلمين بالنساء المسيبات.
٤٦٦	المبحث السابع : حكم قتل الأسير .
٤٦٨	الفصل الخامس : حكم تعذيب العدو بالنار .
٤٧٢	الفصل السادس : حكم استنقاذ أسرى الحرب المسلمين وأهل الذمة
٤٧٢	المبحث الأول : حكم فكاك الأسير .
٤٧٣	المبحث الثاني : حكم فكاك أسرى أهل الذمة .
٤٧٦	الفصل السابع : حكم قتل الفئات المستضعفة
٤٧٦	المبحث الأول : حكم قتل النساء والصبيان .
٤٨٠	المبحث الثاني : حكم قتل الشيخ الكبير ومن في حكمه .
٤٨٧	الفصل الثامن : موقف الإسلام من جثث قتلى الكفار

الصفحة	الموضوع
٤٩٠	الفصل التاسع : حكم الإجهاز على جريح الأعداء
٤٩٣	الفصل العاشر: تحريم المثلة بالأعداء
٤٩٨	الفصل الحادي عشر: حكم قسمة الغنائم في دار الحرب
٥٠٧	الباب الثامن : المعاهدات والصلح مع غير المسلمين
٥٠٨	الفصل الأول: مشروعية المعاهدات في الإسلام
٥١٢	الفصل الثاني: حكم التزام المسلمين بمعاهداتهم مع غير المسلمين
٥١٧	الفصل الثالث: متى تنتقض العهود مع غير المسلمين ؟
٥١٩	الباب التاسع : التعامل مع غير المسلمين في الأقضية والشؤون الدينية
٥٢٠	الفصل الأول: حكم القضاء لغير المسلمين
٥٢٢	الفصل الثاني: حكم استحلاف غير المسلمين
٥٢٤	الفصل الثالث: حكم الرواية عن أهل الكتاب والأخذ من كتبهم
٥٣١	الفصل الرابع: حكم مرور غير المسلم بين يدي المصلي
٥٣٢	الفصل الخامس : حكم السفر بالقرآن الكريم إلى أرض العدو
٥٣٣	الفصل السادس : حكم أطفال غير المسلمين وهل يلحقون بآبائهم أم يلحقون بالمسلمين؟
٥٣٩	الباب العاشر : التعامل مع غير المسلمين في المجال الطبي
٥٤٠	المبحث الأول : حكم تداوي المسلم عند الطبيب غير المسلم إذا كان ثقة مأموناً
٥٤٣	المبحث الثاني : اشتراط أن يكون التداوي بشيء غير محرم في الإسلام
٥٤٧	الباب الحادي عشر : المنهج النبوي في دعوة غير المسلمين.
٥٤٨	الفصل الأول: عالمية الدعوة الإسلامية
٥٥٢	الفصل الثاني: حكم دعوة غير المسلمين
٥٥٦	الفصل الثالث: حكم دعوة غير المسلمين

الصفحة	الموضوع
٥٥٩	الفصل الرابع: وسائل دعوة غير المسلمين
٥٥٩	الوسيلة الأولى : مراسلتهم بالدعوة إلى الدخول في الإسلام
٥٦٢	الوسيلة الثانية : الرفق بهم لترغيبهم في الإسلام .
٥٦٥	الوسيلة الثالثة: تعلم لغتهم .
٥٦٧	الوسيلة الرابعة: بعث الرسل والدعاة إليهم .
٥٦٩	الفصل الخامس : التسامح مع غير المسلمين وأثره في تأليفهم ودعوتهم
٥٦٩	المبحث الأول : التسامح مع غير المسلمين في السنة القولية .
٥٧٨	المبحث الثاني : التسامح مع غير المسلمين في السنة الفعلية
٥٨٦	المبحث الثالث : أثر التسامح في دعوة غير المسلمين .
٥٨٦	النموذج الأول : عفو الرسول ﷺ يوم فتح مكة عن كفار قريش
٥٨٧	النموذج الثاني : تسامح الرسول ﷺ مع المنافقين
٥٨٨	النموذج الثالث : عفو الرسول ﷺ عن ثمامة بن أثال رضى الله عنه
٥٨٩	النموذج الرابع : عفو الرسول ﷺ عن سهيل بن عمرو رضى الله عنه :
٥٩٠	النموذج الخامس : تطف الرسول مع والد عمران بن الحصين
٥٩١	النموذج السادس : عفو الرسول ﷺ عن أعرابي حاول قتله
٥٩٢	النموذج السابع : تسامح الرسول ﷺ مع أعرابي أساء إليه .
٥٩٣	النموذج الثامن : تسامح الرسول ﷺ مع يهودي
٥٩٤	المبحث الرابع : شهادات غير المسلمين بأثر التسامح الإسلامي عليهم
٥٩٨	الفصل السادس: تفنيد دعوى انتشار الإسلام بالسيف
٦٠٢	الباب الثاني عشر : التعامل مع غير المسلمين بعد الموت
٦٠٤	الفصل الأول: عيادة المسلم غير المسلم المريض
٦٠٥	الفصل الثاني: تغسيل غير المسلم وتكفينه
٦٠٧	الفصل الثالث: اتباع جنازة غير المسلم ودفنه

الصفحة	الموضوع
٦٠٩	الفصل الرابع: هل يدفن غير المسلم مع المسلمين ؟
٦١٠	الفصل الخامس: القيام لجنازة غير المسلم
٦١٦	الفصل السادس: زيارة قبر غير المسلم
٦١٨	الفصل السابع: حكم الصلاة على غير المسلم والاستغفار له والترحم عليه
٦٢١	الفصل الثامن : حكم التوارث بين المسلم وغير المسلم .
٦٢٥	الفصل التاسع : حكم وصية المسلم لغير المسلم
٦٢٨	الفصل العاشر: حكم ميراث المرتد
٦٣٣	الخاتمة
٦٤١	فهرس الآيات القرآنية
٦٦٥	فهرس الأحاديث والآثار
٧٠٠	فهرس المصادر والمراجع
٧٣٢	فهرس الموضوعات